جامعة الكوت
مركز البحوث والدراسات والنشر

أحاديثُ الرَّقائق
في صحيح ابن حِبّان
- دراسة بلاغية -

تأليف
أسيل ابراهيم

٢٠٢٥م

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

جامعة الكوت

٢٣٨ / ٤

أ ٢٤٢ ابراهيم ، أسيل

احاديث الرقائق في صحيح ابن حبان / أسيل ابراهيم. - ط١.

- بغداد : مطبعة جامعة الكوت ، ٢٠٢٥م.

٢٨٠ ص، ٢٤سم.

١- الحديث الشريف - البلاغة العربية أ. العنوان

م.و.

٣٠٨٨ /٢٠٢٥

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٣٠٨٨ لسنة ٢٠٢٥م

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-726-45-8

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في جامعة الكوت
غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب
والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

University of Kut Printing Press

مطبعة جامعة الكوت

الإهداء

إلى أولئك الذين كانوا جذرًا، فثبتت بي الأرض، وكانوا ظلًّا، فخفّت عني شمس الطريق...

إلى من نسجا لي من التعب راحة، ومن الصمت دعاءً لا يُرد، ومن الحنان وطناً لا يُغادر. (والدَيّ)

إلى من علّموني أن الكلمة أمانة، وأن المعرفة تُنبت الحلم

(أساتذتي الأفاضل)

أهديكم هذا العمل، تقديرًا وعرفانًا، فأنتم شركاء في كل خطوة ونجاح.

ثبت المحتويات

ت	الموضوع	الصفحة
١	الاهداء	
٢	المقدمة	١
٣	تمهيد	٧
٤	الفصل الأول: علم المعاني	٢٥
٥	المبحث الأول: الخبر	٢٦
٦	المبحث الثاني: الإنشاء الطلبي	٣٦
٧	المبحث الثالث: التقديم والتأخير	٦٨
٨	المبحث الرابع: القصر	٨١
٩	المبحث الخامس: الذكر والحذف	٨٩
١٠	المبحث السادس: الفصل والوصل	٩٧
١١	المبحث السابع: الإيجاز والإطناب	١١٠
١٢	المبحث الثامن: الايجاز والاطناب والمساواة	١١٨
١٣	الفصل الثاني: علم البيان	١٣١
١٤	المبحث الأول: التشبيه	١٣٣
١٥	المبحث الثاني: الاستعارة	١٥٧
١٦	المبحث الثالث: الكناية	١٧٠

١٧	الفصل الثالث: علم البديع	١٨٣
١٨	المبحث الأول: المحسنات المعنوية	١٨٧
١٩	المبحث الثاني: المحسنات اللفظية	٢٠٧
٢٠	المبحث الثالث: فنون تلتحق بالبديع	٢١٨
٢١	الخاتمة	٢٣١
٢٢	المصادر والمراجع	٢٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي يسّر لنا طريقَ الرَّشاد، وبفضله وكرمه نَبلغ الغايات ويتحقَّقُ المُراد، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدِ الأنبياء والمرسلين والعُبَّاد، سيِّدنا محمَّدﷺ شفيع الخلق يومَ التَّناد، وعلى آله الطَّاهرين الأجواد، وصحابته الأكرمينَ الزُّهَّاد.

أمَّا بعد، فإنَّ البلاغة العربية من أَجلَّ العلوم قدرًا، وأرسخها قدماً، وأطيبها جنًى؛ ولذلك حظيت باهتمام بالغ من الدارسين القدامى والمحدثين، تنظيراً وتطبيقاً، في النّصوص الأدبيَّة والدِّينيَّة على حدٍّ سواء، ولمَّا كان الحديثُ النبويُّ الشَّريفُ المصدرَ الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم، (وهو ثاني الوحيين)، فقد اعتلى قمة البلاغة، وذروة الفصاحة؛ لأنَّه صادرٌ عن أفصحِ من نطقَ بالضَّادﷺ؛ ولذلك فإنَّ الدِّراسات؛ التي تقومُ حوله تكتسبُ أهمِّيتها من أهمِّيته، فمن أهمية هذا الموضوع أنَّهُ مُحاولةٌ لبيان أثر الأحاديث الشَّريفة في رفد البلاغة العربية.

ورغبةً منّي في استمرار عجلة البحث البلاغيّ في الحديث النبوي الشريف، آثرت أن أدرس الفنون البلاغية فيه، فأشارَ إليَّ أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور حيدر حسين عبيد بأنْ أختارَ أبواباً من صحيح ابن حبان المتوفَّى سنة ٣٥٦هـ، فجاء العنوان: (أحاديث الرقائق في صحيح ابن حِبان–دراسة بلاغية–) وإنَّما وقعَ الاختيار على هذه الأبواب؛ لأنَّها احتوت صورًا بلاغية كثيرة، فإنَّ مضمونها

يُخاطبُ القلوبَ ويُحرّك العواطفَ الدينيَّة الإيمانيَّة، فكانت غايةُ الباحثة مُحاولةَ بيان اللمسّات الجمالية والوقفات البلاغية في الأحاديث الشريفة موضوع الدراسة.

وبعد الاستعانة بالله – تعالى– شَرعتُ بقراءة نصوص الأحاديث النبوية الشريفة التي يتناولها هذا الكتاب، وعملتُ على التأمل والنظر لاستخراج الفنون البلاغية؛ التي تضمنتها تلك الأحاديث، ثم تطبيقُ القواعد والنظريات البلاغية عليها، وقد حاولتُ قَدرَ ما استعطت بيان اللمسات الجمالية والغايات البلاغية في نصوص الأحاديث الشَّريفة.

وقد توزعت الأحاديث الرقائق الواردة في صحيح ابن حبان بحسب الأبواب، إذ تضمن باب (الحياء) أربعة أحاديث، وباب (التَّوْبَة) عشرين حديثاً، وباب (حُسْن الظنّ باللهِ تعالى): اثني عشر حديثاً، وباب (الخَوْف وَالتّقوَى) خمسة وعشرين حديثاً، وباب (الفَقْر وَالزُّهْد وَالقنَاعَة) واحد وخمسين حديثاً، وباب (الوَرَع وَالتوَكُّل) اثني عشر حديثاً، وباب (القرآن) سبعين حديثاً، وباب (الأذكار): واحدًا وستين، وباب (الأدعية) مئة وثلاثة وثلاثين حديثاً، وبابُ (الاستعاذة) تسعة وثلاثين، وحديثان لمواقف علق عليها المؤلف.

وهكذا كان عدد الأحاديث التي تناولت الرقائق اربعمئة وتسعة وعشرين حديثًا من الأحاديث ذي العدد ستمئة وسبعة إلى العدد الف وستة وثلاثين.

ولم أتناول بالدراسة أحاديث الرقائق في صحيح ابن حِبان كلَّهِ؛ لكثرة الأحاديث الواردة فيه، وقد تكررت بعض الأحاديث فقد كانت أما لزيادة لفظة، أو للاستشهاد بها على خبر ثانٍ.

وقد قسَّمتُ كتابي هذا على: تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، تناولت في التمهيد تعريف الحديث النبوي الشريف لغةً واصطلاحاً، والتعريف بابن حبان وشيوخه وتلاميذه، ونبذة عن الكتاب، ثم التعريف بالبلاغة العربية لغة واصطلاحًا ثم آراء العلماء القدماء والمحدثين، وقد وضعتُ خطَّةً الكتاب على وفق منهج البحث العلميّ الصَّحيح بالفصل والمبحث والمطلب، إلَّا بعض المباحث التي لم تقبل القسمة على مطالب، أما فصول الكتاب فكانت على النحو الآتي:

-الفصل الأول: فنون المعاني: وقد اشتمل على ثمانية مباحث، وقد تضمَّن تطبيقات فنون علم المعاني في أحاديث الرَّقائق.

-والفصل الثاني: فنون البيان: وقد اشتمل على ثلاثةِ مباحث، وقد تضمَّن تطبيقات فنون علم البيان في أحاديث الرَّقائق.

-الفصل الثالث: فنون البديع: وقد اشتمل على ثلاثة مباحث، وقد تضمَّن تطبيقات فنون علم البديع وبعض ما يلتحقُ بهِ أحاديث الرَّقائق.

وقد مزجتُ التقديم والتأخير، والحذف والذِّكر، فلم أفصلْ حذف المسند عن حذف المسند إليه، ولا تقديم المسند عن المسند إليه كما هو في كتب البلاغة، بل مزجتُ لتظهر هذه الموضوعات بصورة متماسكة غير مُمزَّقة، وتكون أقرب إلى روح الموضوع.

وقد كانت دراستي لأحاديث الرَّقائق دراسةً تطبيقية، إذ استهللتُ كلَّ مبحث من مباحث البلاغة العربية بتعريف المصطلح البلاغي مستعينةً بالكتب المُصنفة

في البلاغةِ من القدماء أو المحدثين، ثم أَسْتخرجُ التطبيقات من أحاديث الرَّقائق وأحاول تحليل هذهِ الأحاديث؛ لبيان بلاغتها وجمال التعبير فيها عن طريق الوصف للشاهد البلاغي النبوي، والتحليل والاستنباط؛ لإبرازِ شيءٍ من بلاغته.

ولَمْ أُعرِّفْ برواة الحديث الشَّريف؛ لأنَّ الكتاب ليس مخصصًا بعلم الحديث النَّبويّ الشَّريف، إنَّما مُخصص للفنون البلاغيَّة في أحاديث الرَّقائق.

وقد اعتمدتُ في استخراج الأحاديث على صحيح ابن حِبان، بتحقيق شعيب الأرناؤوط(ت:٢٠١٦م) الذي حقَّقهُ في ثمانية عشر مجلدًا، وكانت أحاديث موضوع الكتاب ضمن المجلد الثاني والثالث، وقد أشرت إلى رقم الحديث مع المجلد ورقم الصفحة؛ ليتسنّى الرجوع إليهِ بأيسر ما أمكن، وللتوثيق العلميّ.

وفي بعض الأحاديث اجتزأت موضع الشاهد البلاغي النبوي في الأحاديث الطوال؛ اختصارًا مني واقتصارًا على موطن الشاهد، كما أنني فسّرتُ مجموعة معاني الكلمات الغريبة من كتب شروح الحديث النبوي وكتب الغريب والمعاجم.

وقد وجدتُ أنَّ العلماءَ مُختلفين في الحكم على أحاديث صحيح ابن حبان، فمنهم من يرى أنَّ مجرَّد إيراده للحديث في صحيحه يجعل الحديث صحيحاً، وهذا ما عليه أوائل العلماء، إذ كانوا يكتفون بالقول: صحَّحه ابن حبان، وهناك مَنْ يُضعِّف مجموعةً من أحاديثه، فاستعنتُ بحُكم المحقق شُعيب الأرنؤوط فيما صحَّحه، أو حَسَّنَهُ وذكرتُهُ في الهامش؛ لأنِّي وجدتُ كلَّ ما صحَّحهُ المُحقِّقُ قد صحَّحه العلماء قبله، وأمَّا ما ضعَّفَهُ فاستعنتُ بكتب العلماء الذين قالوا بتصحيحه سواءً من الأوائل، أو المتأخرين، أو بعض المعاصرين.

ومن المعلوم أنَّ علم المعاني هو أكثر العلوم غزارة من جانب المادة العلمية، إذ يشتمل على ثمانية مباحث، في حين أن علمي البيان والمعاني يشتمل كلٌّ منها عادةً على ثلاثة مباحث لا تقل أهمية عن علم المعاني.

وقد اخترتُ ثلاثة أنواع من الأقواس للتَّنصيص، المشجرة الكبيرة للآيات الكريمة، والأقواس المفردة الكبيرة للأحاديث الشريفة، والمزدوجة الصغيرة لسائر النصوص.

وقد بذلتُ جهدي في تطبيق القاعدة البلاغية على الحديث النبوي وإنْ لم أجدْ أنَّ شُرّاح الحديث ذكروا ذلك، لأنَّ طبيعة عملهم تقتضي شرح الحديث وبيان الفوائد الشرعية لا المسائل البلاغية.

و اعتمدتُ مجموعة كثيرة من المصادر والمراجع، ومنها كتب شروح الحديث النبويِّ الشَّريف التي أعانتني على استنباط الشواهد البلاغية في الأحاديث الشريفة إشارة أو تصريحاً، وأما الدراسات البلاغيَّة السابقة في صحيح ابن حبان فكانت دراسة واحدة فقط، وهي: (أحاديث البر والاحسان في صحيح ابن حبان–دراسة بلاغية)[١].

أما الدراسات البلاغيَّة السابقة في عموم الأحاديث النبويَّة، وهي ما استعنتُ به في دراستي هذه، فأبرزها؛ الأحاديث القدسية– دراسة بلاغية[٢]. والبلاغة النبوية

---

(١) أحاديث البر والإحسان في صحيح ابن حبان–دراسة بلاغية: مأمون يوسُف رَجَب، (رسالة ماجستير)، كلية الإمام الأعظم الجامعة/ قسم اللغة العربية، بغداد،١٤٤١هـ– ٢٠٢٠م.

(٢) الأحاديث القدسية– دراسة بلاغية: مروة إبراهيم قوتة، (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية– غزة، كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

في الأربعين النووية[١]، وبلاغة الفصل والوصل في الحوار النبوي الشريف- دراسة في صحيح البخاري[٢].

والفرق بين دراستي والدراسات الأخرى تناولي أغلب الفنون البلاغية في أبواب محددة، من كتابٍ مُحدَّد.

إنَّ موضوع هذهِ الدراسة مُتشعبٌ، فقد اشتملَ على معظمِ مباحث البلاغة العربية بعلومِها الثلاثة، فلابدَّ أن نقف عليها تعريفاً وتحليلًا واستنتاجاً، وهذا الأمر تطلب وقتًا ليس بالقليل، وقد بذلتُ ما بوسعي في بيان بلاغة الأحاديث النبوية الشريفة- موضوع الدراسة-.

(١) البلاغة النبوية في الأربعين النووية: خالد عبد العزيز الزويع (رسالة ماجستير)، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، قسم الدراسات النظرية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(٢) بلاغة الفصل والوصل في الحوار النبوي الشريف- دراسة في صحيح البخاري: لمحمد سعيد حسين مرعي، أحمد جمعة شوان، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد (٢٣)، العدد (١٠)، تشرين الأول ٢٠١٦م.

التَّمهيد

تعريفٌ بمفردات عنوان الرِّسالة

أولاً: تعريف الحديث لغةً واصطلاحاً:

إن من نافلة القول الكتابة في معنى الحديث، فالحديث الشريف يعرفه القاصي والداني، ولإيضاح القصد سأكتفي في التعريفات المبينة في أدناه:

أ. **الحديث لغةً:** نقيض القديم، الحديثُ خبرُ يأتي على القليل والكثير، ويُجمَعُ على أحاديثَ، على غير قياسٍ[1].

وفي المصباح المنير هو ما يُتحدَّث به ويُنقل، ومنه حديث رسول الله ﷺ وهو حديث عهد بالإسلام، أي: قريبُ عهدٍ بالإسلام[2].

فالرَّافعيُّ يشير إلى أنَّ الصِّلة اللغويَّة بالاصطلاحيَّة تتمثَّل في كونِ الحديث النَّبويّ الشَّريف حديثَ عهدٍ بالإسلام؛ ولذلك اختيْرَ له هذا اللفظ من حيث اللغة.

ب. **الحديث اصطلاحاً:** في اصطلاح المُحَدِّثين هو أقوال سيِّدنا النَّبيّ ﷺ وأفعاله وتقريراته، وصفاته الخَلقية والخُلُقية، ومن العلماء مَنْ يزيد في تعريف الحديث: وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، أمَّا موضوعه: فذاتُ سيِّدنا

---

[1] الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، راجعه واعتنى به: د. محمد محمد تامر وآخرون، (د. ط)، دار الحديث القاهرة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م: ٢٢٩–٢٣٠، مادة حدث.

[2] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠هـ)، ط٦، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٢٥م: ١/١٧١، (مادة حدث).

رسول الله ﷺ من حيث أنه رسول الله. وحَدُّه باعتبارهِ عِلْماً: هو علمٌ يُعرف به أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله. وغايته: هي الفوز بسعادة الدارين[١].

وقالَ الطيبي: " الحديث أعمُّ من أن يكون قولَ النَّبي ﷺ والصَّحابي والتابعيّ وفعلهم وتقريرهم "[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن حجر: " المراد بالحديث في عُرف الشرع: ما يضاف إلى النبيﷺ ، وكأنَّه أُريد به مقابلة القرآن؛ لأنَّه قديم "[٣].

والحديث مُكمِّلٌ للقرآن الكريمِ ومُفَصّلٌ لمجْمَله، فالقرآنُ الكريمُ يأمر بالصلاة مجملةً، والحديث يبين أوقاتها وكيفيتها، ويسمَّى السُّنة[٤].

والحديث النبويُّ الشَّريفُ نصٌّ عالٍ يُمثِّلُ في الذروة من البيان، ولا يرتفعُ فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله تعالى بلاغةً وفصاحةً وروعةً[٥].

---

[١] الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (ت:١٤٠٣هـ)، (د. ط)، دار الفكر العربي، بيروت، (د. ت): ١/ ١٥-١٦.

[٢] تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط١، دار طيبة، الرياض، د.ت: ١/٢٦-٢٩.

[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ: ١/ ١٩٣.

[٤] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة و كامل المهندس، مكتبة لبنان- بيروت، ط٢، ١٩٨٤م: ١٤٥.

[٥] ينظر: التشبيهات النبوية في صحيح البخاري(دراسة موضوعية فنية): يونس عبد مرزوك، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م: ٥.

ثانياً: التعريف بابن حِبان وصحيحه ومكانتهِ عند المُحَدِّثين:

أ. **اسمه ونسبُهُ وكنيته:** هو مُحمدُ بن حِبان بن أحمد بن معاذ بن معبد بن سهيد بن هدية بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبدالله بن دارم بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي الدارمي، الشافعي التميميَّ، أبو حاتم، البُستي[١]، الإمام، العلامة، الحافظ، المجرد، شيخ خراسان، مؤرخ فقيه، لغويٌّ واعظ، أخذ الحديث عن ابن خزيمة[٢].

ويُعدُّ أحد أوعية العلم حديثًا وفقهًا ولغةً ووعظًا، حتى الطبِّ والنُّجوم والكلام، وَلِيَ قضاء سمرقند، ثم قضاء نسا، وغاب دهراً عن وطنه، ثم رجع إلى بست[٣].

---

[١] نسبة إلى بُست، وهي بلد كبير من بلاد الغُور بطرف خراسان. ينظر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان، د.ت: ١/ ١٤٩.

[٢] ينظر: سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م: ١٦/ ٩٢، طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الاسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١هـ)، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب– بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ: ١/١٣١.

[٣] ينظر: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠– ٩٤٧هـ)، عُني به: بو جمعة مكري وخالد زواري، ط١، دار المنهاج– جدة، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٨م، ٣/١٥٢، معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ)، د.ط، مكتبة المثنى، بيروت– دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت: ٩/ ١٧٣.

ب. ولادته: ذكر الذهبيُّ أنَّ ابن حِبان وُلِدَ في بست–من بلاد سجستان– سنة بضع وسبعين ومئتين هجرية[١]، وثَبَّتَ بعضُ المعاصرين سنة ولادته ٢٧٠ هـ[٢].

ج. منزلته وثناء العلماء عليه: لقد أثنى العلماءُ والمؤرِّخون على ابن حبان كثيراً ووثَّقوه، وفيما يأتي بعض أقوال أولئك العلماء:

١. قال ابن ماكولا (ت: ٤٨٥هـ): " أبو حاتم التميمي البستي نزيل سجستان ولي القضاء بسمرقند، سافر كثيرًا وسمع وصنف كتبًا كثيرة، وحدث عن أبي خليفة والحسن بن سفيان النسئي وأبي يعلى الموصلي وخلق كثير، وكان من الحفاظ الأثبات "[٣].

٢. وقال ابن القيسراني: (ت: ٥٠٧هـ): " روى عَنهُ الْحَاكِم أَبُو عبد الله، وَأحسن الثَّنَاء عَلَيْهِ فِي التَّارِيخ، وَكَانَ الْمُسْتَمْلِي عَلَيْهِ، وروى أَبُو الْحسن الدَّارَقُطْنِيّ عَنهُ بِالْإِجَازَةِ، وَله التصانيف الْمَشْهُورَة "[٤].

---

[١] ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٩٣.

[٢] ينظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، ط٣، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت– لبنان، ١٤٠٩ هـ– ١٩٨٨م: ٢/ ٥١٠.

[٣] الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت: ٤٧٥هـ)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ١٤١١هـ– ١٩٩٠م: ٣١٦/٢.

[٤] المؤتلف والمختلف لابن القيسراني الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (ت: ٥٠٧هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ: ٥١.

٣. وقال ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ): " الإمام العلامة الفاضل المتقن، كان مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ، عالما بالمتون والأسانيد، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، ومن تأمّل تصانيفه تأمّل منصف علم أن الرجل كان بحرا في العلوم، سافر ما بين الشاش[١] والإسكندرية، وأدرك الأئمة والعلماء والأسانيد العالية، وأخذ فقه الحديث والفرض على معانيه عن إمام الأئمة أبي بكر ابن خزيمة، ولازمه وتتلمذ له، وصارت تصانيفه عدّة لأصحاب الحديث غير أنها عزيزة الوجود "[٢].

٤. وقال ابن الصلاح (ت: ٦٤٣هـ): " كَانَ أَبُو حَاتِم هَذَا- رَحمَه الله- وَاسع الْعلم، جَامعا بَين فنون مِنْهُ، كثير التصنيف، إِمَاماً من أَئِمَّة الحَدِيث، كثير التَّصَرُّف فِيهِ والافتنان، يسْلك مَسْلَك شَيْخه ابْن خُزَيْمَة فِي استنباط فقه الحَدِيث ونكته، وَرُبمَا غلط فِي تصرفه الْغَلَط الْفَاحِش على مَا وجدته "[٣].

---

[١] مدينة الشاش: تقع في بلاد ما وراء النهر فحد منها ينتهي إلى وادي الشاش الذي يقع في بحيرة خوارزم وحد إلى باب الحديد ببرية بينها وبين إسفيجاب تعرف بقلاس وهي مراع وحد آخر إلى تنكرة تعرف بقرية النصارى وحد إلى جبال منسوبة إلى عمل الشاش، وهي اكبر ثغر في وجه الترك وأبنيتهم واسعة من طين وعامة دورهم يجري فيها الماء وهي كلها مسترة بالخضرة من أنزه بلاد ما وراء النهر وقصبتها بنكث ولها مدن كثيرة. ينظر: معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ٣٠٩/٣.

[٢] معجم البلدان: ٤١٥/١.

[٣] طبقات الفقهاء الشافعية: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، ط١، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ١٩٩٢م: ١١٦/١.

٥. وقال الذهبي(ت: ٧٤٨هـ): " الإِمَامُ العَلاَّمَةُ الحَافِظُ المُجَوِّدُ، شَيْخُ خُرَاسَانَ، ... صَاحبُ الكُتُبِ المَشْهُوْرَةِ "[١]، ثمَّ ذكر مجموعة من اعتراضات الناس على ابن حبان–كما ذمره ابن الصلاح– وفنَّدها كلَّها.

٦. وقال ابن تغري بردي(ت: ٨١٣هـ): " الحافظ العلامة، كان عالماً بالفقه، والحديث والطبّ والنُّجوم، وفنونٍ من العلوم "[٢].

د. **شيوخه وتلاميذه:** لقد أخذَ ابن حبان ودرسَ على عدد من الشيوخ، وسأذكرُ جماعةً منهم مُرتَّبين بحسب سنيّ وفيَّاتهم[٣]:

- الحسن بن سفيان (ت: ٣٠٣ هـ)، سمع منه في نَسَا.
- أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت: ٣٠٣ هـ)، سمع منه بفسطاط مصر.
- أكبر شيخ لقيه هو أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي (ت: ٣٠٤ هـ)، سمع منه بالبصرة .
- عمران بن موسى بن مجاشع الجرجاني (ت: ٣٠٥ هـ)، سمع منه بجرجان.

---

[١] سير أعلام النبلاء: ١٨٣/١٢.

[٢] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د.ت: ٣/ ٣٤٣.

[٣] ينظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبدَ، التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة– مصر، ١٤١١هـ– ١٩٩١م، مقدمة المحقق، ١/ ١٤، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٩٣، رجال الحاكم في المستدرك: مُقْبلُ بن هادي بن مقبل بن قائدة الهمداني الوادعي (ت:١٤٢٢هـ)، ط٢، مكتبة صنعاء الأثرية، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م: ٢/ ١٩٢.

- أبو عبد الرحمن: عبد الله بن محمود بن سليمان (ت: ٣١١ هـ)، سمع منه بمرو.
- محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٨ هـ)، سمع منه بمكة المكرمة.
- محمد بن عبد الله بن الفضل الكلاعي الراهب (ت: ٣٣٩ هـ)، سمع منه بحمص.

وأمَّا تلاميذه الذين رووا عنه أو درسوا على يديه، فأبرزهم[١]:

- أبو عبد الله بن منده (ت: ٣٩٥ هـ).
- محمد بن أحمد بن منصور النوقاتي (ت: قبل ٤٠٠ هـ).
- منصور بن عبد الله الخالدي (ت: ٤٠٢ هـ).
- أبو عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥ هـ).
- أبو معاذ عبد الرحمن بن محمد بن رزق الله السجستاني (ت: ٤٢٦ هـ).

هـ. وفاته: توفي ابن حِبان في شوال سنة ٣٥٤ هـ، وهو في عَشْر الثمانين، ودفن ببست في الصِّفَّة التي ابتناها بقرب داره[٢].

---

[١] سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٩٤.

[٢] الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت: ٥٦٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م: ٢/٢٢٦، طبقات علماء الحديث: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (ت: ٧٤٤ هـ)، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ٣/١١٥؛ لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، دار

و. **عناية العلماء بصحيح ابن حبان:** إذا دققنا النظر في كتب الحديثِ الشَّريف وجدناها أكثر الكتب حظوة بالخدمة والعناية؛ وذلك لحرصِ الأمَّة على سُنَّة نبيّهاﷺ، وقد كان لصحيح ابن حبان حظٌّ من تلك العناية، وهي وإن كانت دون المستوى المطلوب، إلا أنَّها تمثلت في جوانب متعدِّدة لعلَّ من أبرزها[1]:

١. **الترتيب:** فقد نهض أحد علماء الحديث، وهو علاء الدين بن بلبان الفارسي، لخدمة هذا الكتاب، وتقريبه لطالبه، فرتبه بما يوافق طرائق غيره من المؤلفين.

٢. **الاختصار:** فقد اختصر الإمام سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن (ت: ٨٠٤هـ)، كتاب ابن حبان، فالغاية من هذا الاختصار حذف الأسانيد والمكرر من الحديث.

٣. **إفراد زوائده:** فقد جرّد الإمام نور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) زوائد ابن حبان على الصحيحين، وأسمى هذا الكتاب (موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان)، وهو كتاب مطبوع متداول، وعدد أحاديثه (٢٦٤٧) حديثاً.

٤. **إفراد رجاله بالتصنيف:** فقد جمع الإمامُ ابن الملقن كتاباً فيه تراجم رجال صحيح ابن حبان مع رجال كتب أخرى.

البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢ م: ٧/ ٤٦، الأعلام: خير الدين بن محمود بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، ط١٥، دار العلم للملايين، أيار مايو ٢٠٠٢م: ٦/ ٧٨؛ معجم المفسرين لنويهض: ٢/ ٥١٠..

[1] ينظر: الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان البُستي فيلسوف الجرح والتعديل: محمد عبد الله أبو صعليك، ط١، دار القلم– دمشق، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م: ١٨٢– ١٨٥.

٥. **دراسته:** وهذه إحدى جوانب العناية به في العصر الحديث، فقد سجلت أكثر من عشر رسائل علمية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة في دراسات حول كتاب ابن حبان هذا–وهي دراسات تخصُّصها الحديث النبويّ الشريف لا اللغة العربية وعلومها–، وغايتها تبصير الناس بما لهذا الكتاب من فوائد، وما فيه من علوم تخفى على غير الحذقةِ من طلبة العلم.

ز. **مكانة الكتاب بين كتب الحديث:** قال ابن حجر العسقلاني: " إنَّ حكم الأحاديث التي في كتاب ابن خزيمة وابن حبان صلاحيَّةُ الاحتجاج بها؛ لكونها دائرةً بين الصحيح والحَسَن، ما لم يظهر في بعضها علَّةٌ قادحة "[١]، وذكر الإمامُ السيوطيُّ أنَّ كتاب ابن حبان من الكتب التي جميع ما فيها صحيحٌ[٢]، وقال أحمد شاكر: " صحيح ابن خزيمة، والمسند الصحيح على التقاسيم والانواع–يعني صحيح ابن حبان–، والمستدرك ..هذه الكتب الثلاثة اهم الكتب التي ألفت في الصحيح المجرد بعد الصحيحين "[٣].

---

[١] النكت على كتاب ابن الصلاح: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م: ٢/٢٩١.

[٢] ينظر: جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ)، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج – عبد الحميد محمد ندا – حسن عيسى عبد الظاهر، ط٢، الأزهر الشريف، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م: المقدمة: ١/٣٣.

[٣] مقدمة صحيح ابن حبان: تحقيق: أحمد شاكر:١١.

ومعنى هذه المقولات أنَّ الغالبَ على أحاديث كتاب ابن حبان أنَّها صحيحةٌ، وقد وجدتُ علماء الحديث من الأقدمين، أمثال البغويّ وابن الملقن إذا نقلوا حديثاً من كتاب ابن حبان قالوا: صحَّحه ابن حبان[1].

ومع ذلك فقد ذكرَ شعيب الأرنؤوط (ت: ٢٠١٦م) مُحقق النسخة التي اعتمدتُها رأيهُ في الحكم على الحديث، فما نقلَ تصحيحه أو تحسينه أو أنَّ سنده قويٌّ ذكرتُ قوله فيه، وما رأى أنَّه ضعيفٌ راجعتُ أقوال علماء الحديث من قدماء أو مُحْدَثين، ونقلتُ قولَ مَنْ صحَّحَ الحديث في الهامش؛ لأنَّ المسألة ما دام الاختلافُ فيها وارداً، فيجوزُ لي أنْ أعتمدَ قولَ أحدِ العلماءِ المُختصِّين دون الآخر.

ح. مصنفات ابن حبان المطبوعة[2]:

١. **كتاب الثقات:** وقد طبع بالهند ثم صور بلبنان، ويقع في تسع مجلدات.

٢. **كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين:** طبع بالهند، ومعه تعليقات للدار قطني، ثم طبع بحلب بتحقيق الأستاذ محمود إبراهيم زايد.

---

[1] ينظر: مصابيح السنة: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦ هـ)، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م: ٨٨/١، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، ط١، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م: ٥٨٥/١، ٦٢/٢.

[2] ينظر: تاريخ الثقات: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفي (ت: ٢٦١هـ)، ط١، دار الباز، ١٤٠٥هـ–١٩٨٤م: ٢٧، الإمام الحافظ أبو حاتم: ٥٣–٥٩.

٣. **مشاهير علماء الأمصار**: قام بطبعه المستشرق فلايشمر، ويحتوي هذا الكتاب على ١٦٠٢ ترجمة، وتراجمه متفاوتة في الطول والقصر.

٤. **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**: قام على تحقيقه المشايخ الفضلاء: محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد بن عبد الرزاق حمزة، ومحمد حامد الفقي رحمهم الله جميعاً.

٥. **التقاسيم والأنواع، المعروف بصحيح ابن حبان**: وهو أهم كتبه الذي اشتهر به، وقد حاول خدمة ترتيبه لابن بلبان الفارسي أكثر من محاولة، فبدأ بطبعه محدث هذا الزمان العلامة المرحوم أحمد محمد شاكر، ولكن لم يَطْبَعْ منه إلا مجلداً واحداً و وافته المنية– رحمه الله–، ثم طبعَ الشيخ عبد الرحمن محمد عثمان ثلاثة مجلدات منه، ثم طبعه كمال يوسف الحوت كاملاً مع رصانة علمية في خدمته، ثم حقق كاملاً من قِبل الشيخ حسين سليم أسد والشيخ شعيب الأرناؤوط.

وكان قد جمع مؤلفاته في دار رسمها بها في بلدته (بُست) ووقفها ليطالعها الناس، وقرئ عليه أكثرها[١].

ط. وصف عامٌّ للكتاب: يتألف صحيح ابن حبان الذي اعتمدتُهُ من ثمانية عشر مجلداً، بتحقيق شعيب الأرناؤوط، إذ ابتدأ بمقدمة تضمنت التعريف بابن حبان والتعريف بالكتاب، ثم الأحاديث إذ جاءت مُرَتَّبةً على واحد وستين كتاباً في ستة عشر مجلداً، إذ شمل على ٧٤٩٠ حديثاً.

---

[١] الأعلام: الزركلي، ٦/ ٧٨.

وقد خصصتُ لدراسة رسالتي أحاديث الرقائق من صحيح ابن حبان التي احتواها المجلد الثاني من الكتاب بدءاً من باب الحياء رقم الحديث (٦٠٧) وينتهي في المجلد الثالث بباب الاستعاذة (١٠٣٦)، وقد بلغ عدد الأحاديث (٤٢٩) حديثاً، أما عدد الأبواب فبلغ عشرة أبواب، هي: (الحياء، التوبة، حسن الظن بالله تعالى، الخوف والتقوى، الفقر والزهد والقناعة، الورع والتوكل، قراءة القرءان، الأذكار، الأدعية، الاستعاذة).

ثالثاً. الرَّقائق:

الرقائق لغةً: الرَّقيقُ نقيضُ الغليظ والثَّخين، والرقة: ضدُّ الغلظة؛ رَقَّ يرقُّ رِقَّةً، والرقة: مصدر الرقيق عامٌّ في كل شيء، حتى يقال: فلان رقيق الدِّين، والأرقُّ قلوباً، أي: الألْيَنُ وأقبلُ للموعظِة، والمراد بالرقة ضدّ القسوة والشدَّة، والرقَّة الرحمةُ أيضاً[١].

الرقائق اصطلاحاً: تعني الكلماتِ المُرِقَّة للقلوب، وقيل: من الرِّقَّة بمعنى الرحمة[٢]، قال الدكتور موسى شاهين لاشين: " الرقاق بكسر الراء جمعُ رقيقة، وفي بعض الكتب كتاب الرقائق، والمعنى واحد ...؛ سمِّيت الأحاديثُ المذكورة في هذا الكتاب بذلك؛ لما فيها من الوعظ والتنبيه الذي يجعل القلبَ رقيقاً "[٣].

---

[١] ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر– بيروت، ١٤١٤ هـ، ١٢٢/١٠. (مادة: رقق).

[٢] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني (ت: ٧٨٦هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م: ١٩١/٢٢.

[٣] المنهل الحديث في شرح الحديث: موسى شاهين لاشين، ط١، دار المدار الإسلامي– بيروت، ٢٠٠٢م: ١٩٧/٤.

فوجه الربط والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي أنَّ أحاديث هذا الكتاب التي تضمنتها أبوابه كلها الغايةُ منها ترقيق القلوب من أجل نيل طاعة الله تعالى والتمسك بسنة سيّدنا الرسول الكريم محمد ﷺ، والفوز بالجنة والتقرب من الله تعالى بالطاعات، والابتعاد عن ملذات الدنيا التي تصيب نفس الإنسان؛ لينعم بنفس مطمئنة واثقة بالله تعالى.

رابعاً: البلاغة لغةً واصطلاحاً:

البلاغة لغة: بلغ: رجُلٌ بَلْغٌ: بَليغٌ، وقد بَلُغَ بلاغةً. وبَلَغَ الشيءُ يبلُغُ بُلُوغاً[1]، والبلاغة: الوصول والانتهاء[2]، وبلغ بلاغة فَصُحَ وَحَسُنَ بَيَانه فَهُوَ بليغ، والجمعُ بلغاء[3].

البلاغة اصطلاحاً: للبلاغة تعريفاتٍ متعددة، فقد عَرَّفَها السَّكَّاكِيُّ (ت:٦٢٦هـ) بِقَولِهِ: " البَلَاغَةُ هِيَ بُلُوغُ المُتَكَلِّمِ فِي تَأْدِيَةِ المَعانِي حَدًّا لَهُ اختِصَاصٌ بِتَوفِيَةِ خَوَاصِ التَّراكِيبِ حَقَّهَا، وَإِيرَادُ أَنوَاعِ التَّشبِيهِ، وَالمَجَازِ، وَالكِنَايَةِ عَلَى وَجهِهَا،

---

(1) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (د. ط) دار ومكتبة الهلال، مصر، د. ت: ٤/ ٤٢١.

(2) مختار الصحاح: زين الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت– لبنان، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م: ١/٣٩؛ المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدَه المُرسيّ (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م: ٥/٥٣٥، (مادة بلغ).

(3) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى– أحمد الزيات– حامد عبد القادر– محمد النجار)، ط١، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول– تركيا، ١٤١٠هـ– ١٩٨٩م: ١/ ٦٩.

وَلَهَا –أَعنِي البَلَاغَةُ– طَرَفَانِ أَعلَى وَأَسفَلَ مُتَبَايِنَانِ تَبَايُنًا لَا يَتَرَاءَى لَهُ نَارَاهُمَا، وَبَينَهُمَا مَرَاتِبٌ تَكَادُ تَفُوتُ الحَصرَ "[1]، في حين استَقَرَّ مَفهُومُ البَلَاغَةِ عِندَ القزوِينِيّ (ت:٧٣٩هـ)، بِقَولِهِ: " وَالبَلَاغَةُ فِي الكَلَامِ مُطَابَقَتُهُ لمُقتَضى الحَال مَع فَصَاحَتِهِ؛ فَالكَلَامُ البَلِيغِ هُو الكَلَامُ الوَاضِحُ المَعنَى، الفَصِيحُ العِبَارَةِ، المُلَائِمُ لِلمَوضِعِ الَّذِي يُطلَقُ فِيهِ، وَلِلأَشخَاصِ الَّذِينَ يُخَاطَبُونَ "[2].

فخلاصةُ مفهومها أنْ يبلغ المتكلّمُ مرادَه من المعاني من الكلام، أو الإيجاز من غير خلل، أو التفصيل من غير مللٍ، ومن هذه التعريفات نفهم أنَّ البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحاً، بعبارة صحيحةٍ فصيحةٍ، لها في النفس أثرٌ جذَّاب، مع تناسب كلِّ كلامٍ للموقف الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطَبون[3].

خامساً: أثر الحديث النبويّ الشَّريف في الدراسات البلاغية:

"الحديث النبوي الشريف –من حيث ألفاظهِ– نصٌّ موجزٌ، يعالج موقفاً، أو قضية كليَّة أو جزئية، معالجة تامَّةً في كلماتٍ قلائل، يخاطب به سيِّدُنا النبيُّ والرسولﷺ المسلمين المؤمنين به عبر الزمن، فلا يقتصر خطابُه على الحاضرين

---

[1] مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السَّكَّاكيُّ، ط١، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م: ٥٢٦، ينظر: نظرية البلاغة: عبدالملك مرتاض، ط١، طبعته هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٣٢هـ–٢٠١١م: ٣٠.

[2] التلخيص في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيبُ القزوِينِيُّ، ضبطه وَشَرَحَهُ عبدالرحمن البرقوقي، ط١، دار الفكر العربي، مصر، ١٣٢١هـ–١٩٠٤م: ٣٣.

[3] الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني) : أيمن أمين عبد الغني، تقديم أ. د / رشدي طعيمة وآخرون، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ط١، ٢٠١١م: ٢١.

المُتلقين منه شفاهه، فهو خطاب شفاهي كتابي في آن واحد، وهو خطابٌ موجه للشاهدين والغائبين في علم الله تعالى في المستقبل، ومن ثم كان من خصائصه أنْ ينفرد بسماتٍ تُحقِّق له سبل القبول والجدة"[١].

وقد أولى علماء البلاغة العربية قديمًا وحديثًا الحديث النبوي الشريف عناية فائقة، في بيان ألفاظه، والكشف عن أسرار علوم البلاغة في كلام الرسول ﷺ لكونه ثاني الوحيين وأفصحَ كلام، ومن دلائل حفاوة البلاغِيين بالحديث: أنهم يستشهدون به على إثبات القواعد البلاغية في علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، كما يُرى ذلك في جمهرة كُتب هذا الفن وأصولها؛ كالصناعتين للعسكري (ت: ٣٩٥هـ)، و(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) للجرجاني (ت: ٤٧٤هـ)، و (الإيضاح) للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ) وغيرها، ويبلغ الاستشهاد بالحديث قمته عند ابن الأثير (ت: ٦٣٨هـ) في (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، و(الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) للعلوي (ت: ٧٤٩هـ)، إذ استشهدا بعشرات الأحاديث، وكان منهج العلوي أنَّه يورد على كل قاعدةٍ شواهداً من القرآن، ثم من الحديث، ثم من كلام العرب نثرِه وشعره، وإن كان يؤخذ عليهم شيء فهو تساهُلُ كثيرٍ منهم في إيرادِهم الأحاديث الضعيفة وذلك ظاهر بجلاءٍ عند العلوي؛ ولعل سبب ذلك– والله أعلم– أنَّه ليس من المشتغلين بعلم الحديث[٢].

---

[١] مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص: عبد بلبع، ط١، دار الكتب المصرية، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م: ٣٥.

[٢] معالم البيان في الحديث النبوي: عبد المحسن بن عبد العزيز بن العسكر، ط١، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ١٤٣٥هـ: ٨٤.

وقد أفاضَ العلماءُ قديماً في بيان عظمة كلام سيدنا الرَّسول ﷺ، وإظهار عظمة البيان النبويّ، فقد تكلَّم الجاحظ على البيان النبويِّ ووصفه وصفًا دقيقًا عميقًا شاملاً حين قال: " ثمَّ لم يسمعِ النَّاس بكلام قط أعمّ نفعًا، ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبينَ في فحواه من كلامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا "[1].

وقرر الجاحظ أنَّ ما ذهب إليه في وصفِ كلامِ النبي ﷺ هو الحقُّ، وأنَّهُ لم يتكلفْ في مدحِ كلامِ النبي ﷺ بل قالَ الحقيقة الساطعة كما هي، فقال: "ولعلَّ بعض من لم يتَّسع في العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظنُّ أن تكلفنا له من الامتداح والتشريف، ومن التَّزيين والتجويد ما ليس عنده، ولا يبلغه قدره، كلا والذي حَرَّم التزيُّد على العلماء، وَقَبَّحَ التكلف عند الحكماء، وبهرج الكذابين عند الفقهاء، لا يَظنُّ هذا إلا من ضلَّ سعيُهُ "[2].

وقال أبو حيان: " سُنَّةُ رسولِ اللهﷺ السبيلُ الواضح، والنَّجمُ اللائح، والقائد النَّاصح، والعَلَم المنصوب، والأَمَمُ المقصود، والغاية في البيان، والنِّهاية في البرهان، والفزع عند الخصام، والقدرة لجميع الأنام "[3].

---

[1] البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٨٨م: ٢/ ١٨.

[2] البيان والتبيين: ١٨/٢، دراسات في البيان النبوي محمد رفعت زنجير، ط١، دار اقرأ، دمشق، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م: ١٧.

[3] البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق: وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م: ٦/١.

أمَّا الرافعي فإنه أكَّدَ على أنَّ البلاغة النبوية سجدت الأفكارُ لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع وهي من الإحكام كأنَّها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدةَ ممنوعة، يعمرها قلبٌ متصلٌ بجلال خالقه، ويصقِلها لسانٌ نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنَّها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، مُحكمَة الفصول، حتى ليس فيها عروةٌ مفصُولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفصُولة، وكأنَّما هي في اختصارها وإفادتها نبضُ قلب يتكلم، وإنَّما هي في سُموها وإجادتها مظهرَ من خواطره ﷺ، إن خرجت في الموعظة قلتَ أنينٌ من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة قلتَ صورةٌ بشرية من الروح، في مَنزع يلين فينفر بالدموع، ويشتد فينزو بالدماء، وإذا أراك القرآنُ أنَّه خطابُ السَّماء للأرض أراكَ الحديثُ هذا أنَّه كلام الأرض بعد السماء، تعرف الحقيقةَ فيها كأنَّها فكرٌ صريحَ من أفكار الخليقة، وتجيء بالمجاز الغريب فترى من غرابته أنَّه مجاز في حقيقة[١].

وعن أثر الحديث النبويّ الشَّريفِ في اللغة العربية وآدابها عموماً، قال الدكتور شوقي ضيف: " ويمكن أن نلاحظ أثره في أنَّه عاون القرآن الكريم في انتشار العربية، وفي حفظها وبقائها، وكان له أثر أيضاً في توسيع المادة اللغوية بما أشاع من ألفاظ دينية وفقهية لم تكن تستخدم من قبل هذا الاستخدام الخاصّ "[٢].

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، ط٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م: ١٩٣.

[٢] تاريخ الأدب العربي: شوقي ضيف، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٩٥م: ٢/٤٠.

ولا ريبَ أنَّ فضل القرآن الكريم والحديث الشَّريف على العربية غامر شامل، لم يدع ناحيةً من نواحيها إلا نالها وأحدث فيها آثاره العميقة البعيدة، فقد فتح القرآنُ الكريمُ وأحاديث الرسول ﷺ للغة العربية أبواباً كثيرة من فنون القول، فعُولجت فيها أمورٌ لم تكن العربية لتعنى بعلاجها من قبل، كمسائل القوانين والتشريع والقصص والتاريخ والعقائد الدينية، واقتضت هذه الأغراضُ الجديدة الواسعة تغييرًا في أساليب من يتصدى لتلك الأمور، وفي الأخيلة والمعاني تغييراً يتناسب وهذه النقلة الكبيرة التي صارت إليها العربية[١].

ثُمَّ إنَّ بلاغة الحديث الشريف وإن كانت دون بلاغة القرآن الكريم فقد أثرت في اللغة والأدب، كما أنَّ الخطباء والكتّاب والشعراء تأثروا بالحديث النبويّ الشريف، وحاولوا السير على نهجه، وأن الضوابط التي ذكرها البلاغيون في بلاغة الكلام ترجع في أصولها إلى البيان النَّبويّ بعد القرآن الكريم[٢].

وأحاديث سيّدنا رسول الله ﷺ كالروضة الغناء، فيها من كلِّ نبت كريم، ففيها أبَلَغُ الحِكَم، واجمَعُ الكلِم، وأروعُ الأساليب، وأعظم الهدايات، وأسمى التشريعات، وكل حديث من أحاديثِه ﷺ حافِلُ بالنكات النظمية والصور البيانية؛ لأنها جاءت مطابقة للحال[٣].

---

[١] الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية: محمد ضاري حمادي، ط١، الدار العلمية للموسوعات، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩م: ١٧٥-١٧٦.

[٢] البلاغة النبوية وأثرها في أدب الخطابة في صدر الإسلام، دراسة حالة (خطب ثابت بن قيس)، المجلة الإلكترونية، العدد ٧٦.

[٣] معالم البيان في الحديث النبوي: ٧٠.

الفصل الاول

مدخل: تَعْريف علم المعاني

عرفه البلاغيون بأنه: "علمٌ يُعرفُ به أحوالُ اللفظ العربيّ التي بها يُطابق مقتضى الحال "[١].

ويعرف به "كيفيَّة تطبيق الكلام العربي على مقتضى الحال، إذ أنَّ الكتب البلاغية تذكر: الفصيح بدلاً من كلمة العربيّ، وكلمة العربي هنا أخصُّ في المفهوم "[٢].

أو هو " قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحالِ؛ حتى يكون وفق الغرض الذي سِيْق له، وفيه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز حيناً والإطناب آخر، والفصل والوصل، إلى غير ذلك "[٣].

فمنه نعرف مثلاً أنَّ:

١. العرب تُوجز إذا شكرتْ، أو اعتذرتْ.
٢. العرب تُطنب إذا مَدَحت.
٣. الجملة الإسمية تأتي لإفادة الثبات بمقتضى المقام.

فمتى وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه لم يزغ عن أساليبهم ونهج تراكيبهم، وجاء كلامه مطابقاً لمقتضى الحال التي يورد فيها، فالشكر حال يقتضي الإيجاز وإيراد الكلام على هذه الصورة لمقتضى الحال[٤].

---

(١) علم المعاني دراسة وتحليل: كريمة محمود أبو زيد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م:ص٢٧.

(٢) الإيجاز في علم المجاز: لطف الله بن محمد القباني الظفيري (ت: ١٠٣٥هـ)، تحقيق: محمد بركات حمدي أبو علي، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، (د.ت):ص٣٥.

(٣) علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع): أحمد مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، ط٤، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م:ص٤١.

(٤) المصدر نفسه، ص٤١.

المبحث الأوَّل

الخبـــر

الخبر لغة: " خُبِرتُ بالأمرِ، أي: عَلِمْتُهُ، وخُبَّرْتُ الأَمرَ أُخْبرهُ إذا عَرّفتَهُ على حقيقتهِ، والخبرُ بالتحريكِ واحد الأخبارِ، والخبرُ: ما أتاكَ من نبأٍ عمَّن تَستَخبِرُ، والخبرُ: النبأ، وخبَّرهُ بكذا وأخبرهُ: نبّأهُ "(١).

الخبر اصطلاحاً: " هو الكلامُ الذي يحتملُ الصِّدقَ والكذبَ لذاتهِ، باعتبار كونه مجرّد كلام، من دون النَّظر إلى قائله، و من دون النظر إلى كونه مقترنًا بما يدل على إثباته حتمًا، أو نفيه حتمًا، ومدلوله لا يتوقف على النطق به، ويدخل فيه الوعد والوعيد، لأنهما خبران عمّا سيفعله صاحب الوعد والوعيد "(٢).

وأمَّا أغراض الخبر، فالأصل في الخبر أنْ يلقى لأحد غرضين:

أحدهما: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمَّى ذلك الحكمُ فائدة الخبر.

والآخر: إفادة المخاطب أنَّ المتكلمَ عالمٌ بالحكم، ويسمَّى ذلك لازم الفائدة.

فالغرض الأول هنا وهو (فائدة الخبر): يقوم في الأصل على أساس أنَّ من يلقى إليه الخبر، أو من يوجّه إليه الكلام يجهل حكمه، أي: مضمونه، ويُراد إعلامه أو

---

(١) لسان العرب: فصل الخاء: ٢/ ١٠٩٠.

(٢) التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ط١، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م: ص٩٦؛ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، لبنان ناشرون– بيروت، ٢٠٠٠م، ص٤٧٨؛ البلاغة العربية– أسسها وعُلُومَها، وفُنُونُهَا، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، ط٢، دار القلم– دمشق، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م: ١/١٦٧.

تعريفه به، وهذا الغرض الذي يسميه البلاغيون (فائدة الخبر) يتمثل في جميع الأخبار التي يبغي المتكلمُ من ورائها تعريف من يخاطبه بشيء، أو أشياء يجهلها.

أمَّا الغرض الثاني من الخبر: فهو " ما سمَّاه البلاغيون (لازم الفائدة)، وهو ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه أنه- أي المتكلم- عالم بحكم الخبر، أي: مضمونه "(١).

ويخرجُ الخبرُ إلى معانٍ كثيرة تفاد من السياق وقرائن الأحوال، أبرزها " التنشيط، الاسترحام، التحسر والتأسف، إظهار الضعف، الاستعطاف، إظهار الفرح، الشماتة، التذكير ما بين المراتب، الوعظ والإرشاد، العتاب، التعريض، السخرية، المديح، الأمر، النهي، الدعاء، الوعد، الوعيد، التعجب، النصح والتعليم، استنهاض الهمم واستثارة العزائم، الفخر، التحذير والتوبيخ، الإلهاب، وهذا كله يعتمد على بلاغة المتكلم، وذكاء المخاطب "(٢).

ومن مؤكدات الخبر إنَّ، إنَّ، كأن، لكن، لام الابتداء، وقد، والقسم ونونا التوكيد: وهما الثقيلة والخفيفة، ولن: يؤتى بها لتأكيد النفي، والحروف الزائدة: وهى كثيرة، منها الباء ومن، وكذا حروف التنبيه (٣).

---

(١) علم المعاني: عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ)، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م: ص٥٠-٥١.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني): فاضل حسن عباس، ط١٠، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م: ١١١- ١١٢. ينظر: علم المعاني: علم المعاني، وليد إبراهيم قصاب، ط١، دار الفكر، دمشق- دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م: ص٣٠- ٣٦.

(٣) ينظر: أساليب بلاغية (الفصاحة- البلاغة- المعاني): أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، ط١، وكالة المطبوعات - الكويت، ١٩٨٠ م:ص٩٣-٩٩.

وفيما يأتي أبرز المعاني التي خرج إليها الخبر في أحاديث الرقائق:

١ .الحثُّ والترغيب: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدَةً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)[١]، والشاهد في قولهﷺ (من أحصاها دخل الجنة)، فقال البخاري: " أَحْصَاها: حَفِظَها "[٢]، وهناك من قال: المعنى عَمل بها وأحاط معرفة بمعانيها، وقيل: أطاقها، أي: أطاق العمل بها، والطاعة بمقتضى كلِّ اسم منها، وقيل أحصاها: وحَّدَ بها، ودعا إليها، وقيل: أحصاها علماً وإيماناً[٣]، فهنا يخبر سيِّدُنا الرَّسولُ الكريم ﷺ بأنَّ أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين مَنْ حفظها ولزمَ العملَ بها، وهو موقنٌ بكيفية العمل بها دخل الجنة.

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، الرسالة العالمية، دمشق- الجمهورية العربية السورية، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م: ٨٧/٣، رقم الحديث: ح ٨٠٧، ورواه البخاري؛ صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط٢، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ: ١٩٨/٣، رقم الحديث: ٢٧٣٦، ومسلم. ص ١٩٧؛ صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ): مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٩٥٤م: ٢٠٦٣/٤، رقم الحديث: ٢٦٧٧.

(٢) صحيح البخاري: ١١٨/٩.

(٣) مطالع الأنوار على صحاح الآثار: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي أو إسحاق ابن قرقول (ت: ٥٦٩هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق دار التراث،ط١، وزارة الأوقاف- قطر، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م: ٣٢٧/٢.

ويبدو أنَّ الحديثَ الشريف جاء بهذه الصيغة وهي صيغة الإخبار بأسلوب الشَّرط وَترَكَ الأمرَ الصَّريح فَلم يَقُلْ: أحصوها تدخلوا الجنة؛ للإشارةِ إلى أنَّ هذا الأمرَ منَ القواعد العقديَّة البديهيَّة العامَّة الثَّابتة التي ليس بها حاجةٌ إلى الأمر الصَّريح.

ومنه ما روي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً)[1]، قال الطيبيّ: "يعني: أنَّ أخص أمتي بي، وأقربهم مني، وأحقهم بشفاعتي- أكثرهم عليَّ صلاة، من الولي القرب، وضمن معنى الاختصاص فعدي بالباء "[2]، ويرى- هنا- ابنُ حبان ﷺ: في هذا الخبر بأنَّه دليل على أنَّ أولى الناس بسيِّدنا رسول الله ﷺ يوم القيامة يكون أصحابُ الحديث؛ إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه ﷺ منهم[3].

فصيغة الحديث جاءت بلفظ الخبر، ويبدو لي أنَّه ﷺ فلم يقل: أكثروا عليَّ من الصَّلاة لتكونوا أولى الناس بي، ولكنَّه جاء بصيغة الخبر المتضمِّن الحثّ على هذا الفعل، ومعلومٌ أنَّ سيدنا الرسول ﷺ هو (أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)[4]، فكلُّ مؤمن يتمنَّى قربه يوم القيامة، فإذا سمع أنَّ هناكَ عملاً يجعله أقرب النَّاس إليه ﷺ فسيكونُ أحرص الناس عليه، وبذلك يكون هذا الخبرُ أبلغُ من الأمر الصَّريح؛ لأنَّه وبمجيئه بصيغة

---

(١) ١٩٢/٣، رقم الحديث: ٩١١ ، ورمز الإمام السيوطي إلى صحته. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت: ٩١١ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت: ١٨٩/١، رقم الحديث: ٢٢٤٩.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى: بـ(الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الحسين بن عبدالله الطِّيبِيُّ (ت:٧٤٣هـ)، تحقيق عبدالحميد هنداوي، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م: ٣/ ١٠٤٢.

(٣) صحيح ابن حبان: ١٩٣/٣.

(٤) سنن الترمذي: تحقيق: إبراهيم عطوة، ، ٥٨٧/٥، رقم الحديث (٣٦١٦).

الإخبار هو إخبارٌ عن مشهدٍ من مشاهد القيامة، وتصوير للقريب عن سيدنا الرسولﷺ، وهذا المشهد فيه من التأثير في القلوب والنفوس الشَّيء الكثير، وهو ممَّا ليس في الأمر الصريح.

٢. **التحذير والتقريع: ومنهُ قَولُ سيّدنا رَسُول اللَّهِ ﷺ: (دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَعِزَّتِي، لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)**[1]، فظاهرُ لفظ الحديث الإخبارُ عن دعوةِ المظلوم، ومعناهُ تحذيرُ الظَّالم من ظُلْمه، وتخويفهُ بأنَّ دعاءَ من ظلمَهُ سيُستجابُ فيه، مع ما فيهِ من تبشير المظلوم بالنَّصر.

ونلحظ أنَّ في الخبر مؤكدات عدّة:

- **أولها:** القسم بقولهُ (وَعِزَّتِي) .
- **وثانيها:** لام التَّوكيد في(لَأَنْصُرَنَّكِ).
- **وثالثها:** نون التوكيد في الفعل، وليس ذلك لكون المخاطب مُنكراً لمضمون الخبر، ولكن لأهمِّيَّة الخبر وترسيخه في الأذهان.

وهكذا يكونُ قد تضمَّن الخبرُ في هذا الحديث بيان أهمية دعوة المظلوم والاعتناء بشأنه، فقد أقسم الله تعالى بعزته لنصرة المظلوم، وجمع الأسباب السماوية على

---

(١) ٣/ ١٥٨، رقم الحديث: ٨٧٤، وقال الترمذي: "حَدِيثٌ حَسَنٌ ". سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥م، ٥٧٨/٥، رقم الحديث: ٣٥٩٨؛ الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي (ت: ١٤٢٢ هـ)، ط٤، دار الآثار للنشر والتوزيع، صنعاء – اليمن، ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣ م، ٥٦٧/٢، رقم الحديث: ١٥٩٦.

الانتصار بالانتقام من الظالم وإنزال البأس عليه، وقوله: (وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) يدل على أنَّه سبحانه وتعالى يمهل الظالم ولا يهمله[1]، وهو فيما يبدو لي توكيدٌ في المعنى لمضمون ما سبقَ من الخبر.

ومنه ما رُوي عن أبي ذَرٍّ ﷺ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِعَبْدِهِ مَا لَمْ يَقَعِ الْحِجَابُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا وُقُوعُ الْحِجَابِ؟، قَالَ: أَنْ تموتَ النَّفسُ وهي مُشركة)[2]، الشاهد في قوله ﷺ (أن تموت النَّفس وهي مشركة)، فظاهرهُ الإخبارُ، وحقيقته ومعناه التَّحذير من الوقوع في الشِّرك، والإنسانُ لا يعلم متى سيموت، فعليهِ أنْ يكون حذراً على الدَّوام من الشِّرك، والخبر– هنا– طلبيٌّ، فهو مؤكد بضمير؛ لأنَّ المُخاطب خالي الذِّهن، فهذه الأمور تشريعيَّة لا يعلم الصَّحابة عنها شيئاً قبل إخبار سيِّدنا الرسول ﷺ لهم بذلك.

وفي قوله ﷺ (مَا لَمْ يَقَعِ الْحِجَابُ)، أي: بينه وبين رحمة الله، تلميح[3]، إلى قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[4]، فوقوع الحجاب يعني الذي يبعد العبد عن

---

(١) ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، ١٧١٧/٥.

(٢) ٣٩٣/٢، رقم الحديث: ٦٢٦، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. المستدرك على الصحيحين(ومعه تلخيص الذهبي): أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت:٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٤١١ هـ– ١٩٩٠م: ٢٨٦/٤، رقم الحديث: ٧٦٦٠.

(٣) ينظر: لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح: عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدلهوي الحنفي (٩٥٨– ١٠٥٢هـ)، تحقيق: تقي الدين الندوي، ط١، دار النوادر– دمشق– سوريا، ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م: ١٧٢/٥.

(٤) سورة المطففين، الآية: ١٥.

رحمة ربه ومغفرة ذنبه أمَّا قوله ﷺ: (أن تموت النفس وهي مشركة)؛ أي: الشرك بكلِّ نوع من أنواعه(١).

٤.الترغيب والترهيب: وقد يجتمع الترغيب والترهيب في الأخبار الواردة في حديث واحد، ومنه ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ في النار)(٢)، فالخبر الأول في قوله ﷺ: (الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ)، أي: أنَّه جعل أهل الإيمان عَيْنَ الإيمان؛ دلالة على أنهم تمحَّضوا منه، وتمكنوا من بعض شعبه الذي هو أعلى فرع منه، كما جعل الإيمان مقرّاً ومبوأ لأهله في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾(٣)؛ لتمكنهم من الإيمان، واستقامتهم عليه(٤).

والخبر الثاني: الذي جاء لمعنى الترهيب في قوله ﷺ: (وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ في النار)، فلفظه لفظ الخبر، وغايته البلاغيَّة التَّحذير من البذاءة وسوء الخُلُق.

٤. بيان المنزلة: ومنه ما رُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ: (أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ:﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)(٥)، فالخبر جاء في قوله ﷺ: (إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)، أي: في الفضيلة

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، ط١، دار الفكر بيروت– لبنان، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠٢م: ٧٠/٨.

(٢)٢/ ٣٧٤، رقم الحديث: ٦٠٩، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٣) سورة الحشر، من الآية: ٩.

(٤) الكاشف عن حقائق السنن: ٣٢٣٣/١٠.

(٥)٧١/٣، رقم الحديث: ٧٩١، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

والأجر، وإلَّا فإنَّه في الحقيقةِ والشَّرع لا يجوز تفضيلُ شيء من القرآن على شيءٍ منه لذاته، فإنَّ المفضول منقوص، وحاشا القرآن عن ذلك، وإنَّما فضلت هذه السورة في فضل ثوابها، إذ هي سورة الإخلاص ليس فيها شيء من العمل، إنَّما هي التوحيد والتفريد لا غير[١].

والخبرُ في الحديثِ ظاهِرهُ الإخبار بمضمون الخبر، وأمَّا حقيقتُه فهي بيان منزلة تلك السّورة بالنِّسبة لسائر السُّور لما اشتملت عليه، ونلحظُ أنَّ هذا الخبر عزَّزته مؤكِّدات ثلاثة:

أوّلها: القَسَم بقوله ﷺ (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) من أقوى المؤكدات اللفظية في اللغة العربية، بل عدّه البعض من أعلى درجات التوكيد في الجملة[٢]، والقسم هو: الحلف بالله تعالى من قبل العباد لتأكيد الكلام وتصديق المتكلم أو هو عقد يقوي به الحالف عزمه على فعل أمر أو تركه، أو هو تقديم لتوثيق الصدق قبل ذكر الدعوى[٣]؛ لأنّه يقرع أذن المخاطب، ثمّ تأتي الدعوى بعدها، وهو على أشكال متنوعة، منها ما هو صريح، ومنها ما هو مضمر غير صريح[٤]، وهو هنا صريحٌ والصريح أقوى.

(١) ينظر: أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري): أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ط١، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م: ٢٢٨٣/٤.

(٢) ينظر: معاني النحو: ١٣٧/٤-١٣٨.

(٣) ينظر: الكتاب -٤٥٤/١، شرح المفصل لابن يعيش: ٩٠/٩.

(٤) ينظر: معاني النحو: ١٣٧-١٣٨.

وثانيها: إنَّ وهي أداة لتوكيد النسبة في الجمل، ولا تتصل إلّا بالمسند إليه، ولها صدر الجملة دائماً[١]، وهي من أبرز مؤكدات الحكم في ضربي الخبر الطلبي والإنكاري[٢].

وثالثها: لام التوكيد.

٦.الترغيب واستنهاض الهمم: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا نَهَارًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ)[٣]، فظاهرُ لفظ الحديث الإخبارُ بفضيلة سورة البقرة، وحقيقته وغايته البلاغيَّة استنهاض الهمم لقراءتها، وقد تضمن الحديث إشارتين بلاغيتين:

إحداهما: مجاز بالاستعارة، بأنَّه استعار لفظة سنام (من سنام الجمل)، على سبيل الاستعارة المكنيَّة؛ والغاية الدلاليَّة بيان علوِّها؛ وذلك لعلو معانيها وكثرة علومها وارتفاعها[٤].

---

(١) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤م: ٢٣٧.

(٢) معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة، ط٣، دار الرفاعي، السعودية، ١٩٨٨م:مادة (إنّ).

(٣)٥٩/٣، رقم الحديث: ٧٨٠، وصححه الحاكم و وافقه الذهبي. المستدرك على الصحيحين(ومعه تلخيص الذهبي): ٢٨٥/٢، رقم الحديث: ٣٠٢٧.

(٤) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، ط١، دار الفكر المعاصر، (بيروت- لبنان)، دار الفكر، (دمشق- سورية)، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م: ٣٢١٩/٥، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين (ت: ١١٨٢هـ)، تحقيق: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، ط١، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م: ٨٣/٩.

والأخرى: الخبر بأنَّ سورة البقرة هي أعلى قمَّة في موضعها في كتاب الهداية والإرشاد والموعظة، فتنوعت أساليبه وقصصه، وتعددت فنونه وكذلك تحذير الإنسان من أمور يجهلها في حياته، وأن يتَّعظ ممن سبقه.

ونلحظُ أنَّ الخبر إنكاريٌّ؛ لأنه احتوى على مؤكد واحد وهو إنَّ نُزِّل فيه غيرُ المنكر وهم الصحابة ﷺ منزلة المنكر؛ مُبالغةً في استنهاض الهمم والحث على قراءة تلك السورة.

المبحث الثَّاني

الإنشاء الطلبي

الإنشاء لغةً: نشأ: أَنْشَأَه الله: خَلَقَه، ونَشَأَ يَنْشَأُ نَشْأً و نُشُوءاً و نَشَاءً ونَشْأَةً نَشاءَةً: حَيي، وأَنشَأَ اللهُ الخَلْقَ أي ابتَدأَ خَلْقَهم(١).

والإنشاء اصطلاحاً: عرفه القزوينيُّ (ت: ٦٦٦- ٧٣٩هـ) بقوله: " هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن أي بأدوات مخصوصة فيخرج مثل علمني –والمراد بالصورة المعلوم وقيل العلم"(٢)، يعني أنَّ الإنشاء الطلبيّ هو مدار الدراسات البلاغيَّة

وقال الشريف الجرجاني: " قد يُقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارجُ تُطابقه أولا تُطابقه، وقد يُقال على فعِل المتكلَم، أعني: إلقاء الكلام الإنشائيَ، والإنشاء أيضاً: إيجاد الشيء الذي يكون مَسبوقاً بمادّة ومُدّة "(٣).

وقد سار معظمُ البلاغيين على تعريف القزويني حتى زمننا هذا، فقد قال عبده عبد العزيز قليقلة: " هو ما يطلب به حصول شيء لم يكن موجوداً عند الطلب وهو: الأمر، والنهي، والاستفهام، والرجاء، والتمني، والنداء "(٤).

---

(١) يُنظر: لسان العرب، ١٧٢/١. (مادة: نشأ).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م: ٥٥/٣.

(٣) التعريفات:ص٣٨.

(٤) البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قليقلة، ط٣، دار الفكر، ١٩٩٢م: ١٤٧، الكافي في علوم البلاغة العربية– المعاني– البيان– البديع، عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، ط١، الجامعة المفتوحة، ١٩٩٣م: ٢٥٠/١.

المطلب الأول: الأمـــر

الأمرُ من أنواع الإنشاء الطلبيّ، والأظهر أنَّ صيغته من المُقْتَرِنَة باللام نحو ليحضر زيدُ، وغيرها، نحو: أكْرِمْ عمراً، ورُوَيْدَ بكراً- موضوعةُ لطلب الفعل استعلاءً، لتبادُر الذهن عند سماعها إلى ذلك، وتوقف ما سواه على القرينة[١]، و أما عند الشَّريف الجرجاني (ت: ٧٤٠- ٨١٦هـ): " فهو قول القائل لمن دونه: افعل "[٢].

فهو هو طلب حصول الفعل، ودراسته من وجهة نظر البلاغة تتركَّز على الأمر غير الحقيقيّ، والأمر البلاغي أكثر من الأمر الحقيقي؛ لأنَّ الأمر الحقيقي لن يكون على سبيل الاستعلاء فقط، بل على سبيل الاستعلاء والإلزام[٣]، ويعني الاستعلاءُ أن يَعُدّ الآمرُ نفسه عالياً، سواء أكان عالياً على الحقيقة ونفس الأمر أم ادّعاءً[٤].

ويُفادُ مِنْ ظاهر صَيغ الأَمر التكليفُ الإلزامِيُّ بالفعل[٥]، وصيغ للأمر[٦]، وهي:

١. فعل الأمر.
٢. المضارع المقترن بلام الأمر.
٣. المصدر النائب عن فعل الأمر.
٤. اسم فعل الأمر.

---

(١) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ص١٤١.
(٢) التعريفات: ص٣٧.
(٣) يُنظر: البلاغة الاصطلاحية: ص١٥٠- ١٥١.
(٤) يُنظر: الكافي في علوم البلاغة العربية: ص٢٥١.
(٥) البلاغة العربية: الميداني، ٢٢٩/١.
(٦) البلاغة الاصطلاحية: ص١٥١.

ويخرج الأمر عن معناه الأصلي: وهو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام إلى معانٍ أخرى تفهم من سياق الكلام كالوجوب: وذلك أن يكون أمراً وهو واجب(١)، أو النصح والإرشاد: إذ تُستعمل الصيغة في سياق التعليم وبيان ما ينبغي فعله(٢)، أو التهديد: قيل هو الطلب الدال على تسخط الإتيان بالمأمور به، وهو في الحقيقة إخبار بشيء يكون وقوعه في المستقبل من المُخبِر ويوجب ضرراً للمخبَر(٣)، أو الاباحة، أو التمني.

ومن تطبيقات الأمر في الأحاديث الشريفة موضوع الدراسة ما خرج للمعاني الآتية:

١. **الدعاء لغرض التَّعليم: ومنه ما روي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ** ﷺ، **قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ **يَقُولُ: (اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ، خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي)**(٤)، والشاهد في قول سيِّدنا الرسول ﷺ (فَحَسِّن خلقي)، فلفظُهُ لفظ الأمر وحقيقته الدعاء.

وهو هنا لغرض تعليم الأمَّة الدعاء؛ لأنَّ سيّدنا الرسول ﷺ أجمل الخَلق، وأعظمهم خُلُقاً، وقد بلغ الكمال في كلِّ ذلك، فليس به حاجة إلى زيادة، وإنَّما غايته تعليم المسلمين، والإنسان حتى وإن كان من أشد الناس دمامةً فهو حسن الخَلْق، والخُلُق: هو الصورة الباطنة، فكم من إنسان من أحسن الناس خَلقاً، لكن خُلُقه سيئ، ومن فوائد هذا الحديث الثناء على الله ﷻ والاعتراف له بالنعمة بتحسين

---

(١) البلاغة والتطبيق: ص١٢٧.

(٢) الكافي في علوم البلاغة: ص٢٥٧.

(٣) يُنظر: شرح التلخيص، للشيخ أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود بن أحمد البابرتي، (ت: ٧٨٦هـ)، دراسة وتحقيق: محمد مصطفى رمضان صوفية، ط١ ، ١٩٨٣م: ص٢٦٢.

(٤)٣/ ٢٣٩، رقم الحديث: ٩٥٩، قال المحقق: " صحيح بشاهده، وإسناده حسن ".

الخلقة، وكذلك حث الإنسان على سؤال الله تعالى أن يُحسِّن خُلُقه؛ لأنَّه إذا حَسُنَ خُلُقه استراح واطمأنَّ[١].

٢. **الإرشاد والترغيب: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ، وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي آخِيَّتِهِ يَجُولُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ، فَأَطْعِمُوا طَعَامَكُمُ الْأَتْقِيَاءَ، وَوَلُّوا مَعْرُوفَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ)**[٢]، والآخيَّة: بالمد والتشديد– خشبةُ يدفن طرفاها في المعلف وتُشدُّ به الدابة، والمعنى: أنَّ المؤمن مربوطٌ بالإيمان من ملازمة الطاعة، لا انفصام له عنه وإنَّه وإن اتفق أن يحوم حول المعاصي ويتباعد من قضية الإيمان من ملازمة الطاعة والاجتناب عن المعصية فإنَّه يعود بالأخرة إليها بالندم والتوبة وتلافي ما فرط فيها[٣].

الأمر في قوله ﷺ (أطعموا– وولوا) فلفظُهُ لفظ الأمر، وليس هو على الوجوب والإلزام؛ لأنَّ من عادة الناس الإطعام وعمل المعروف مع كلِّ أحد، لكن لمَّا كانت الغاية إرشاد النَّاس إلى أفضل ما يؤجرون عليه، فإنَّه ﷺ رَغَّبهم في

---

(١) ينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، ط١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م:٦/٤٥٦– ٤٥٧.

(٢)٢/٣٨١، رقم الحديث:٦١٦، قال الهيثمي: " رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ أَبِي سُلَيْمَانَ اللَّيْثِيِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ التُّجِيبِيِّ، وَكِلَاهُمَا ثِقَةٌ ". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي(ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م: ١٠/٢٠١، رقم الحديث: ١٧٥٣٤.

(٣) ينظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: نور الدين طالب وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية– الكويت، ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢هـ: ٣/١٢٢.

اختصاص الأتقياء بالطعام، وعمل المعروف مع المؤمنين خاصَّة، وقوله:(فأطعموا): جزاء شرط محذوف، أي: إذا كان حكم الإيمان حكم الآخية فقووا الوسائل بينكم وبينه (وأطعموا طعامكم الاتقياء): وإنما خصَّ ﷺ الاتقياء بالطعام؛ لأنَّ الطعام يصير جزءاً من البدن فيتقوى به على الطاعة؛ فيدعو لكَ، ويستجاب دعاؤه في حقك، وليس كذلك كسائر المعروف؛ ولهذا عممهُ لعموم المؤمنين بقوله: (وأولوا) من الإيلاء وهو الإعطاء، أي: خُصوا (معروفكم): أي إحسانكم (المؤمنين)؛ أي: أجمعين دون المنافقين والكافرين[1].

٣. **الإكرام: ومنه ما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ: (أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَذْنَبْتُ، فَقَالَ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنُوبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَذْنَبْتُ، فَقَالَ: أَذْنَبَ عَبْدِي وَعَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ)**[2]، الشَّاهد في الأمر في قوله ﷺ: (اعمل ما شئت)، فظاهرُ اللفظ إباحةُ عمل كلِّ شيء، وليس المقصود هذا، وإنَّما الغرضُ منه الإكرام.

لأنَّ تكريره الطلب بحُسن الأدب اقتضى من كرم الله ﷻ إطلاق العفو والمغفرة له؛ وكأنَّه سبحانه يقول: استحييتُ من كثرة سؤاله؛ فتركتُه ليردّه استحياؤه[3].

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٢٧٣٨/٧.

(٢) ٣٩٢/٢، رقم الحديث: ٦٢٥، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٣) ينظر: الإفصاح عن معاني الصحاح: يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت: ٥٦٠هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، (د. ط)، دار الوطن، ١٤١٧هـ:، ٢٦٠/٦.

٤. **الخبر: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)**[١]، والشَّاهد في قوله (فاصنع)، فالأمر جاء بمعنى الخبر[٢]، أي: إذا لم تخشَ من العار عملت ما شئت لم يردعك عن مواقعة المحرمات رادع، وسيكافئك الله تعالى على فعلك ويجازيك على عدم مبالاتك بما حرمه عليك، وهذا توبيخ شديد؛ فإنَّ من لم يعظم ربه ليس من الإيمان في شيء، أو هو تهديد من قبيل قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ﴾[٣]، أي: اصنع ما شئتَ فسوف ترى غيَّه، كأنه يقول: إذ قد أبيت لزوم الحياء فأنت أهل لأن يقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه، ويتبين لك فساد حالك، أو هو على حقيقته، ومعناه إذا كنت في أمورك آمناً من الحياء في فعلها لكونها على القانون الشرعي الذي لا يستحي منه أهله فاصنع ما شئت، ولا عليك من متكبر يلومك ولا من متصلف يستعيبك، فإنَّ ما أباحه الشرع لا حياءَ في فعله[٤].

٥. **التهذيب: ومنه ما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ مِمَّنْ**

---

(١) ٣٧١/٢، رقم الحديث: ٦٠٧، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٢) المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): انعام قوّال عكاوي، مراجعة: أحمد شمس الدين، ط٣، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٦م: ص٢٢٨.

(٣) سورة فصلت، من الآية: ٤٠.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ: ٤٣/١.

فُضِّلَ هُوَ عَلَيْهِ)[1]، الشاهد في قوله ﷺ (فلينظر) على صيغة فعل الأمر المقترن بالفاء.

وهذا الحديث جامع لأنواع من الخير؛ لأنَّه إذا رأى من فُضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، فاستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرصَ على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، لكنَّه مأمور بتهذيب هذا الطبع وتقويمه بما يوافق الشرع، لذا فإنه إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله تعالى فشكرَها وتواضعَ وفعل فيه الخير[2].

٦. **الدَّوام: عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه)**[3]، فالأمر في قوله ﷺ: (اقرؤوا القرآن)، وليست الغاية الأمر بالقراءة؛ لأنَّ ذلك معلوم لهم.

ولكنَّ المعنى: داوموا على قراءته ما اجتمعت (عليه قلوبكم)، أي: مادامت قلوبكم تألف القراءة (فإذا اختلف فيه)، أي: صارت قلوبُكم في فكرة شيء سوى قراءتكم وصارت القراءة باللسان مع عيية الجنان، أي: صار القلب مخالفاً للسان (فقوموا عنه)؛ أي: اتركوا قراءته حتى ترجع قلوبكم، وبمعنى آخر، إذا اختلفتم في فهم معانيه فقوموا عنه، أي: تفرقوا؛ لكي لا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر، ويحتمل أن يكون المعنى اقرؤوا، أي: الزموا الائتلاف على ما دلَّ عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف، أي:

---

(١) ٤٨٩/٢، رقم الحديث: ٧١٢، قال المحقق: " حديث صحيح ".

(٢) البدر التمام شرح بلوغ المرام: الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ المغربي(ت: ١١٩هـ)، تحقيق: علي بن عبدالله الزين، ط١، دار هجر، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م: ١٥٧/١٠.

(٣) ٥/٣، رقم الحديث: ٧٣٢، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

عرض عارضٌ بسببه يقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق فاتركوا القراءة، وتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة، وأعرضوا عن المتشابه المؤدي إلى الفرقة[١].

٧. **الإرشاد والنّصح: ومنه قَول سيّدنا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ للنِّساء: (عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ، فَإِنَّهُنَّ مَسْؤُولَاتٌ وَمُسْتَنْطَقَاتٌ)[٢]**، فالشاهد في قوله ﷺ (عليكنَّ) فهو اسم فعل أمرٍ، وهذه كلمةٌ تدلُّ على التحريض والإغراء، يعني: إلْزَمْنَ التَّسبيح والتهليل والتقديس، فهو أمرٌ ليس على الوجوب؛ أي إرشادهنَّ إلى قضاء الوقت بما ينفع من ذكر الله تعالى.

وليس المراد تحريضهنَّ على هذه الألفاظ الثلاثة فقط، بل المراد منه جنس الذِّكر أيّ لفظ كان، وقوله ﷺ (اعقدن بالأنامل)، يعني: أعددن عدد مرات التسبيح بأصابعكنَّ. (فأنَّهن مسؤولات)، وهذا تحريض على استعمال المرء أعضاءه في الخيرات وحفظها عن السيئات، (مستنطقات)، أي: يخلق اللهُ في الأعضاء النُّطق؛ حتى تشهد بما عملت[٣].

ومنهُ ما روي عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ)[٤]، والشاهد فيه

---

(١) السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير والنذير: علي بن الشيخ أحمد بن أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي (ت: ١٠٧٠ هـ)، د.ط، دار المعرفة، بيروت، د.ت: ٢٧٠/١.

(٢) ١٢٢/٣، رقم الحديث: ٨٤٢ ، قال المحقق: " إسناده حسن ".

(٣) المفاتيح في شرح المصابيح: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني الكوفي الضرير الشيرازي الحنفي المشهور بالمظهري (ت: ٧٢٧هـ)، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط١، دار النوادر، وزارة الاوقاف الكويتية، ١٤٢٣هـ- ٢٠١٢م ، ١٧٠/٣-١٧١.

(٤)٢٢٢/٣، رقم الحديث: ٩٤٢، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

فعل الأمر في قوله ﷺ: (قُلْ) آمَنْتُ بِاللَّهِ فالصحابي مؤمنٌ بالله موقن مستقيم، وقد جاء الأمر لغرض إرشاده وإرشاد عامَّة الناس إلى أفضل شيء.

ومعنى (استقم): الزمْ عملَ الطاعات، وانتهِ عن جميع المخالفات، والأمر بالاستقامة، مدلولهُ تحرّي الإصابة في جميع الأقوال، فمتى استقام القلبُ استقامت الجوارح كلها على طاعة الله تعالى، فإنَّ القلب مَلِكُ الأعضاء وهي جنوده؛ فإذا استقام الملك استقامت جنوده(١).

ومنه أيضاً ما رُوي عن ابن عُمَرَ –رضي الله عنهما– قَالَ: (أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي – أَوْ قَالَ بِمَنْكِبَيَّ– فقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سبيل، قال فكان ابن عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَّاحَ، وَخُذْ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)(٢)، والشاهد في هذا الحديث الأمران في (كن– خذ) خرج لغرض النُّصح والإرشاد.

وهو الطلب الذي لا إلزامَ فيه ولا تكليف، وإنَّما يحمل بين طياته الموعظة، والتوجيه نحو الطريق الصَّحيح(٣).

والمخاطَب ليس ابن عمر فقط وإنَّما المؤمنون كافة، فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب)، أي: لا تركنْ إلى الدنيا، وكن فيها مثل الغريب الذي لا يعلق قلبه إلا بوطنه.

---

(١) التحف الربانية في شرح الأربعين حديثاً النووية– ومعها: شرح الأحاديث التي زادها ابن رجب الحنبلي: اسماعيل بن محمد بن مالي السعدي الأنصاري (ت: ١٤١٧هـ)، ط١، دار نشر الثقافة– الاسكندرية، ١٣٨٠هـ: ص٤٧.

(٢) ٢/٤٧١–٤٧٢، رقم الحديث: ٦٩٨، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٣) ينظر: البلاغة العربية (المفهوم والتطبيق): حميد آدم ثويني، ط١، دار المناهج، عمان– الأردن، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م: ص٩١.

(أو عابر سبيل) وهو المسافر، فما أنتَ في دنياك إلا مسافرٌ إلى وطنك الحقيقيّ وهو الدار الآخرة، (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح)، أي: لا تؤخِّر عملاً من الطاعات إلى الصباح، فلعلك تكون من أهل القبور (وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء)، أي: فلا تؤخِّر عمل الخير إلى المساء؛ فقد تعالجك المنونُ. (وخذ من صحتك لمرضك)، أي: اغتنم الأعمال الصَّالحة في الصحة قبل أن يحول بينك وبينهم السقم، (ومن حياتك لموتك)، أي: واغتنم في حياتك الدنيا ما ينفعك بعد موتك[١].

ومن أحاديث النصح والإرشاد ما رُويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يتغمَّدني بمغفرةٍ وفضلٍ)[٢]، ورد النصح والإرشاد في قوله ﷺ (سددوا وقاربوا)، ومدلولهُ القصد في التوسط والاعتدال في العبادة[٣].

وفي الحديث أمر بشيئين: التسديد، والمقاربة، وإخبارٌ بأمرين:

أحدهما: أنَّ دخول الجنة ليس بالعمل، بل بفضل الله ورحمته.

والآخر: أنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله أدومُها، وإنْ قلَّ.

أ. **فأمَّا التسديد في الأمور طلب السداد فيها:** وهو القصد والعدل أي ما بين الإفراط والتفريط، وفسر السداد بالصواب وهو مقارب للقصد؛ لأنَّ التقصير في

---

(١) منار القاري شرح صحيح البخاري: حمزة محمد قاسم، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق- سوريا، مكتبة المؤيد-الطائف المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م: ٥/٢٩٠-٢٩١.

(٢) ٢/ ٤٣٦-٤٣٥، رقم الحديث: ٦٦٠، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت: ص٦٣/٢٣.

المطلوب أو المغالاة فيه تخرجه عن الصواب، والقصد في الأمور ما كان عليه سيدنا محمد ﷺ في تطهرهم، وصلاتهم وصيامهم وصدقاتهن، وأخلاقهم ..الخ.

ب. **المقاربة وعدم الإفراط في العبادة:** لأن إجهاد النفس فيها يقضي إلى الملال فيؤدي إلى تركها، فيكون الإفراط فيها من التفريط والتقصير، فالمطلوب منا في الأعمال المقاربة لا المبالغة[1].

(١) الأدب النبوي: محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (ت: ١٣٤٩هـ)، ط٤، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٣هـ: ص١٨٠-١٨١.

المطلب الثَّاني: النَّهـــــي

عَرَّف أسلوب النهي بأنه: " طَلَبُ الكفّ عن شيءٍ ما، مادّيَّ أو معنويّ، وتدلُ عليه صيغةُ كلامية واحدة هي " الفعل المضارع الذي دخلت عليه (لا) الناهية "[١].

ويفادُ منْ صيغة النهي التكليف الإلزاميُّ–الحقيقي– بالترك وعدم الفعل[٢].

ويتفق النَّهيُ مع الأمر في أمورٍ، ويختلف في أخرى، قال العلوي: " اعلم أَنَّ الأمر والنَّهي يتفقان في أنَّ كلَّ واحد منهما لا بُدّ فيه من اعتبار الاستعلاء، وأنَّهما جميعاً يتعلقان بالغير، فلا يُمكن أن يكون الإنسان آمراً لنفسه، أو ناهياً لها، و إنهما جميعاً لا بُد من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريداً لهما، إلى غير ذلك من الوجوه الاتِّفاقية، ويختلفان في الصيغة؛ لأن كل واحد منهما مخُتصٌّ بصيغةٍ تخالف الآخر، ويختلفان في أن الأمر دالّ على الطلب، والنهيَ دالّ على المنع، ويختلفان أيضاً في أنَّ الأمر لا بدّ فيه من إرادة مأموره، وأن النهيَ لابدّ فيه من كراهَية مَنْهِيّة "[٣].

ومن المعاني الأخرى التي تحملها صيغة النهي وتفاد من السياق وقرائن الأحوال: التحريم، الإرشاد، التحذير، الدعاء، التعليم وتربية اليقين في النفوس، الكراهة، التأديب.

وأما أهمُّ الأغراض المجازية للنَّهي في أحاديث الرقائق أذكر منها ما يأتي:

١. **التحريم: عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَّالَمُوا، يَا عِبَادِي**

(١) البلاغة العربية: الميداني، ص٢٢٨/١.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢٢٨– ٢٢٩.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت: ٧٤٥هـ)، ط١، المكتبة العصرية– بيروت، ١٤٢٣هـ: ٣/ ١٥٧.

إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلَا أُبَالِي)[1]، فقوله: (حرَّمْتُ الظلم) التحريم في اللغة: الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ وَالتَّشْدِيدُ[2]، وقوله: (فلا تظالموا) بفتح التاء، مضارع بحذف حرف المضارعة، والمراد: لا يظلمْ بعضُكم بعضاً. وهو توكيدٌ لقوله: (وجعلته بينكم محرماً)، وزيادةٌ في تغليظ تحريمهُ[3].

٢. **الإرشاد: روي أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَدَّى عَنِ الزُّهْرِيِّ سَبْعَةَ آلَافِ دِينَارٍ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِلزُّهْرِيِّ لَا تَعُودَنَّ تَدَّانُ فقَالَ الزُّهْرِيُّ كَيْفَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟، وَقَدْ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا يُلْدَغ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)**[4]، فقوله: (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)، يروى (ولا يلدغُ) برفع الغين على أنَّه خبر، وبكسر الغين، وأصله السكون؛ لأنَّه نهيٌ، فحُركت بالكسر لالتقاء الساكنين، ومعنى الحديث: أنه لا يجوز لمؤمن أن يُخدع في أمر الدِّين ولا شؤون الدنيا مرةً بعد مرة، مثل أن يجلس مع أحد فظنَّه صالحًا، فإذا جرَّبه يقينًا تبيَّن له أنه مبتدعٌ أو فاسق لا يقبل النصيحة، فإذا علم حاله لا

(١) ٣٨٥/٢، رقم الحديث: ٦١٩، رقم الحديث: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٤٥/٢، مادة (حَرَمَ).

(٣) البدر التمام في شرح بلوغ المرام: الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ المعروف بالمغربي (ت: ١١١٩ هـ)، تحقيق: علي بن عبدالله الزين، ط١، دار الهجر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م: ٢٩٤/١٠- ٢٩٥.

(٤) ٤٣٨/٢، رقم الحديث: ٦٦٣، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

يجوز له أن يجالسه بعد ذلك إلا أن يرجع إلى الصَّلاح، أو يعمل عملاً تتبيَّن له عاقبته المضرَّة الدنيويَّة –كالدَّين الثقيل–، ثمَّ يُكرّره[١].

فقوله (لا يُلدغ) الأمر فيهِ على سبيل النُّصح والإرشاد؛ النابع من تجربةٍ سابقة خاضها المؤمنُ بنفسه، دون المعنى الحقيقي الذي يقتضي الإلزام[٢].

٣. **التحذير: عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تتَّخذوا الضَّيعةَ؛ فتَرْغبوا في الدُّنيا)**[٣]، والضَّيْعَةَ: وَهِيَ الْبُسْتَانُ وَالْقَرْيَةُ وَالْمَزْرَعَةُ، وَضَيْعَةُ الرَّجُلِ مَا يَكُونُ مِنْهُ مَعَاشُهُ، وهو يَشملُ كلَّ ما يَمتلكهُ الإنسانُ للاستثمارِ –كما نسمّيه في زمننا هذا–. (فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا)، أَيْ: فَتَمِيلُوا إِلَيْهَا عَنِ الْأُخْرَى، وَالْمُرَادُ النَّهْيُ عَنِ الِاشْتِغَالِ بِهَا وَبِأَمْثَالِهَا مِمَّا يَكُونُ مَانِعًا عَنِ الْقِيَامِ بِعِبَادَةِ الْمَوْلَى، وَعَنِ التَّوَجُّهِ كَمَا يَنْبَغِي إِلَى أَمْرِ الْعُقْبَى والمُرادُ لا تَتَوغَّلوا في ذلكَ فَتَرْغَبوا عن صَلاح آخِرتِكُم، وتشتغلوا في طلبِ الدُّنيا فلا تَشْبعوا منها[٤].

---

(١) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (ت: ٧٢٧ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط١، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية– وزارة الأوقاف الكويتية، ١٤٣٣ هـ– ٢٠١٢ م: ٢٤٤/٥؛ الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي (ت: ٨٩٣ هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٢٩ هـ– ٢٠٠٨ م: ٤٨٦/٩.

(٢) ينظر: فتح الباري: ٢١٢/٧.

(٣) ٤٨٧/٢، رقم الحديث:٧١٠، قال المحقق: " صحيح ".

(٤) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٢٤٢، تطريز رياض الصالحين: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت: ١٣٧٦هـ)، عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، ط١. دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م: ١/ ٣٢٣.

فالنَّهيُ في هذا الحديث ليس نهياً حقيقيّاً، ولو كان كذلك لصار مدلوله تحريم اتِّخاذ شيءٍ من الأملاك، ولكنَّه على التحذير، ويدلُّنا على ذلك التعليلُ الذي جاء بعد النَّهي، مُتمثِّلاً بالتمسُّك بالدنيا ونسيان الآخرة.

٤. **الدعاء: ومنه ما رُويَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي اللهُ عنهما-، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، يَقُولُ: رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي، وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ أَوَّاهًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي)**[1]، قال مظهر الدين الزيداني: " قوله ﷺ: (ولا تعن علي)، يعني: ولا تُغلب عليَّ أعدائي، ومثله: (وانصرني ولا تنصر علي)، والنَّهيُ هنا كلّه للدعاء. فإن قيل: فإذا كان معناهما واحداً، فأيُّ فائدةٍ في التكرار؟، قلنا: أَكثرُ استعمال الإعانة في الدعاء، في طلب إعانة الله على الذِّكر والطاعة، وأكثرُ استعمال النُّصرة في طلب النصرة على الأعداء، فقوله: (أعني ولا تعن عليَّ)؛ معناه وفِّقني لذكرك وشكرك وعبادتك، ولا تغلب علي من يمنعني عن طاعتك من شياطين الإنس والجن. قوله: (وانصرني ولا تنصر علي) معناه: اللهم غلبني على الكفار ولا تغلبهم عليَّ. (وامكر لي ولا تمكر عليَّ). و(المكر): الحيلة والتفكر في دفع العدو على

(١) ٣/ ٢٢٧-٢٢٨، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

وجه لا يعرف العدو طريقه. ومعنى هذا الكلام: اللهمَّ اهدني على طريق دفع العدوِّ، ولا تهد العدوَّ على طريق دفع عن نفسه"[١].

ومنه ما روي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)[٢]، فالنهي هنا في قوله ﷺ (فلا تكلني) للدعاء، أي: لا تتركني كَلّاً (إلى نفسي طرفة عين)؛ أي: لحظةً ولمحة أو أدنى من ذلك؛ فإنَّها أعدى لي من جميع أعدائي، وإنَّها عاجزة لا تقدر على قضاء حواجي[٣].

٥. **التَّعليم وتربيةُ اليقين في النفوس: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لَا يَقُلْ أَحَدُكُمُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ)**[٤]، قال ابن الملك: " نهى عن قول: (إن شئتَ) في الدعاء؛ لأنَّ هذا شكٌّ في قبول الدعاء، ولأنَّ لفظ "إن شئت" إذا قلتَه لأحد معناه: إنِّي جعلت الخيرة إليك؛ يعني: لم يكن قبل قولك: "إن شئت" مختاراً، بل لو لم تقل: (إن شئت) كان يلزم عليه قبول الدعاء؛ شاء أو لم يشأ، فإذا قلت: (إن شئتَ) جعلته مخيراً، وهذا لا يجوز في حقِّ الله تعالى، فإنَّه لا حكم لأحد عليه، وليس لأحد أن يكرهه، بل هو فعَّالٌ

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط١، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية- وزارة الأوقاف الكويتية، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م: ٢٤٥/٣.

(٢) ٢٥٠/٣، رقم الحديث: ٩٧٠، قال المحقق: " إسناده حسن " .

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٦٩٧/٤.

(٤) ٢٥٧/٣-٢٥٨، رقم الحديث: ٩٧٧، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

لما يريد، فكيف يجوز أن يقال: "إن شئت"، بل يعزم السائلُ مسألته، وليسأل من غير شك وتردد، بل ليكن مستيقناً في قبول الدعاء، فإن الله تعالى كريم لا بخل عنده، وقدير لا يعجز عن شيء "[1].

فالنَّهيُ هنا للتعليم؛ لأنَّ الصحابة الكرام ﷺ لم يكونوا يعلمون ذلك، وغايته تربية اليقين في النفوس بقدرة الله تعالى وكرمه.

٦. **الكراهة: ومنه ما رُوِيَ عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يُحَدِّثُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي)**[2]، والشَّاهد في قوله: (لا يتمنين)، والخطاب للصحابة الكرام ﷺ والمراد – بلا ريبٍ– هُم ومَن بعدهم من المسلمين إلى يوم القيامة. قوله: (من ضر)، أي: لأجل ضُرٍّ أصابه، وهو يشمل المرض وغيره من أنواع الضرر كالبلاء والفقر. قوله: (فاعلاً)، أي: يرى أنَّه لابدَّ أنْ يتمنَّى. قوله: (ما كانت الحياة) أي: مدة كون الحياة خيراً لي وأفضل وهو نهيٌ لمعنى الكراهة؛ لورود أحاديث أخرى تُجيز الدعاء بالقبض، ووقع النَّهيُ؛ لأنه في معنى التبرم عن قضاء الله تعالى[3].

ويبدو أنَّ الفائدة البلاغيَّة من هذا النهي تنبيه المؤمن إلى أنَّه لا يعلم ما هو الخير له حتى ولو طال عليه البلاء، فربَّما يعقبه الخير، فيعيش حياةً سعيدة في طاعة الله، فتعلو درجته في الجنة.

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح: ٣/ ١١٩– ١٢٠.

(٢)٣/٢٤٨، رقم الحديث: ٩٦٨، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٣) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢١/٢٢٥–٢٢٦.

٧.**التأديب: ومنه ما روي عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا مِنْ شَرِّهَا)**[١]، والشاهد في قوله: (لَا تَسُبُّوهَا)، فهو نهيٌ لغرض التأديب؛ والدليل على ذلك أنَّه أعقبَ النَّهيَ ببيان منزلة الرِّيح وكونها (من روح الله تعالى)، أي: من رحمته، فهي تأتي بالغيث والراحة والنسيم، كما أنَّها تأتي بالعذاب بإتلاف الموارد، وهي في كلِّ ذلك مأمورة ولا ذنب لها؛ لأنَّها جندي من جنود الله تعالى[٢]، فيجبُ علينا كما نتأدب مع الله نتأدب مع جنوده.

المطلب الثالث : الاستفهـــام

عرَّف الشريف الجرجاني الاستفهامَ بقوله: " استعْلامُ ما في ضَمير المُخَاطَب. وقيل: هو طلبُ حصولِ صورةِ الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصُّورةُ وقوعَ نسبةٍ بينَ الشيئين؛ أولاً: وقوعَها، فحصولهُا هو التَّصديقُ، وإلا فهو التَّصوُّرُ "[٣]، وعرفه عبد العزيز قليقلة بأنَّه: " طَلَبُ العِلْمِ بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبلُ "[٤].

وأشار الدكتور أحمد مطلوب إلى أنَّ الاستفهام: " هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبلُ وهو الاستخبار، قالوا فيه: إنَّه طلب خبر ما ليس عندك، وهو بمعنى الاستفهام، أي: طلب الفهم "[٥].

---

(١)٢٨٧/٣، رقم الحديث:١٠٠٧ ، قال المحقق: " حديث صحيح " .

(٢) ينظر: التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، ١٠٥/١١.

(٣) التعريفات: ص١٨.

(٤) البلاغة الاصطلاحية: د. عبده عبد العزيز قليقلة، ط٣، دار الفكر، القاهرة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص١٦٠.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ١/ ١٨١.

وقد ذكر السكاكيُّ بأن للاستفهام كلمات موضوعة وهي: الهمزة، أم، وهل، وما، ومن وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان، بفتح الهمزة وبكسرها، وهذه اللغة، أعني كسر همزتها، تقوى إيان، أن يكون أصلها (أي) أو (أن)، وهذه الكلمات ثلاثة أنواع: أحدها: يختص بطلب حصول التصور، وثانيها: يختص بطلب حصول التصديق، وثالثها: لا يختص(١).

ويُعَرف الغرض الأصلي للاستفهام: بأنه طلب معرفة أمر لم يكن معلوماً عند الطلب، إلا أن الاستفهام يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى تُعرف من سياق الكلام، ومنها: التقرير، أو التمني، أو الاستبطاء، أو التهويل والتعظيم، أو النفي، أو التعجب، أو الاستبعاد (٢).

ومن أهمِّ الأغراض البلاغية التي خرج إليها الاستفهام في أحاديث الرقائق:

١. **الإشفاق: عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: (دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ- رضي الله عنها-، فَقَالَتْ؛ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا، فَقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا، قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ، قَالَ ابن عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رسول الله ﷺ، قال: فَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ:**

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ص٤١٥- ٤١٨.

(٢) يُنظر: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم: ص١٧- ١٨.

يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟!، قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)[1].

الشاهد في قوله ﷺ (أفلا أكون عبدًا شكورًا)، فالهمزةُ حرف استفهامٍ، فسيدنا الرسول ﷺ لا يريد جواباً منها، وهو هنا على طريق الإشفاق، ومدلوله بما أنَّه سبحانه أكرمني، فلابدَّ أنْ أبقى شكوراً لإحسانه، ويجوز أنْ يكون الاستفهامُ معطوفاً على محذوف، أي: أأترك صلاتي لأجل تلك المغفرة فلا أكون عبداً شكوراً؟، وكيف لا أشكره وقد أنعم عليَّ وخصني بخير الدارين، والشكور من أبنية المبالغة تستدعي نعمةً عظيمة، وذكر لفظ (العبد) أدعى إلى الشكر؛ لأنه إذا لاحظ كونه عبداً أنعم عليه اللهُ تعالى بمثل هذه النعمة ظهر وجوب الشكر كمال الظهور[2].

٢. **العرض: عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قَالَ: (أَخَذَ الْقَوْمُ فِي عَقَبَةٍ أَوْ ثَنِيَّةٍ، فَكُلَّمَا عَلَاهَا رَجُلٌ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ يَعْرِضُهَا فِي الْجَبَلِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، ثُمَّ، قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)**[3]، الشاهد في قوله ﷺ: (ألا أدلك) فالهمزة هنا حرف استفهام لغرض الاستفتاح والتنبيه.

---

(١) ٣٨٦/٢-٣٨٧، رقم الحديث: ٦٢٠، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) ينظر: فيض القدير: ٥/ ٣٠٤.

(٣) ٨٤/٣، رقم الحديث: ٨٠٤، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

قال محمد بن صالح العثيمين: " قوله ﷺ: ألا أدلك، ألا: أداة استفتاح الغرض منها أيضاً تنبيه المخاطب والاعتناء بما سيلقى إليه، وعلى هذا سيكون هذا الكلام فيه ما يدل على الاعتناء من وجهين: أولاً: النداء الموجه للمخاطب، والثاني: أداة الاستفتاح والتنبيه، (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة)، يعني: أن من قاله فقد دفع الثمن إلى دخول الجنة، وليس المعنى أنه ثمرة من ثمار الجنة؛ لأنَّ ثمرات الجنة في الجنة. وفي هذا الحديث فوائد منها: أنه ينبغي للمتكلم أن يأتي بما ينبه به المخاطب إما بالصيغة، وإما بكيفية النطق؛ يعني مثلاً: يجهر بالكلمة ليتنبه المخاطب، أو يخفضها ليتنبه المخاطب؛ لأنه كلما تغير الأسلوب ولو بالصوت أدى ذلك إلى الانتباه، ومنها: حسن تعليم الرسول ﷺ؛ إذ يأتي بكلِّ خطابٍ بما يناسبه "(١).

٣. **النفي والإنكار: ومنه ما روي عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْتَسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟، فَسَأَلَهُ نَاسٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: وَكَيْفَ يَكْتَسِبُ أَحَدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟، قَالَ: يُسَبِّحُ اللَّهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَيَحُطُّ عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ)**(٢).

الشاهد في قول سيّدنا الرسول ﷺ (أيعجز) إذا جاءت الغاية من الهمزة الترغيب في العمل الصالح.

---

(١) فتح ذي الجلال ولإكرام: ٤٧٩/٦.

(٢) ١٠٨/٣، رقم الحديث: ٨٢٥ ، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

أي: لا يعجز هذا العملُ أحدَكم، وهو أنْ يَحْصلَ على ألف حسنةٍ بسهولةٍ، بلا عجز؛ وذلك لأنَّ الحسنة الواحدة بعشر أمثالها، وهو أقلُّ المضاعفة المذكورة في القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1]. ويحط عنه مقابل التسبيح عن ألف خطيئة سواء كانت صغيرة أو كبيرة[2].

ويعد الاستفهام الاستنكاري من أهمّ الأغراض وأكثرها شيوعاً في كلام سيّدنا رسول الله ﷺ فقد أخذ مساحة واسعة في بنية الاستفهام في الحديث الشريف؛ وذلك لنكت بلاغية توخاها الرسول الكريم ﷺ، منها: أنَّ الاستفهام الإنكاري أبلغ من النفي الصريح؛ وذلك لأن المستفهم ينتظر من المخاطب جواباً، وذلك يجعله يفكر ويراجع نفسه، وربما يجد نفسه بعد هذه المراجعة التفكير في ضيق وحرج، لا يحير معها جواباً، فإذا أصر على موقفه أو سولت له نفسه أن يجادل في الباطل، فإنَّ السؤال سيزيده إحراجاً على إحراج؛ لأنَّ السائل يترقَّب منه جواباً، وليس كذلك الأسلوب الخبري النفي الصريح إذ باستطاعته أن يفرَّ من الجواب ويصمت؛ لذلك كثر في كتاب الله تعالى وفي حديث رسوله الكريم ﷺ.

كما أنَّ معظم الأحاديث التي تحمل دلالة الاستفهام الإنكاري كان الإنكار فيها لواقع حال رآه النبيُّ الكريم ﷺ أو بلغه أو سمعه، فثارت له نفسه الكريمة على وجه يناسب ذلك الحال مبتغياً تعديل المفاهيم القديمة، وتأسيس قيم جديدة

(١) سورة الإنعام: من الآية ١٦٠.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٥٩٤/٤، فتح المنعم شرح صحيح مسلم: ٢٥٠/١٠.

تتلاءم والعقيدة الجديدة. كما إن في هذا الاستفهام جملة من الانفعالات تتنازع النفس، فقد يحمل الإنكار معاني التعجب والعتاب والتوبيخ(١).

٤. **الاستعلام والتعجب والإخبار: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (يَقُولُ اللَّهُ –جَلَّ وَعَلَا– لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي، وَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا اسْتَسْقَاكَ فَلَمْ تَسْقِهِ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجِدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمَنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا اسْتَطْعَمَكَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا لَوْ أَنَّكَ أَطْعَمْتَهُ لَوَجِدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي)**(٢).

إذ المراد بالاستفهام الوارد في العبارات (كَيْفَ أَعُودُكَ)، و(كَيْفَ أَسْقِيكَ)، و(كَيْفَ أُطْعِمُكَ) الواردة في الحديث الشريف الاستعلام والتعجب، والذي يؤكده بأن الإسلام عني بعيادة المريض وسقاية وإطعام المحتاجين كلَّ هذه العناية؛ لما فيها من عظيم المواساة، وتجاوب العواطف والمشاعر الإنسانية، ومشاركة المريض وجدانياً، ولأنَّ المريض يتأثر بهذه الزيارة تأثراً نفسياً عظيماً يؤدي إلى

(١) الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري: هناء محمود شهاب، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع –الأردن– عمان،١٤٣٥هـ ت ٢٠١٤م: ص١٢٥–١٢٦.

(٢) ٣/٢٢٤، رقم الحديث: ٩٤٤، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

تحسن صحته الجسمية، ولا سيما إذا كان الزائر من الذين يحبهم ويرتاح إليهم، ويأنس بزيارتهم[1].

فيما أريد بالاستفهام الوارد في عبارة (أَمَا عَلِمْتَ) والتي تكرر ذكرها في الحديث الشريف التعليم والإخبار لعموم المسلمين بأن ما يفعلونه من خير لبعضهم سيكون أجره على الله تعالى.

٥. **استنهاض الهمم: عن أبي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: (إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي أَرْزُقُهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ)**[2]، ورد الاستفهام في الحديث القدسي: (مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي). (مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي)، (مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي)، فقد دلَّ الاستفهامُ على الترغيب واستنهاض الهمم والحثّ على قيام الليل والدعاء وقت السحر.

ويبدو لي أنَّ صدور هذا الاستفهام عن البارئ يُشير إلى أنَّ اللهَ تعالى يُحبُّ أنْ يستيقظ العبدُ المؤمن في هذا الوقت ويدعوهُ بالرزق والمغفرة وكلّ حاجة، وصدور ذلك عن الله تعالى يؤكد أنَّ ذلك الوقت من أوقات الاستجابة.

ومن استفهام الترغيب وهو قريبٌ من الحديث السابق ما روي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنهما-، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، نَزَلَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

(١) ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: ٣٦١/٢.

(٢)٣/ ١٩٨-١٩٩، رقم الحديث:٩١٩، قال المحقق: " إسناده حسن ".

فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ)[1]، الشاهد في قوله ﷺ فيما يحكيه عن ربّهﷻ (هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟)، (هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟)، (هَلْ مِنْ دَاعٍ؟)، وهنا يعرض الله على من سأله بالاستجابة، ومن استغفره بالمغفرة، ومن سأله التوبة يتوب الله عليه[2]، فالغاية من الاستفهام الترغيب واستنهاض الهمم والحثّ على قيام الليل والدعاء وقت السحر.

٦. **الاستبعاد: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّوَرِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ؟، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا نَقُولُ يَوْمَئِذٍ؟، قَالَ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[3]**، عبر سيدنا رسول الله ﷺ بأسلوب الاستفهام في قوله: (كَيْفَ أَنْعَمُ)، وليس المراد من هذا الجواب الإجابة عليه، ولكنَّه خرج لمعنى استبعاد تحقُّق العيش والنعيم الطيب، لقرب قيام الساعة فذكر الأداة (كيف) ولم يقل (ما أنعم) لاستبعاد العيش وتشككه في حدوثه[4].

ويبدو لي أنَّ الاستبعاد في هذا الاستفهام له غايةٌ بلاغيَّة أبعد، وهي أنَّ على كلِّ مؤمن أنْ يستحضر مسألة كون الساعة ممكن أنْ تقوم في أيّ لحظة، فلا يُلهيه النَّعيمُ الدنيويّ عن تذكّر ذلك اليوم العظيم، وإذا كان سيّدنا رسول اللهﷺ

---

(١) ٣/٢٠١-٢٠٢، رقم الحديث:٩٢١، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية): ص٥٥.

(٣) ٣/١٠٥، رقم الحديث: ٨٢٣، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٤) أحاديث سنن الترمذي من باب الفتن إلى نهاية باب الأمثال– دراسة بلاغية: أفنان أحمد محمد، كلية الإمام الأعظم/ بغداد، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م: ص٤٨.

وهو أعظم الخلق مكانة عند ربّه لا ينعم بسبب ذلك، فنحنُ أولى باستحضار هذا الشعور.

المطلب الرابع: النـِّــداء

عرفَ السكاكيُّ النِّداءَ بأنَّه: " التصويت بالمنادى؛ ليُقبلْ، أو هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي "[1]، فالنداء: هو طلب الإقبال حُكماً كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ﴾[3]، أو حقيقةً، نحو: يا بُنَيَّ ويا صديقي، وطلب الإقبال بشقيه يتم بحرف من حروف النداء نائب عن فعل هو (أدعو) أو (أنادي) أو (طلب) ونحوها[4].

وقد وردَ في الكافي في علوم البلاغة أن النداء هو "طَلَبُ المتكلِّم إقبالَ المخاطب عليه بحرفٍ نائبٍ مناب (أدعو)، وهذا الحرف قد يكون ملفوظاً أو مقدّراً[5].

وللنداء أدوات ثمانية، هي: الهمزة، أي، يا، آ، آي، أيا، هيا، وا، وهي في الاستعمال قسمان: الأول: الهمزة، و أي، وهما موضوعتان لنداء القريب.

الثاني: باقي الأدوات، وهي موضوعة لنداء البعيد.

وقد يُنزَّل البعيد منزلة القريب، فينادى (بالهمزة وأي) تنبيهاً على أنه في قلب حاضر، كما قد يُنَزَّل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة لأغراض بلاغية أهمها:

---

(١) يُنظر: مفتاح العلوم: ص٤٣١.

(٢) سورة سبأ، من الآية: ١٠.

(٣) سورة يوسف، من الآية: ١٩.

(٤) يُنظر: البلاغة الاصطلاحية: ص١٨٣.

(٥) الكافي في علوم البلاغة: ص٢٨٨.

الاشعار ببعد منزلته وعلو مكانته، أو الإشعار بأنَّ المنادى وضيع المنزلة، أو التنبيه على عظم الأمر المدعو له وعلو شأنه، أو أن يكون المنادى نائماً أو ساهياً، فيكون كل من النوم والسهو بمنزلة البعد الذي يقتضي علو الصوت، أو الإشعار بغفلة المنادى عن الأمر العظيم الذي يقتضي اليقظة والانتباه(١).

ويأتي أسلوب النداء مفيداً لمعان بلاغية كثيرة تفهم من السياق وقرائن أحواله، فعندما تُنادَى القبور أو الشوق أو التعجب أو الويل، فإنه يراد بهذا النداء مقاصد وأغراض يرمي إليها المنادي، كما قد يُنادى الحي العاقل لغرض آخر بالإضافة إلى طلب الإقبال، التحسر والتحزن: وذلك عند نداء الأطلال والمنازل والمطايا والقبور والأموات والويل والحسرة وما إلى ذلك(٢).

ومن الأغراض التي خرج إليها النداء في أحاديث الرقائق:

١. **التنبيه: كما في قوله ﷺ: عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَّالَمُوا، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلَا أُبَالِي)**(٣)، فالشاهد في قوله: (يا عبادي)، وليس هو بنداءٍ حقيقي يُراد منه إقبال المُخاطَب، ولكن هو للتنبيه، وقد كرر (يا عبادي) للتنبيه على فخامته والاعتناء بشأنه(٤).

---

(١) علم المعاني– دراسة نقدية بلاغية، ص١٤٨.

(٢) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: ١٥٢/٢.

(٣) ٣٨٥/٢، رقم الحديث:٦١٩ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٦١١/٤.

ومن التنبيه إلى عظمِ الأمر ما رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1]، جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ مِثْلَ ذَلِكَ وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إلا أن لك رحمًا سأبلها ببلالها)[2]، فقد ورد النداء في قول سيّدنا الرسولﷺ (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، يَا فَاطِمَةُ) بـ (يا النداء) الموضوعة لنداء البعيد، مع أنَّ بعضهم كان قريباً؛ وذلك للتنبيه على عظمة الأمر المنادى لأجله، وُكرِّرَ النداء ترقياً من العموم إلى الخصوص، فعمَّم النداء أولاً لقريش، ثُمَّ خص منهم بني عبد مناف وبني عبد المطلب، ثمَّ انتقل إلى أخصّ من ذلك وهي السيدة فاطمة–رضي الله عنها– [3].

٢. **النُّصح والإرشاد: ومنه ما رويَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ؟، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ فُلَانًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَكَيْفَ تَرَاهُ وَتَرَاهُ؟، قُلْتُ إِذَا سَأَلَ أُعْطِيَ وَإِذَا حَضَرَ أُدْخِلَ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ فُلَانًا؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُحَلِّيهِ وَيَنْعَتُهُ حَتَّى عَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: قَدْ عَرَفْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَكَيْفَ تَرَاهُ أَوْ تَرَاهُ؟ قُلْتُ رَجُلٌ مِسْكِينٌ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَقَالَ: هُوَ خَيْرٌ مِنْ طِلَاعِ الْأَرْضِ مِنَ الْآخَرِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا**

---

(١) سورة الشعراء، من الآية: ٢١٤.

(٢) ٤١٢/٢، رقم الحديث:٦٤٦ ، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٣) ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: ٧٥٠٧٣/٤.

يُعْطَى مِنْ بَعْضِ مَا يُعْطَى الْآخَرُ؟، فقَالَ: إِذَا أُعْطِيَ خَيْرًا فَهُوَ أَهْلُهُ وَإِنْ صُرِفَ عَنْهُ فقد أعطي حسنة)[1]، ورد النداء بـ (يا) الموضوعة لنداء البعيد؛ وذلك حرصاً من سيّدنا الرسول ﷺ على إقبال المدعو إلى ما دعي إليه، مع أنَّه كان قريباً منه ﷺ مُقبلاً عليهِ بكلِّ مشاعره؛ ليستوعبَ كلَّ ما سيُلقى إليهِ من نصحٍ وإرشادٍ، وهو أنَّ حقيقة الغنى ليس كثرة المال، انَّما غنى النفس؛ لأنَّ كثيراً من النَّاس يحرص على زيادة ما رزقه الله تعالى لدرجة العناء في تحصيل هذه الزيادة في حين أنَّ غنيَّ النفس مقتنعٌ بما رزقه الله، فلا يحرص على الزيادة كأنَّه يملك كلَّ خير الدنيا[2].

٣. **التنبيه والاعتناء: عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: (أَخَذَ الْقَوْمُ فِي عَقَبَةٍ أَوْ ثَنِيَّةٍ، فَكُلَّمَا عَلَاهَا رَجُلٌ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ يَعْرِضُهَا فِي الْجَبَلِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّا وَلَا غَائِبًا، ثُمَّ، قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ ، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)**[3]، ورد النداء في قول سيّدنا الرسول ﷺ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) ، (يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ)، أي: أبي موسى رضي الله عنه، إذ بدأ الخطاب بالنداء من أجل أن ينتبه لما يلقيَ إليه وقوله: (أَلَا أَدُلُّكَ)– ألا أداة استفتاح– الغرض منها أيضاً تنبيه المخاطب والاعتناء بما سيلقى إليه، وعلى هذا سيكون هذا الكلام في ما يدل على الاعتناء. وفي هذا الحديث فوائد كثيرة منها انه ينبغي للمتكلم أن يأتي

(١) ٤٦١/٢، رقم الحديث: ٦٨٥، قال المحقق: " اسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) ينظر فتح الباري: ٢٧٣/١١.

(٣) ٨٤/٣، رقم الحديث: ٨٠٤، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

بما ينبه به المخاطب إمَّا بالصيغة، أو بكيفية النطق مثل أن يجهر أو يخفضها لتنبيه المخاطب؛ لأنه كلما تغيَّرَ الأسلوبُ –ولو بالصوت– أدى ذلك إلى الانتباه[١].

المطلب الخامس: التمنِّـــي

التمني: هو طلبُ الشيء المحبوبِ الذي لا يُرجى حصوله، أمَّا لكونه مستحيلاً، أو لأنَّه بعيد الحصول[٢]، والسبب في أنَّه لا يتوقع حصوله أحد أمرين هما:

أحدهما: أنّه بطبيعته مستحيلُ التحقُّق.

والآخر: أنَّه على الرغم من إمكان تحقيقه بَعيدُ الوقوع وغير مطموع في نيله.

ولا يخرج معنى التمنِّي عند البلاغيين عن هذا المعنى، فهو توقع أمر محبوب في المستقبل، والفرق بينه وبين الترجي أنَه يدخل في المستحيلات، والترجِّي لا يكون إلا في المُمكنات، والأداة الأصليَّة الموضوعة للتمني (ليت) وقد تستعمل ثلاثة أحرف للدلالة عليه: هل، ولو، سواء كانت مع (ودَّ) أو لم تكن، و(لعل)[٣].

ومن خلال دراستي للتمنِّي في أحاديث الرقائق لم أجد بشكل واضح أمثلةً كثيرة تشير إلى التمني وأغراضه المجازية، وفيما يأتي أبرزها:

١. **التمنِّي المستحيل حصوله (وغرضُهُ تنبيه الغافل): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ ﷺ قَالَ: " لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كثيرا "**[٤].

---

(١) يُنظر: فتح ذي الجلال والاكرام: ٤٧٩/٦.

(٢) المنهاج الواضح البلاغة: حامد عوني، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د. ت: ٢/ ١٨٠.

(٣) يُنظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، ط٢، ٢٠٠٠م: ص٤١٨.

(٣) ٤٣٦/٢–٤٣٧، رقم الحديث:٦٦٢، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

الشاهد فيه في قوله ﷺ: (لو تعلمون ما أعلم) فالأداة (لو) في أصلها شرطيَّة وهي هنا موضوعةٌ للتمني بدل (ليت)؛ لأنَّ لو تفيد التمني، والأمرُ المذكور في الحديث أكثر بعداً واستحالةً، وهو معرفة عامَّة العباد بالأمور البصرية والقلبية التي اختصَّ اللهُ تعالى بها معلم البشرية سيِّدَنا محمداً ﷺ منها أنَّه رأى الجنَّة بتفصيلاتها رأيَ العين، ورأى النَّار بعذاباتها وما أُعد للغافلين والعصاة من عذابٍ أليم[١].

٢. **الحث والتعليم: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (لَوْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمُ اللَّهُ كَمَا يَرْزُقُ الطير ...)**[٢]، الشاهد فيه قوله ﷺ: (لو توكلون) بالأداة (لو) الموضوعة للتمني لحثِّ وتعليم العباد التوكل على الله تعالى، أي: إنكم لو توكلون على الله في ذهابكم ومجيئكم وتصرفاتكم لرزقكم اللهُ تعالى كما يرزق الطيرَ، والحديث ليس لمنع الاكتسابِ، بل ليوجه الناسَ بأنَّ الله تعالى هو الرزاق لا غيره[٣].

٣. **النصح والإرشاد: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً)**[٤]، الشاهد في قوله ﷺ (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) وهو أن يكونوا قد علموا ما لهم عند اللهِ تعالى من الكرامة إذا وقع الابتلاءُ، ولو حصل

---

(١) يُنظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القيبي المصري أبو العباس شهاب الدين (ت: ٩٢٣ هـ)، ط٧، المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ، ٢٧٨/٩، أحاديث البر والإحسان في صحيح ابن حبان–دراسة بلاغية–: ص٥٧–٥٨.

(٢) ٥٠٩/٢، رقم الحديث: ٧٣٠، قال المحقق: " إسناده جيد ".

(٣) ينظر تطريز رياض الصالحين ٧٥/١، المفاتيح في شرح المصابيح،٣١٠/٥.

(٤) ٥٠٢/٢، رقم الحديث: ٧٢٤، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

ذلك لتضاعفت عباداتُهم؛ لأنَّهم لو علموا منزلتها وأجرها عند الله تعالى لأحبوا أن يكثروا فيها؛ لكي يزيد اللهُ تعالى عليهم من الثواب[١].

ويبدو لي أنَّ مدار الحديث ليس على التمنيّ بحد ذاته، ولكن على ما يترتَّب عليه هذا التمنّي، وهو إرادة نصح المؤمنين وإرشادهم إلى أنَّ ما عند اللهِ من الخير والأجر على الفقر والبلاء أعظم ممَّا تحتمله العقول، فعلى كلِّ مؤمن أنْ يوقن بذلك.

٤. **التنبيه والترغيب:** ومنه ما رويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أحد)[٢]، الشاهد فيه قوله ﷺ: (لو يعلم المؤمن)، (لو يعلم الكافر)، إذ ورد التمني بـ (لو) الموضوعة للتمني إذ عبر بعدها بـ (يعلم) المضارع دون الماضي للإشارة إلى أنَّه لم يقع له علمُ ذلك ولا يقع؛ لأنَّه إذا امتنع في المستقبل كان ممتنعاً فيما مضى، فلو يعلم الكافر بكلِّ الذي عند الله تعالى من الرَّحمة لم ييأسْ من الجنة ولو يعلم المسلمُ بكل الذي عند الله تعالى من العذاب لم يأمن من النَّار[٣].

(١) احاديث سنن الترمذي من ابواب الفتن إلى نهاية باب الأمثال– دراسة بلاغية – : ص٧٠.

(٢) ٤٣٢/٢، رقم الحديث: ٦٥٦، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٣) ينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ٣١٧/١٠.

المبحث الثَّالث

التقديم والتأخير

التقديم لغة: مِن القِدَمِ: نَقِيضُ الحُدوث، قَدُمَ يَقْدُم قِدَماً وقَدامةً وتَقادَمَ، وَهُوَ قَدِيم، وَالْجَمْعُ قُدَماء وقُدَامى. وشيءٌ قُدامٌ: كقَدِيم. والقَدَمُ والقُدْمةُ: السَّابِقَةُ فِي الأَمر. وَرَجُلٌ قُدُم: يَقْتَحِمُ الأُمور والأَشياء يَتَقَدَّمُ النَّاسَ وَيَمْشِي فِي الْحُرُوبِ قُدُماً. وَرَجُلٌ قُدُمٌ وقَدَمٌ: شُجَاعٌ[1].

والتأْخيرُ: ضدُّ التَّقْدِيمِ. والأُخُرُ ضِدُّ القُدُمِ. والمؤخِّرُ هُوَ الَّذِي يُؤَخِّرُ الأَشياءَ فَيضعُها فِي مواضِعها، تَقُولُ: مَضَى قُدُماً وتَأَخَّرَ أُخُراً، والتأَخر ضِدُّ التَّقَدُّمِ[2].

ولقد أولى علماء البلاغة وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجانيُّ (ت: ٤٧١ هـ) عنايةً فائقة بالتقديم والتأخير فقد قال عنه أنَّه: " باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعاً ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك أنْ قدم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكانٍ "[3].

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٤٦٥/١٢– ٤٦٨. مادة قدم.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١٢/٤. مادة أخر.

(٣) دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد التنجي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م: ص٩٧–٩٨.

ويرى الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) بأنَّه أحد أساليب البلاغة الذي أتى به العربُ؛ دلالةً على تمكُّنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق[١].

وقد اختُلف في عَدّه من المجاز، فمنهم مَنْ عدَّه منه؛ لأنَّه تقديم ما رتبته التأخير، كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه. والصحيح أنَّه ليس منه؛ فإنَّ المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع[٢].

أما ابن الأثير فله كلام لا يختلف عن هذا كثيراً فيقول: " التقديم والتأخير باب طويل عريض، يشتمل على أسرار دقيقة، وهو ضربان: الأول: يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، لو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى، والثاني: يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أخر لما تغير المعنى، فأما الضرب الأول فإنَّه ينقسم إلى قسمين: أحدهما يكون التقديم فيه هو أبلغ؛ أو الآخر يكون التأخير فيه هو الأبلغ. فأما القسم الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ كتقديم المفعول على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل"[٣].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م: ٢٣٣/٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢٣٣/٣.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت، ١٤٢٠هـ: ٣٦/٢.

وللتقديم مقاصد أربعة:

١. ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ.

٢. ما يفيد زيادة في المعنى.

٣. ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير.

٤. ما يختل به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي، أو المعاضلة التي تقدمت كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول[١].

وتجدرُ الإشارة أنَّ التقديم والتأخير كلاهما لفظي ومعنوي، فاللفظي تقديمٌ في الإسناد في المسند أو المسند إليه فقط، وهناك تقديم وتأخير معنويّ وهو تقديم ماعدا رُكني الجملة، وهو ما يسمى في علم النحو بالفضلة، كتقديم بعض المتعلقات على بعضٍ، وهذه الأنواع معظمها موجودة في دراستي.

المطلب الأوَّل: التَّقديم

ومن أبرز المعاني التي خرج إليها التقديم ما يأتي:

١. **تقديم المسند إليه؛ لكونه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه:** ومنه ما رُويَ عن ابن مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: (أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ النَّدَمُ توبة؟، قَالَ: نَعَمْ)[٢]، فقد قدم المسند إليه المبتدأ (الندم)؛ لأنَّه الأصلُ فلا مقتضى للعدول عنه؛ لأنَّ الكلام في وصف ثمرة النَّدم وفائدته، وليس في ذكر التوبة بحدّ ذاتها؛ ولذلك لم يقل التوبة ندمٌ وإنَّما قال (النَّدم) فقدَّم الندم على التوبة؛ لأنَّ الكلام في سياق بيان

(١) علوم البلاغة للمراغي: ص١٠٠-١٠١.

(٢) ٣٧٧/٢، قال المحقق: " صحيح ".

ثمرة النَّدم فقدمه. كما يدل هذا التقديم على عظيم فضل الله تعالى وسعة رحمته وحلمهِ وكرمهِ، ومعناه أن الذي يتكرر منه الذنب والتوبة، فكلَّما وقع في الذنبِ وعاد إلى التوبة غفر له اللهُ تعالى(١).

٢. **الحصر: ومنه ما روي عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: (... وَأَنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلَا أُبَالِي)**(٢)، والشَّاهدُ فيه أنَّه قدَّمَ المسند إليه (أنا)، ويبدو لي أنَّهُ للحصر، أعني: للإشارة إلى أنَّ غفران الذنوب مختصٌّ بالله سبحانه وتعالى، وأنَّه سبحانه كريم عفوٌ غفور لا يضره ذنبٌ، ولا يعجزهُ غفرانه، وعليهِ فإنَّه فيه تبشيرٌ بالمغفرة.

٣. **في سياق ذِكر التوبة والحظَّ على المسارعة إليها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (ذَكَرُوا الْفَرَحَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرُوا الضَّالَّةَ يَجِدُهَا الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الضَّالَّةِ يَجِدُهَا الرَّجُلُ بِأَرْضِ الفلاة)**(٣)، والشاهد فيه تقديم المسند إليه وهو قوله ﷺ (لله أفرَحُ)، فقد قَدَّمَ المسند إليه (اللهُ) وأخَّرَ المسند، وكان يُمكن أنْ يُقال: اللهُ أشدُّ فرحاً، إذ أراد ﷺ إقرار أنَّ الفرح وإثباته من صفات الله ﷻ تجاه عبده التائب الطائع لربه، علماً أنَّ الفرح فرحٌ لا يشبه فرح العباد، بل هو فرح يليق بجلاله وعلو منزلته، فعبر ﷺ عن الرضا بالفرح؛ تأكيداً لمعنى الرضا في نفس السامع، ومبالغةً في معناه لما في الفرح من رحمة ولطف

(١) ينظر: فتح الباري: ٤٧١/١٣.

(٢) ٣٨٥/٢، رقم الحديث: ٦١٩، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٣) ٣٨٧/٢-٣٨٨، رقم الحديث: ٦٢١ ، قال المحقق: " إسناده جيد ".

بعباده، وأنَّه ﷻ لا حاجة له بتوبة العبد، وإنما إحساناً به، فأراد سيِّدنا رسول الله تقوية المعنى في تقديم لفظ الجلالة الله[١].

ويبدو لي أنَّ التقديم للفظ الجلالة (الله) حصلَ؛ لأنَّ الغاية من الحديث توجيه القلوب نحو الرجوع إلى الله تعالى، وبيان شدَّة فرحهِ سبحانه، مع أنَّ لام الابتداء أوجبت من حيث الصناعة النحويَّة تقديمه، لكنَّه تقديمٌ لغايةٍ مقصودة، وممَّا أفاده حصر تلك الفرحة بالله تعالى، فكأنَّه ﷺ يقول للمؤمنين: لن تجدوا أحداً يفرح بكم كفرح الله تعالى، فأقبِلوا عليهِ.

وأمَّا تأخير (أفرح)؛ فلأنَّ الكلام ليس في سياق تعريف الفرح، وإنَّما في سياق بيان فرح الله بتوبة المؤمن.

٤. **التركيز على بيان إساءة المخلوقات (الكفار) إلى الله تعالى بادِّعاء الشَّريك والولد:**

ومنه ما رويَ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ﷺ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ؛ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وهو في ذلك يرزُقُهم ويُعافيهم ويُعطيهم)[٢]، والتقديم هنا ليس من باب تقديم أحد طرفي الإسناد الذي سمَّيناه (التقديم والتأخير اللفظي)، ولكنَّه من النوع الآخر، وهو الذي يسمَّى المعنوي، أو التقديم والتأخير في أجزاء الجملة الأخرى.

(١) أحاديث سنن الترمذي: ص٧٧.

(٢) ٢/٤٠٧-٤٠٨، رقم الحديث: ٦٤٢، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط البخاري ".

والشاهد في هذا الحديث في قولهﷺ: (مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ) إذ قدم متعلق أفعل التفضيل (أصبر)، وأصلُ الصَّبر حبسُ النَّفس ومنعُها عمَّا تشتهيه، وإمساك النفس وحبسها عن الجزع[١]، والتقدير ما أحد أصبر من الله على أذىً، كما نلحظ هنا تأخير (من الله) الجار والمجرور، والتقدير ما أحد أصبر من الله على أذىً يسمعه.

ويبدو لي أنَّ التأخير وقع هنا؛ لأنَّ سياق الحديث في ذكر إساءة الخلق إلى الله بادِّعاء الشريك له والولد، وليس في ذكر صفات الله سبحانه وتعالى فهنا قدم، كما أنَّ صفة الصبر المقصودة هنا ليست لوصف أحدٍ من المخلوقات؛ لأنَّ عامَّة المخلوقين إذا آذاه أحد لا يعطيه العطاء، بل يوصل بقدر ما يقدر عليه من أنواع العذاب والضرر[٢].

وهناك أيضاً تقديم وتأخير في الإسناد، فإنَّ أصل الكلام: (اللهُ أصبرُ...)، فأخَّرَ المسند إليهِ وهو لفظ الجلالة (الله)؛ لأنَّ الكلام في سياق بيان أنَّه سبحانه أشدّ صبراً من أيِّ أحدٍ، فَمَهَّدَ لذلك بنفي شدَّة الصبر عن كلِّ أحدٍ كصبر الله، ثمَّ حصر شدَّة ذلك الصَّبر في الله تعالى.

٥. **التَّخصيص: ومنه ما رويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدَةً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)**[٣]، الشاهد في قوله ﷺ: (إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً). فـ (تسعة) اسم أنَّ متعلق بخبر مقدم، وهو

(١) الصحاح: ٧٠٦/٢، مادة (صبر).

(٢) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح: ١١٢/١.

(٣) ٨٧/٣، رقم الحديث: ٨٠٧، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

قوله: (لله)، قوله: (مائةً) أي: هذه مائة إلاَّ واحداً، وذكر هذه الجملة؛ لدفع الالتباس بسبع وسبعين وللاحتياط فيه بالزيادة والنقصان، واختلف العلماءُ والشُّرَّاح في مدلول هذا التقديم والتأخير، " فذهب قوم إلى أنَّ ظاهره يقتضي أنْ لا اسم لله غير ما ذكر؛ إذ لو كان له غيرها لم يكن لتخصيص هذه المدة معنى، وقال آخرون: يجوز أن يكون له زيادة على ذلك إذ لا يجوز أن تتناهى أسماؤه؛ لأنَّ مدائحه وفواضله غير متناهيةٍ، وقيل: ليس فيه حصر لأسمائه؛ إذ ليس معناه أنَّه ليس له اسم غيرها، بل معناه: إنَّ هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، إذ المراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء فيها، وقيل: أسماء الله، وإن كانت أكثر منها، لكن معاني جميعها محصورة فيها، فلذلك حصرها فيها[1].

وهذا الاختلاف يدلّنا على أنَّ الغاية البلاغيَّة تكون التخصيص، وليس الحصر.

ومثله في التخصيص ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً فُضُلًا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، يَمْشُونَ فِي الطُّرُقِات)[2]، فقد وقع التقديم في قوله ﷺ: (إن لله ملائكة فضلاً) تقدم الخبر الجار والمجرور (لله) على اسم أنَّ (ملائكة).

ويبدو لي أنَّه وقع تقديم الخبر على المبتدأ؛ للإشارة إلى كون هؤلاء الملائكة لهم عملٌ خاصٌّ اختصهم اللهُ تعالى به، في حين أخَّر الملائكة؛ لأنَّ الكلام ليس في سياق التعريف بالملائكة أو ذكر أوصافهم عموماً.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٩/٢٣.

(٢) ١٣٧/٣، رقم الحديث: ٨٥٦، قال المحقق: " حديث صحيح ".

٦. **التنبيه من أول الأمر على أنَّه خبرٌ لا نعتٌ: ومنه ما رويَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟، قَالَ لَا فَقَتَلَهُ وَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ ....)**[١]، فالتقديم يظهر في قوله: ﷺ (كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً)؛ للتنبيه من أول لحظة التكلم بالكلام على أنَّ المسند الذي سبق المسند إليه خبر لا نعت، فلو أخَّر لتوَّهم أنَّه نعت، وأنَّ جملة (قتل) نعتاً ثانياً، والاعتبار الثاني أنَّ الجار والمجرور في محلِّ رفع نعت لرجل، وجملة قتل في محل رفع خبر، فيكون المعنى أنَّ رجلاً من بني إسرائيل قتل..؟ لكن وإن كان المعنى مستقيماً فهناك نكته بلاغية في تقديم المسند، ومن أجلها قُدِّم، وهي أنَّ هذا الرجل كان في بني إسرائيل فقط، لا في غيرهم، فلو أخر المسند لربما توهم السامع أن هذه القصة كانت في بني إسرائيل وفي غيرهم، فالعبرة بمدلول القصة لا بالقصة نفسها فلما قيل: كان في بني اسرائيل تعين وتحتم أن تكون هذه القصة حصلت في بني إسرائيل لا في غيرهم[٢].

٧. **لبيان فضيلة عمل وأشغال الملائكة: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ، يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ)**[٣]، فقد

---

(١) ٢/٣٨٠- ٣٨١، رقم الحديث: ٦١٥، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٢) التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف تطبيق على كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (دراسة بلاغية تطبيقية): ابن عمر محمد صالح حسين، إشراف: محمد حسن علي الأمين، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٣١هـ - ٢٠٢١م:ص٧٨.

(٣) ٣/١٩٥، رقم الحديث: ٩١٤، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

تقدم خبر إنَّ في شبه الجملة (لله) على اسمها (ملائكة)؛ تعظيماً لمكانته ﷺ عند الله تعالى، و(سياحين) صفة للملائكة، يقال: ساح في الأرض يسيح سياحةً، إذا ذهب فيها، وأصله من السَّيح، وهو الماء الجاري المنبسط في الأرض، وفيه تعظيم لسيدنا رسول الله ﷺ وإجلاله لمنزلته، حيث سخر صنفاً من الملائكة الكرام لهذا الشأن المفخَّم(١).

٨. **تقديم بعض الألفاظ على بعض بحسب الترتيب الوجودي:** وهذا النوع من التقديم في غير الإسناد، أي: ليس في المسند ولا المسند إليه: **ومنه ما رُوِيَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ**رضي الله عنه، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ**ﷺ: **(يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، مِثْلُ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)**(٢)، فقد قدم التوراة على الإنجيل على القرآن للترتيب الزمني، فأول ما نزل التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن، وقدم التوراة لتقدمها في الزمن عندما نزلت على بني إسرائيل، وقدم الإنجيل لأنه سبق القرآن في نزوله على النصارى، والقرآن جاء لهما وللعالمين(٣).

٩. **تقديم لبيان أنَّ رحمة الله تعالى تسبق غضبه: ومنه ما رُوِيَ عن أبي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ **يَقُولُ: (الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا مِنْ شَرِّهَا)**(٤)، فالمقصود بالروح

(١) الكاشف عن حقائق السنن: ١٠٤٣/٣.

(٢)٣/ ٥٣، رقم الحديث: ٧٧٥، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٣) ينظر: الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية): ص٨٥.

(٤) ٢٨٧/٣، رقم الحديث: ١٠٠٧، قال المحقق: " حديث صحيح ".

هنا رحمة الله تعالى وما تحمله من الراحة ونسيم الريح، أي: أنَّ الريح من رحمة الله تأتي بالغيث والنسيم وكذلك تأتي بالعذاب كإتلاف النبات والشجر وإهلاك المواشي، وهدم البناء، وغير ذلك(١).

والتقديم هنا ليس لأحد طرفي الإسناد، فالشاهد فيه (الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ) فنلحظ هنا أنَّه قدَّمَ كون الريح تأتي بالرحمة، وأخَّر ذكر كونها تأتي بالعذابِ.

ويبدو لي أنَّ سبب ذلك التقديم والتأخير التأكيد على أنَّ رحمة الله تسبق غضبه، وأنَّه سبحانه وتعالى دائماً يقصدُ عبادهُ بالرحمة لا بالعذاب، وأنه سبحانه ما خَلَق خلقهُ إلا للخير، وما أراد بهم إلا الخير، وأنَّ الخير مُقَّدم عنده على الشر، وإن كان هناك من شرّ فهو من العباد، وإن كان هناك من خير فهو متقدم من الله؛ ولذلك قدم ذكر الرحمة.

١٠. **التعظيم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ–رضي اللهُ عنهما–، قَالَ: جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: (يَا مُحَمَّدُ أَنْشُدُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ، فَقَدْ أَكَلْنَا الْعِلْهِزَ– يَعْنِي الْوَبَرَ وَالدَّمَ...)(٢)، يُقَال: نشدتك الله وَالرحم نشدة ونشدانا وناشدتك الله؛ أَي: سَأَلتك**

(١) ينظر: الشَّافِي فيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد بن سليمان– أبي تميم يَاسر بن إبراهيم، ط١، مَكتَبَةَ الرُّشْدِ، الرياض– المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م: ٣٥٥/٢.

(٢) ٢٤٧/٣، رقم الحديث: ٩٦٧، وصحَّحه الحاكم و وافقه الذهبي. المستدرك على الصحيحين(ومعه تلخيص الذهبي): ٤٢٨/٢، رقم الحديث: ٣٤٨٨.

الله وَالرحم وتعديته إِلَى مفعولين لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَة دَعَوْت[1]، فالشاهد هنا في (أنشدك الله والرحم)، فقد قدَّمَ لفظ الجلالة (الله)، على لفظ (الرَّحم)، وهو تقديم ليس في أحد طرفي الإسناد.

ويبدو لي أنَّ سبب أنَّ هذا التقديم حصلَ؛ لأنَّ السؤال بالله أعظم، فيكون تقديمه أهمّ، وليكون هذا من السائل طريقاً إلى استعطاف قلبهِ الشريف ﷺ، وأخَّرَ الرحم؛ لأنَّها تأتي ضمن ما أمر الله بوصله، فلو قال: أنشدك الرحم والله لَم يقبلْ منهُ النبي ﷺ؛ لأنَّ عظمة الله سبحانه وتعالى لا تُقارن بعظمة، أو أهمية صلة الرحم؛ لذلك أخَّر الرحم وقدم لفظ الجلالة (الله).

١١. **حَثُّ المذنب على التوبة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: (أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَذْنَبْتُ، فَقَالَ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنُوبِ، ثُمَّ عَادَ، فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذْنَبْتُ، فَقَالَ أَذْنَبَ عَبْدِي وَعَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ يَغْفِرُ الذَّنْبَ.....)**[2]، الشاهد هنا (أذنب عبدي ذنباً) إذ قدم المسند إليه الفاعل (عبدي).

ويبدو لي أنَّ هذا حصل؛ للإشارة إلى أنَّ من يُذنب ثم يتوب أو كلَّما أذنب تاب هو العبد الحقيقيَّ لله سبحانه وتعالى، الذي يوقن بأنَّ الله تعالى يغفر له، وهو الذي يعفو، ولأنَّ السياق ليس في ذكر الذنب؛ ولذلك لم (يقل أذنب ذنباً عبدي) بل

---

(١) ينظر: الفائق في غريب الحديث والأثر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، لبنان، د.ت: ٢٦٩/٣.

(٢) ٣٩٢/٢، رقم الحديث: ٦٢٥ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

قال أذنب عبدي ذنباً، فقدم عبدي للإشارة إلى أنَّ من يذنب ثم يتوب، هو العبد الحقيقي فلذلك قدمه وأيضاً لأنَّ السياق هنا ليس في ذكر الذنب باعتباره ذنباً؛ ولذلك لم يقل أذنب ذنباً عبدي، وإنَّما هو في سياق مدح ذلك النوع من العباد، بمعنى العبد كلما أذنب ذنباً تاب؛ ولذلك قَدَّمه.

المطلب الثَّاني: التأخير

أمَّا التَّأخير فقد ورد في أحاديث الرقائق للأغراض البلاغيَّة الآتية:

١. **للإشارة إلى حدث مهمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ الله عليه"**[١]، هنا أخر المسند إليه الفاعل (الشمس)؛ لأنَّ سياق الكلام في حدث مهم تختل فيه موازين الكون، وهو طلوع الشمس من مغربها، وهو من علامات قيام الساعة، ونلحظ أيضاً في هذا الحديث تأخير المسند تاب (الفاعل) لأنه قال: من تاب وتقديم المسند إليه الاسم الموصول (من) للإشارة إلى أهمية ما يجب أن يتقدم من الحرص على التوبة، أو لأهمية ما يتقدم به العبد من التوبة. كما ذكر الطيبي أن هذا حد لقبول التوبة[٢]، وأنَّ قبول التوبة مستمر ما دام بابها مفتوحًا، فإذا أغلق لم تقبل يعني: إذا طلعت الشمس من مغربها، لم ينفع الكافرَ إيمانهُ، ولا العاصي توبته[٣].

٢. **لغرض التركيز (إلقاء الضوء على ما حدث في الأمم السابقة): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ**

(١) ٣٩٦/٢، رقم الحديث: ٦٢٩، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم".

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٦١٦/٤.

(٣) تطريز رياض الصالحين: ٢٢/١.

نَفْسًا...)[1]، هنا الشاهد في تأخير المسند إليه الفاعل (رجل) لم يقل (كان رجل) بل قال كان فيمن قبلكم، فتأخير المسند إليه الفاعل؛ لأنَّ الكلام ليس في سياق وصف عمل الرجل نفسه، ولكن في سياق ذكر أمرٍ حدث في الأمم السابقة، فالكلام إذن ليس في وصف الرجل تحديداً بقدر ما هو في سياق ذكر الحدث.

(١) ٣٧٧/٢، رقم الحديث: ٦١٢ ، قال المحقق: " صحيح ".

المبحث الرَّابع

الذِّكرُ والحذف

الذِّكرْ لغة: الحِفْظُ للشيء تَذْكُرْهُ. والذِّكْرُ أَيضاً: الشيء يجري على اللِّسان. والذِّكْرُ: جَرْيُ الشيء على لسانك[١]، وأمَّا الحذفُ لغة، فيقالُ: حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً: قَطَعَه مِنْ طَرَفه، والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر، مِنْ ذَلِكَ. والحُذافةُ: ما حُذِفَ مِنْ شيء فَطُرِح[٢].

واللغة تميلُ بطبيعتها إلى القليل من اللفظ؛ لتوليد الكثير من المعاني المطلوبة حتى قيل: " البلاغةُ حُسن الاقتضابِ عند البداهةِ، والغزارةُ يوم الإطالة "[٣]، وهذا الحذف يحدث عندما تكون الدلالة على المحذوف واضحة في ذهن المتلقي، سواء أكانت في الحال أم فحوى الكلام[٤]، "والحذف إسقاط كلمةٍ؛ للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام "[٥].

وتكمن أهمية الحذف في البلاغة في القول المشهور لعبد القاهر الجرجاني حين وصفه بالقول: " هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر،

---

(١) لسان العرب: ٤ /٣٠٨، مادة (ذكر).

(٢) لسان العرب: ٣٩/٩، مادة (حذف).

(٣) البيان والتبيين: ٨٨/١.

(٤) البلاغة والمعنى في النص القرآني – تفسير أبي السعود أنموذجاً–: حامد عبدالهادي حسين، ط١، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، جمهورية العراق، ٢٠٠٧م: ص٩٠.

(٥) النكت في إعجاز القرآن: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م: ٧٦.

فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تبن "[١].

ولأهمية الحذف في اللغة مال العرب للإيجاز في الكلام، فحذفوا الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته[٢].

وتجدرُ الإشارة إلى أنَّ الحذف والذكر في معظم كتب البلاغة يقتصر على الكلام عن حذف أحد طرفي الإسناد، أو ذكره، وهذا ما يسمَّى بالحذف والذكر اللفظيّ، وهناك حذفٌ من نوعٍ آخر هو حذف ما عدا طرفي الإسناد، وسأتناول كلَّ محذوفٍ، أو مذكورٍ من تلك الأنواع سواءً في الإسناد، أم في غيرها، وسأمزج الحذف بالذكر اجتناباً لتمزيق الموضوع الواحد، وإبرازاً لجماليات النصّ النبويّ كاملاً.

وممّا ورد من تطبيقات الذِّكر والحذف في أحاديث الرقائق، **عَنْ عَدِيّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ ﷺ: (قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فقَالَ: اتَّقُوا النَّارَ ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ، ثُمَّ أَعْرَضَ وأشاح، حتى رؤينا أَنَّهُ يَرَاهَا، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)**[٣]، والمراد بالشق نصفِ تَمْرَةٍ[٤]، أي: ادفعوا النَّارَ عن أنفسكم بالخيرات ولو كان الاتقاء بتصدق بعض تمرةٍ، يعني لا تستثقلوا شيئاً من الصدقةِ، فإن لم تجدوا

---

(١) دلائل الإعجاز: ص١٢١.

(٢) ينظر: الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٣٦٢/٢، البلاغة والمعنى في النص القرآني: ص٩١ .

(٣) ٤٤١/٢، رقم الحديث: ٦٦٦، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٤)النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلميّة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م: ٢/ ٤٩١.

فبكلمة طيبة، أي: يطيب بها قلب المسلم أو بكلمة من كلمات الأذكار؛ فإنَّها بمنزلة صدقة الفقير[١].

وقد ورد الذكرُ والحذفُ كلاهما في هذا الحديث الشريف، أمَّا الحذف ففي قوله ﷺ (وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)، والمحذوفُ المسند والمسند إليه، وهو كان واسمُها، أي: لو كان اتقاؤكم بشقِّ تمرة، فَحذِفت كان مع اسمها؛ للتَّخفيف[٢].

ويبدو لي سببٌ آخر لهذا الحذفُ، وهو أنَّ المقامَ لا يحتملُ الإطالة، فهو في سياق ذكر النَّار، وضرورة اغتنام الإنسان لوجوده في الحياة التي من الممكن أنْ تنتهي في أيِّ لحظة، فصارَ الاختصارُ مناسباً لهذا المقام.

ويبدو لي أنَّ الذكر في هذا الحديث قد حصل في جملة (اتَّقُوا النَّارَ) الثانية، فقد كان من الممكن أن يُقال: (وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) بدون ذكر الجملة، ويبدو لي أنَّ الذِّكر قد حصل؛ لأنَّ المقام مقام التخويف من النَّار، فكرَّرَ ذكرها إمعاناً في ترسيخ الخشية والخوف في القلوب.

ومنه ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)[٣]، فقد حذف الفاعل (الحية) –وهو المسند إليه–، وبُنيَ الفعلُ للمجهول، وحل محلها نائب الفاعل (المؤمنُ).

ويبدو لي أنَّ سبب الحذف أمران:

أحدهما: كون المحذوف معلوماً من سياق الحديث.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٤٣٠/٤.

(٢) الحذف في الحديث النبوي الشريف: سارة أحمد معروف، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م: ص١١١.

(٣) ٢/ ٤٣٨، رقم الحديث: ٦٦٣ ، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

والآخر: أنَّه ليس المراد إثبات نسبة اللدغ للحيَّة، بقدر ما هو إثبات وقوع الفعل بغضّ النّظر عَمَّن قام باللدغ، ولما أن ذكر المسند إليه يقلل من المعنى، ففيه استعارة كونه قد شبه المنافق وغيره بالأفعى، أعني: لأنَّه ليس للكلام كبير مسيسٍ بذكر الفاعل حتى يُذكر.

وفي الحديث تنبيه عظيم للغافل وتأديب العاقل، وأن المراد إذا جرب الأذى من موضع أو وجه ما تنبه حتى لا يعود إليه ثانية منه[١].

ومنه ما رُوي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّﷺ فِي غَارٍ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾[٢]، فَإِنَّهُ لَيَتْلُوهَا وَإِنِّي لَأَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ، وَإِنَّ فَاهُ لَرَطْبٌ بِهَا إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اقْتُلُوهَا، فَابْتَدَرْنَاهَا فَذَهَبَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ، لَقَدْ وُقِيَتْ شَرَّكُمْ، كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا)[٣]، الشاهد في الحديث قوله ﷺ: (وقيت شركم) حذف الفاعل (الحية)؛ فالحذف– هنا– حصل لأنَّ الغاية إثبات حصول الفعل وحدوثه، وليس المقام في إثبات حصول اتقاء الشّر من أحدٍ مُعيّن، وقوله: (وقيت شركم، ووقيتم شرها)، وفيه دليل على حسن تنبيه النبيﷺ في ألطاف الله ﷻ في جميع أقداره، وأنَّه لا يخلو له فعل من حكمة، وأنَّه سبحانه وتعالى قد يلطف بالشرير إمهالًا منه له، وإعذارًا فيه إلى أجل وحين، فإنَّ هذه الحية على كونها لا منفعةَ منها في عاجل الحال، وُقيت شرَّ أولئك النفر الصالحين في أذاها، وقد يكون دفع الشر عنها لحكمةٍ اقتضت ذلك، وهي أنَّها لعلها أن تكون معدة لأنْ تسلط على بعض أعداء الله أو غير ذلك من المنافع[٤].

---

(١)إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِمِ: ٥٤٧/٨.

(٢) سورة المرسلات، الآية: ١.

(٣) ٤٨٤/٢، رقم الحديث: ٧٠٨، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح: ١٩/٢–٢٠.

وأمَّا الذِّكر في هذا الحديث ففي (وقيتُم) الثانية؛ لضعف التّعويل على دلالة القرينة؛ إذ لو حُذف ميسور (وقيتم) لا يدلُّ عليه المذكور.

ومنه ما روي عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يقول: (قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ فليظنَّ بي ما شَاءَ)[1]، فيبدو لي أنَّه قد ذكر المسند إليهِ (أنا)؛ لأنَّهُ الأصلُ ولا مقتضى للعدول عن ذكره، في حين تَرَكَ التصريح بـ(عبدي) في الجملة الثانية، فقال: (فليظنَّ بي ما شَاءَ)، وكان يُمكن أنْ يُقال: (فليظنَّ عبدي بي ما شَاءَ)، لكنَّه لو قال ذلك لكان الكلامُ متركِّزاً على العبد، وسياق الكلام يُركِّز على ظنِّ العبد بربّه؛ ولذلك حذفه.

ومنه رُوي عَنِ ابْنِ عُمَرَ-رضي اللهُ عنهما-، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ، قَالَ: (اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا نُحِبُّ وَتَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ)[2].

ويبدو لي أن الحديث الشريف جمع عدة أمور بلاغية في قوله ﷺ (اللهم أهله...) نداء غرضه التعظيم، والذكر في قوله ﷺ (الأمن الإيمان السلامة والإسلام) غرضه التقرير والتعظيم، والحذف وهو موطن الشاهد في قوله ﷺ (وترضى) للعموم، فالمحذوف هنا المفعول به والتقدير (لما ترضاهُ)، والتقديم والتأخير في قوله ﷺ (ربنا وربك الله) اذ التقدير (الله ربنا وربك) فالغرض من التقديم هنا للتعظيم والتخصيص.

(١) ٤٠١/٢، رقم الحديث: ٦٣٣، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٢) ١٧١/٣، رقم الحديث: ٨٨٨ ، قال المحقق: " حديث صحيح لغيره ".

ومما روي عَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها-، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّهُ يَسْأَلُ رَبَّهُ)[1]، فقد ورد في هذا الحديث محذوفان:

- أحدهما: (ربَّهُ) في قوله ﷺ: (إذا سأل أحدكم) وقد حُذف؛ للعلم به، ولعدم تعلق الكلام بهِ، بقدر تعلقه بالمسألةِ (وهي الدعاء) نفسها.
- والآخر: المسألة في قوله ﷺ: (فليكثر)؛ حُذف لدلالة الفعل (سأل) بمادته اللغوية على المحذوف، فلو ذُكر لكان الكلام أقرب إلى الرّكة منه إلى القوة والجزالة، والحديث الشريف منزَّهٌ عن الرّكة بلا ريبٍ.

وأمَّا الذكر في هذا الحديث ففي (ربَّه)، حيث صرَّح بالمضاف إليه (الهاء)، وكان يُمكن أنْ يقال: (ربّاً)، أو (الله)، ولكنَّ هذه الإضافة فيما يبدو لي هي إشارةٌ من سيّدنا الرسولﷺ إلى أنَّ اللهَ تعالى هو مُتولّي العبد بربوبيَّته، وهو سبحانه يُجيبُ سؤاله، ويُجيب دعاءه.

ومن الأحاديث التي احتوت الذكر والحذف قولهﷺ: (رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ أَوَّاهًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا أَوَّاهًا مُنِيبًا)[2]، فهذه الألفاظ فيها حذف واو العطف، والأصل أن يقول: لك كذا، ولك كذا، ولك كذا، وحذف واو العطف واردٌ في اللغة العربية[3]، ووردت الألفاظُ على وزن " فعال " بصيغة المبالغة في المواضع الثلاثة، أي: كثير الذكر لك في الأوقات والآناء، كثير الشكر على النعماء والآلاء، كثير الخوف والرهبة من المعصية ومن الغضب والسخط، أو جامعاً لشكر القلب وشكر العمل وشكر

(١) ١٧٢/٣، رقم الحديث: ٨٨٩ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٢) ٢٢٧/٣-٢٢٨، رقم الحديث:٩٤٧ ، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٣) شرح سنن أبي داود: ٢٤٧/٨.

اللسان، وشكر القلب أنْ تعلم أنَّ كلَّ نعمة عليك فهي من الله وأن تلتذ بكونها من الله وشكر العمل أن تجعل النعمة في محلها كما أمر الله وشكر اللسان التلفظ بحمده بعد هذا والعلم والعمل (لك مطواعًا) بكسر الميم مفعال للمبالغة، أي: كثير الطوع وهو الانقياد والطاعة، يعني كثير الطاعة لأمرك والانقياد إلى قبول أوامرك ونواهيك، أي: منقادًا (لك مخبتًا) من الإخبات وهو الخشوع والتواضع والخضوع، أي: اجعلني لك خاشعًا خاضعًا متواضعًا(١).

وأمَّا الذِّكر ففي (لكَ) في الجملة الثانية وما بعدها، فكان يُمكن أنْ يقال: (رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، ذَاكِرًا، أَوَّاهًا، مِطْوَاعًا، مُخْبِتًا أَوَّاهًا مُنِيبًا)، ولا يختلُّ المعنى العامُّ حينئذٍ، ولكنَّهُ يبدو أنَّهُ آثرَ إعادة الجارّ والمجرور؛ لأنَّ المقام مقام التجاء إلى اللهِ ﷻ، وتضرُّع إليهِ، فاقتضى تكرار مُخاطبتهِ سبحانه من العبد الداعي، وفيها اعتراف بالعبودية.

وشبيهُ بالحديث السَّابق ما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: (اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)(٢)، فقد ذكر الفعل في قوله ﷺ: (أصبحنا، أمسينا، نحيا، نموت)، ذكرَ المسندَ هنا؛ لأنَّه الأصل ولا مقتضى للعدول عن ذكره، فلو لم يذكره لم نفهم المراد، وكذلك ذِكر (بكَ) في الجملة الثانية وما يليها، فقد كان من الممكن أنْ يُقال: (اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا وَأَمْسَيْنَا، وَنَحْيَا، وَنَمُوتُ)، ولا يختلُّ المعنى، ولكنَّهُ يبدو لي أنَّهُ آثرَ إعادة الجارّ والمجرور؛ لأنَّ

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت: ١٤١٤هـ)، ط٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية، نارس– الهند، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م: ٢٥٢/٨.

(٢) ٢٤٥/٣، رقم الحديث: ٩٦٥، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

المقام ذِكرٍ لله تعالى للتقرُّب إليه، وشُكرهِ على نعمائه، فاقتضى تكرار مُخاطبتهِ سبحانه من العبد الداعي خطاباً مباشراً.

وممَّا روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى)[1]، فقد ذَكَرَ المسند إليهِ في: (إِنِّي)، وكان يُمكن أنْ يقال: " اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ "، ولكنَّه لمَّا كان الحديث يتناول كلَّ ما ينبغي أن يهتدي إليه من أمر المعاش والمعاد، ومكارم الأخلاق، وكل ما يجب أن يتقي منه من الشرك والمعاصي، ورذائل الأخلاق، كما أنَّه طلب العفاف والغنى –وهو تخصيص بعد تعميم– [2]، فقد استوجبَ أنْ يُصرِّحَ العبدُ بذكر نفسهِ زيادةً في التذلل والخضوع.

(١) ١٨٣/٣، رقم الحديث: ٩٠٠ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) الكاشف عن حقائق السنن: ٦/ ١٩٢٤.

المبحث الخامس

التَّعريف والتنكير

قد يجنح المتكلمُ البليغُ إلى استعمال أسلوب التنكير أو التعريف في الألفاظ؛ بهدف إيصال فكرة دقيقة عن المعنى الذي يعبر عنه، وهذا الأسلوب " أحد الأساليب الخاصة بالاسم دون غيره، وما يفيده الاسم في حال التعريف لا يفيده في حال التنكير تبعاً للمتكلم والمخاطب والمقام والموضوع"[(١)]، والحكمُ والفيصل في ذلك سياق الكلام ومقاماته

والتعريف والتنكير قد يأتي في أحد طرفي الإسناد –المسند أو المسند إليه–، وهو الذي يَرِدُ في معظم كتب البلاغة، وهو في حقيقته يتجاوزُ طرفي الإسناد، فقد يأتي التنكير أو التعريف للمفعول به؛ ولذلك سأتناوله في طرفي الإسناد أو في غيرهما بحسب التطبيقات التي عثرتُ عليها في أحاديث الرَّقائق.

المطلب الأوَّل: التنكير

التَّنكيرُ هو الإتيانُ باللفظ مُنكَّراً، أي: نكرةً، وقد عرَّفَ عبدُ القاهر الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ) النكرةَ أنَّها: " ما عمّ شيئين فأكثر، وما أريد به واحدٌ من جنسٍ لا بعينه "[(٢)]، فالنكرة في أصلها، أي: الكلمة المنكرة المجردة " لا تفيد معناها مطلقاً من كلِّ قيد، أمَّا ما يذكر علماء البلاغة من معانٍ أفيدت من النكرة فإنَّها لم تفدْها بطبيعتها، وإنَّما من

(١) في جمالية الكلمة دراسة بلاغية جمالية نقدية: حسين جمعة، د. ط، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، ٢٠٠٢ م، ص١٢٢ .

(٢) أسرار البلاغة: ص١٨٦ .

المقام الذي وردت فيها، فكأنَّ المقام هو الذي يصف النِّكرة ويحدِّد معناها "[١]، والمعاني البلاغية المستفادة من التنكير في أيِّ جملةٍ " تكمن في اللفظ، والسياق هو الذي يخرجها ويكشفها "[٢].

قال ابن الزملكاني (ت: ٦٥١هـ): " وقد يظن ظانٌّ أنَّ المعرفة أجلى، فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أنّ الإبهام في مواطن خليق، وأنّ سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق لاسيما في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم اللذين من شأنهما التشييد، ... والنكرة متكثرة الأشخاص يتقاذف الذهن من مطالعها إلى مغاربها، وينظرها بالبصيرة من منسمها إلى غاربها، فيحصل في النفس لها فخامة، وتكتسى منها وسامة، وهذا فيما ليس لمفرده مقدار محصور، بخلاف المعرفة، فانّه لواحد بعينه، يثبت الذهن عنده، ويسكن إليه "[٣].

ومن المعاني التي خرج إليها التنكير في أحاديث الرّقائق:

١. **التعظيم: ومن تطبيقاته ما رُويَ عن سيّدنا الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ-رضي اللهُ عنهما- قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يريبكَ، الخير طمأنينةٌ،**

(١) من بلاغة القرآن: د. أحمد أحمد بدوي، ط١، نهضة مصر للطباعة، مصر، ٢٠٠٥م، ص١٠٢.

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، محمد محمد أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر،(د: ت)، ص١٥٩.

(٣) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت: ٦٥١هـ)، ، تحقيق: أحمد مطلوب و خديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، ص١٣٦؛ اقتبسه: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ١، ١٩٧٩- ١٩٨٠م، ص١٥٥- ١٥٦.

والشَّرُّ ريبةٌ)[1]، والشاهد فيه تنكير المُسندين في الجملتين: (طمأنينة، ريبة)، والغاية البلاغيَّة وراء هذا التنكير التعظيم، ومدلوله إنَّ الخيرَ طمأنينةٌ عظيمةٌ ليس مثلها من طمأنينة، والشرّ ريبةٌ ليس مثلها ريبة؛ لأنَّ الغاية التربويَّة من هذا الحديث تعليم المؤمنين " أَنَّ الْخَيْرَ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ، وَالشَّرَّ تَرْتَابُ بِهِ، وَلَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ"[2].

٢. **ذكر واحد غير معين من الجنس أو النوع أو الصنف: ومنه ما رويَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: " مَا سَأَلَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَلَا اسْتَجَارَ مُسْلِمٌ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ "**[3]، والشاهد فيه تنكير المسند إليه (رجلٌ)، (مسلمٌ)، فليس المقصودُ رجلاً مُعيَّناً، بل يشمل الحكم هذا كلّ الرجال، وأيضاً ليس المقصود نوع الرجال فقط، بل النساء مشمولات بهذا الحكم أيضاً كما هو واضح من الحديث الشريف.

٣. **العموم: ومن أمثلته ما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ النَّبِيُّ : (عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ شَيْئًا إِلَّا كان خيراً له)**[4]، فلفظة (شيئاً) نكرة وهي ليست مسنداً ولا مسنداً إليه.

---

(١) ٤٩٨/٢، رقم الحديث: ٧٢٢، قال المحقق: " حديث صحيح ".

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م: ٢٨٤/١.

(٣) ٢٩٣/٣، رقم الحديث: ١٠١٤، قال المحقق: " إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح ما خلا بريد بن أبي مريم، وهو ثقة ".

(٤) ٥٠٧/٢، رقم الحديث: ٧٢٨، قال المحقق: " إسناده جيد ".

ويبدو لي أنَّ التنكير قد جاء هنا لقصد العموم؛ ليشمل كلَّ شيءٍ يقدِّره الله تعالى على المؤمن، من خيرٍ أو خلاف ذلك، ولفظ (شيئاً) يُشعر بالإبهام أيضاً، كأنَّ المدلول: أيّ شيءٍ هو مُبهم لكَ أيُّها المؤمن من قدر الله تعالى هو خيرٌ لك.

٤. **قصدُ النَّوعيَّة: ومنه قول سيّدنا رسول الله ﷺ لأحد أصحابه: (إِنَّكَ لَعَلَّكَ أَنْ تُدْرِكَ أَمْوَالًا تُقَسَّمُ بَيْنَ أَقْوَامٍ، وَإِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ: خَادِمٌ وَمَرْكَبٌ فِي سبيل الله)**[١]، فالشاهد فيه تنكير المسند إليه: (خَادِمٌ، وَمَرْكَبٌ)، وليس معناه الإفراد؛ لأنَّ المؤمن قد يحتاج إلى أكثر من خادم، وقد يحتاج أكثر من مركب للقتال في سبيل الله فِي الْجِهَادِ أَوِ الْحَجِّ أَوْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ الْقَنَاعَةُ وَالِاكْتِفَاءُ بِقَدْرِ الْكِفَايَةِ مِمَّا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ زَائِدًا لِلْآخِرَةِ[٢].

٥. **التكثير: ومنه ما روي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ–رضي الله عنها– قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ: " سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ!، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَ الْحُجَرِ؛ فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ يوم القيامة "**[٣]، فتنكير (كاسية، عارية) للتكثير[٤]، وهو ليس لأحدِ طرفي الإسناد، وقصدُ التكثير هنا يُناسب سياق الحديث؛ لأنَّه في سياق حثّ المؤمنات على الاكثار من الطاعات، قال ابن

---

(١) ٤٤٢/٢، رقم الحديث: ٦٦٨، قال الصدر المناوي: " قلت: رواه الترمذي وابن ماجه كلاهما في الزهد: بسند صحيح ". كَشْفُ المنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ في تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ المَصَابِيحِ: محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المُنَاوِي ثم القاهري، الشافعيّ، صدر الدين، أبو المعالي (ت: ٨٠٣هـ)، دِرَاسَة وتحقيق: د. مُحمَّد إِسْحَاق مُحَمَّد إِبْرَاهِيم، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م: ٣٨١/٤، رقم الحديث: ٤١٦٤.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣٢٤٥/٨.

(٣) ٤٦٦/٢، رقم الحديث: ٦٩١، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الصحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين ".

(٤) ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ١٣٠/٢.

الملقن: "يحتمل أوجهاً: رب كاسية في الدنيا في غير بيتها وعند غير زوجها عاريةٌ في الآخرة من الثواب. رب كاسيةٍ لا يسترها الرقيقُ من الثياب التي تصفها معاقبةً في الآخرة بالتعرية والفضيحة. رب كاسية في الدنيا لها المالُ تكتسي به من رفيع الثياب عارية في الآخرة منها. ندبهنَّ إلى الصدقة بأن يأخذن بالكفاية، ويتصدقن بما بعد ذَلِكَ. رب كاسية من نِعَمِ الله عارية من الشُّكر، فكأنَّها عارية في الآخرة من نعيمها الذي يكون الشّكر سببه، أو أنَّها تستر جسدها وتشدُّ الخمار من ورائها، فتكشف صدرها "[1].

المطلب الثاني: التَّعريف

التعريف هو الإتيان باللفظ معرّفاً بإحدى طرق التعريف المشهورة، والمعرفة نقيض النكرة، وهي عند المتقدمين "ما أريد به واحدٌ بعينه، أو جنسٌ بعينه على الإطلاق "[2]، ومقتضى الحال الذي من أجله تُعرَّف اللفظة يعتمد على مقاصد المتكلم أولاً، وعلى استعداد المتلقي وسبق علمه باللفظة، واعتماد المعارف على السياق في ظهور معانيها قد يكون أقل من اعتماد النكرات؛ ذلك لأنَّ كثيراً من المعارف هي معارف في ذاتها، وتكتسب قدراً كبيراً من معانيها من ذاتها قبل أن تدخل في السياق، "ولكل أداة من أدوات

---

١ التوضيح لشرح الجامع الصحيح: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت:٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق: التراث، ط١، دار النوادر، دمشق- سوريا، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م: ٣/٦٠٠.

(٢) أسرار البلاغة: ص٢٦١ .

التعريف طعماً ومذاقاً يختلف عن الآخر، والذي يحدد الاختلاف ثقل الكلمة ومكانها وشحناتها المختلفة عند المخاطب"[١] .

ومن المعاني التي خرج إليها التعريفُ في أحاديث الرّقائق:

١. **التكنية عن معنى لا يُفهم إلّا به: ومنه ما رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَمِينُ اللَّهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ وَالْيَدُ الْأُخْرَى الْقَبْضُ يرفع ويخفض وعرشه على الماء)**[٢]، فالتعريف في قوله (يَمِينُ اللَّهِ)، وهو تعريفٌ للمسند إليهِ بالإضافة، وليس لله يدٌ يمين كما نتخيَّل، وإنَّما عبَّر به تقريباً للأذهان؛ لأنَّه لا يصلح للأفهام إلَّا التعبير بذلك، وليست هي على الحقيقة اليد الجارحةٍ، وليس المراد بامتلائها حلول المال فيها؛ لأنَّ ذلك من صفات الأجسام –تعالى اللهُ عن ذلك عُلوّاً كبيراً–، وإنَّما هو إخبار منهﷺ عن أنَّ ما يقدر عليه اللهُ تعالى من النِّعم وإرزاق عباده لا نهايةَ ولا حصر له[٣].
٢. **التعظيم: عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ؛ لِمَا بِهِمْ مِنَ الْحَاجَةِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى يَقُولَ الْأَعْرَابُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمَجَانِينَ، فَإِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ، قَالَ: لَوْ**

---

(١) بلاغة الكلمة والجملة والجمل: منير سلطان، ط١، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٨م: ٥٨ .

(٢) ٥٠٣/٢، قال المحقق: " حديث صحيح ".

(٣) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ): تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض–السعودية، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م: ٤٥٠/١٠.

تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً)[1]، والشاهد في قوله:(ما لكم عند الله)، والتعريف فيه بالموصوليَّة، فـ(ما) بمعنى الذي، وهي للتعظيم، تعظيم بيان ما لهم عند اللهِ تعالى من الأجر بسبب صبرهم على الفقر والجوع.

٣. **قَصدَ الجنس: ومنه ما روي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَوْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمُ اللَّهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خماصاً وتعودُ بطاناً)**[2]، فالتعريف في (الطَّير) ليس لتحديد نوعٍ معيَّن من الطيور، فالطيور أنواع كثيرة، ولكنّ المعنى إرادة جنس الطَّير، فـ(أل) الداخلة عليه هي أل الجنس، وهي التي يراد بها " الإشارة إلى نفس الحقيقة المشتركة بين جميع الأفراد، من غير اعتبارٍ لما صدق عليه ذلك المُعَرَّف من الأفرادِ "[3]، وهذا الحديث ليس لمنع الناس عن العمل لكسب الرزق، بل لتعليم النَّاس وتعريفهم أنَّ الكسب ليس رازقًا، بل الرازق الحقيقيُّ هو الله تعالى، وقد خصَّ الطير بالذكر لأنَّها يمرَّ عليه الصباح، ويمرُّ عليها المساء، وهي في السَّعي، وبعض الطيور يَصلُ إليه رزقه بلا سعيٍ منه[4].

٤. **التخصيص، أو لكونه أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: (مَا صَلَّى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعًا أَوِ اثْنَتَيْنِ إِلَّا سَمِعْتُهُ يَدْعُو: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الصَّدْرِ وَسُوءِ الْمَحْيَا**

---

(١) ٥٠٢/٢، رقم الحديث: ٧٢٤، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٢) ٥٠٩/٢، رقم الحديث: ٧٣٠، قال المحقق: " إسناده جيد ".

(٣) خلاصة المعاني، الحسن بن عثمان المفتي (ت: ١٠٥٩هـ)، تحقيق: عبد القادر حسين، د. ط، الناشرون العرب، الرياض – السعودية، (د. ت): ١٥٢ .

(٤) المفاتيح في شرح المصابيح: ٣١٠/٥.

وَالْمَمَاتِ)[1]، الشاهد فيه التعريف بالإضافة: (عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)، وهذه الإضافة ليست في أحد طرفي الإسناد، وقد جاءت للتخصيص.

وفيه من التعريف بالإضافة أيضاً (فِتْنَةِ الصَّدْرِ وَسُوءِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ)، وقد عُرِّفَ بالإضافة؛ لكونه أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع، فبدلاً من أنْ يقول: الفتنة التي تكون في الصَّدر وينشغل بها القلب، قال: فتنة الصَّدر، وبدلاً من أنْ يقول: السوء والأذى الذي يكون في حياة الإنسان أو في موته، قال: وَسُوءِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ،، قال البدر العيني: " واستعاذته ﷺ إرشاد لأمته؛ ليقتدوا بِهِ فِيمَا فعله، وَفِيمَا أمره حَتَّى يتخلصوا من شَدَائِد الدُّنْيَا وَالْآخِرَة "[2].

(١) ٢٨٣/٣، رقم الحديث: ١٠٠٢، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٠٧/٨.

المبحث السَّادس

القصـــــر

القَصْر في اللغة: الحَبْسُ، وقَصَرَهُ على الأَمْرِ: رَدَّهُ إليه[١].

وفي الاصطلاح: " تخصيص شيءٍ بشيءٍ وحصره فيه، ويسمَّى الأمرُ الأوَّل: مقصوراً، والثاني: مقصورًا عليه، كقولنا في القصر بين المبتدأ والخبر: إنَّما زيد قائم وبين الفعل والفاعل، نحو: ما ضربت إلاَّ زيداً "[٢].

ويرى الميداني بأنَّهُ: " جعْلُ الشيءِ مقصوراً على شيءٍ آخرَ، بواحدٍ من الطُرُقِ المخصوصة من طُرُق القول المفيد للقصر "[٣].

والمقصور عليه على وجهين:

الأول: أن يكون جميع ما سوى المقصور عليه، ويسمَّى عند البلاغيين (قصراً حقيقيّاً) مثل: (لا إله إلاَّ الله)، أي: لا يُوجَدُ في الوجود كُلّه معبودٌ بحقٍ سوى الله ﷻ، وهذا (القَصْر الحقيقيّ) إذا كان مضمونه مطابقاً للواقع سمّوه (حقيقيّاً تَحْقيقيّاً) أي: صادقاً مطابقاً للواقع، وإذا كان غير مطابق للواقع، وإنما ذُكر عَلَى سبيل

(١) القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م: ٤٦٢/١.

(٢) التعريفات: ص١٧٥.

(٣) البلاغة العربية: ٥٢٣/١.

المبالغة والادّعاء المجازيّ، سمَّوْهُ حقيقيّاً ادّعائيّاً (أو مجازيّاً) مثل قولهم: لا سيف إلاَّ ذو الفقار[١].

الثاني: أن يكون المقصور عنه شيئاً خاصّاً يُرادُ بالْقَصْر بيانُ عَدَم صحَّةِ ما تصوَّرَهُ بشأنه أو ادَّعاهُ المقصودُ بالكلام، أو إزالة شكّه وتردّده، إذا الكلام كلُّه مُنْحَصِرٌ في دائرة خاصّة، ويسمَّى (قصراً إضافيّاً)، أي: ليس قصراً حقيقيّاً عامّاً، وإنّما هو قَصْرٌ بالإضافة إلى موضوعٍ خاصّ يدور حول احتمالين أو أكثر من احتمالاتٍ محصورة بعَدَدٍ خاصّ، ويُسْتَدلُّ عليها بالقرائن[٢].

فالقصرُ باعتبار الحقيقة والواقع قسمان، أحدهما: **القصر الحقيقي**: تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزه إلى غيره أصلاً. والآخر: **القصر الإضافي**: هو الإضافة إلى شيء آخر، بألا يتجاوزه إلى ذلك الشيء، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة[٣].

ويقسم القصر بالنسبة إلى المخاطب كما يرى البلاغيون إلى ثلاثة أنواع، أوَّلها: **قصر إفراد**: إذا كان المخاطب يعتقد أن المقصور عليه يشترك معه غيره في الحكم بالمقصور. وثانيها: **قصر تعيين**: إذا كان المخاطب يعتقد انحصار المقصور في مقصور عليه، ولكنه لا يدرك هذا المقصور عليه على وجه التحديد. وثالثها: **قصر قلب**: إذا كان المخاطب يعتقد عكس المعنى الذي يفيده القصر[٤].

---

(١) المصدر نفسه: ٥٢٣/١-٥٢٤.

(٢) البلاغة العربية: ٥٢٤/١.

(٣) المصدر نفسه: ٥٢٤/١.

(٤) علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم: حسن طبل، ط٢، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ص١٧٤.

أمَّا طرق القصر فهي كثيرة كما يصرح البلاغيون، لكنَّهم يركزون على أربع طرق هي: العطف بـ(لا، بل، لكن)، والنفي والاستثناء إذ يرى البلاغيون أن الأصل في القصر بالنفي والاستثناء أن يكون في الأمور التي يجهلها المخاطب أو ينكرها ويشك فيها، وتقديم ماحقه التأخير، والقصر بإنما[١].

وسأتناول القصر استناداً إلى أساليبه، فمن أساليب شواهد القصر في الأحاديث التي تخص أحاديث الرقائق:

المطلب الأول: القصر بالنَّفي والاستثناء

قال بسيوني عبد الفتاح لبيان أهمّية هذا الأسلوب: " رأس باب القصر، وهو الطريق الأم بين طرقه، إذ نراهم يقيمون عليه غيره ... فلا منازعة في أن النفي والاستثناء يدل على القصر دلالةً واضحةً وضوحاً تاماً، وظاهرةً ظهوراً قوياً "[٢].

ومن تطبيقات هذا الأسلوب ما رُوي عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: (كُنْتُ أَمْشِي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)[٣]، فقد ورد القصر هنا في جملة: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، أي: ومعناها أنَّه لاحول للعبد ولا قوة له إلا بخلق الله له الحول والقوة، التي هي القدرة على فِعْلِه للطاعة والمعصية، وكأنَّ في جملة (لا حول ولا قوة إلا بالله) تنبيه مؤكد بأداة الاستثناء للنَّاس أجمع بأنَّهم لا يقدرون على شيءٍ دون فضل الله تعالى عليهم ورحمته، والغرضُ من القصرِ هنا الحصر[٤].

---

(١) ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي: ١٧٥-١٧٧.

(٢) علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل علم المعاني: ص٣١٤ .

(٣) ٣/١٠١-١٠٢، رقم الحديث: ٨٢٠، قال المحقق: " حديث صحيح ".

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٠/٣٠٩.

ومنه ما روي عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّه كان يَقُولُ: (مَا كَانَ طَعَامَنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ)[1]، فالشاهد هنا في قوله (إلَا الأسودان التمر والماء)، والسَّواد هو الغالب على تمور المدينة، ووصف الماء به للتغليب[2].

فقد ورد في هذا الحديث الشريف قصر بـ (ما) و (إلا) وهو قصر صفة على موصوف، إذ قصر نوع الطعام وحصرَهُ في الأسودين الَّذَين فسَّرهما فيما بعد بالتمر والماء، والغاية منه بيان الأعمَّ الأغلب من أحوال الصَّحابة الكرام ﷺ، وبيان مدى شدة العيش وشظفهِ الذي كان يعانون منه، ولذلك فهو قصر إضافيٌّ، وليس قصراً حقيقياً؛ لأنَّه كان يحصل في بعض الأحايين أنَّهم يأكلون لحماً، أو غير ذلك، لكنَّ الغالب هو ما ذكره من حصر الطعام في التمر والماء؛ لكونهما الكثير الموجود المتاح آنذاك.

ومنه أيضاً ما روي عَنِ الْأَغَرِّ، قَالَ: (أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ، إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)[3]، وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)[4]،

---

(١)٢/ ٤٥٨-٤٥٩، رقم الحديث: ٦٨٣، قال المحقق: " حديث صحيح ".

(٢) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ)، ط٣، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، ١٤٢/٣.

(٣) ١٣٦/٣-١٣٧، رقم الحديث: ٨٥٥ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤)٤٥/٣، رقم الحديث: ٧٦٨، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

الشَّاهد هنا في قوله: (إلَّا حفَّتْهم الملائكةُ، إلَّا نزلت عليهم السكينة) وهو قصرُ موصوفٍ على صفةٍ، إذ قصر القوم المقيمون في الطلب على تحصيل السكينة والرحمة وغشيان الملائكة لهم، والمقصور القوم المقيمون لمدارسة العلم، والمقصور عليه حصول السكينة والرَّحمة لهم[١].

ويبدو لي هنا أنَّ الحديث فيه حثٌّ وترغيبٌ لطلب العلم وبيان ما لطالب العلم من مكانة عند الله تعالى.

وعن النَّوَّاس بْنَ سَمْعَانَ ﷺ: قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ...)[٢]، فنلحظ في هذا الحديث الشريف القصر بما وإلا؛ وهو قصر موصوفٍ وهو (القلب)، على الصِّفة وهي كون القلبِ مسخراً مذللاً في قدرة الله تعالى؛ لأنَّ الأصابع هنا كناية عن القدرة أو النَّعمة[٣] في التصرف الكامل التَّام من الله تعالى في تلك القلوب، والغاية من هذا القصر والحصر أن يكون المؤمنُ متنبّهاً على الدوام إلى إيمانه، فلا يأمن مكرَ اللهِ بسلب ذلك الإيمان منه، وعليه أنْ لا يفخر ويفرح بذلك الإيمان؛ لأنَّ الله تعالى هو الذي منحهُ له، وهو القادرُ في أقلِّ من طرفةِ عينٍ على سلبه منه، كقدرة الأصبعين من البشر على تحريك ما بينهما، أو تغير موقع كل منهما.

(١) البلاغة النبوية في الأربعين النووية: ص١٧٠.

(٢) ٢٢٣/٣، رقم الحديث: ٩٤٣، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٣) مطالع الأنوار على صحاح الآثار: ٦٣/١.

فمعنى الحديث أنه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء، ولا يفوته ما أراده كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين إصبعيه، فخاطب العربَ بما يفهمونه ومثَّلَهُ بالمعاني الحسِّية تأكيداً له في نفوسهم(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ ﷺ: (عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ شَيْئًا إلا كان خيرا له)(٢)، فقد ورد القصر هنا في جملة: (إلا كان خيراً له)، أي: كان قضاءُ الله تعالى مقصوراً على الخيرِ، وقد خصَّ اللهُ تعالى المؤمن بذلك، وسياق الحديث ومضمونه أنَّ الخير يكمن في الرضى بقضاء وقدر الله تعالى؛ لأنَّ الله تعالى جعل لكلِّ شيءٍ حكمةً حتى عند الألم أو المصيبة، ويحتمل بأنَّه إخبار عن الأقضية الإلهية وأنَّه تعالى ما يقضي لعبده المؤمن إلا خيراً، إنْ أعطاه ففضلٌ منه لا استدراجٌ، وإنْ منعه فلأنَّه يَدَّخر له خيراً مما منعه لدار الآخرة لا عقوبة له، بخلاف الكافر فالعطاء له استدراج والمنع عنه تعجيل عقاب(٣).

ومنه ما روي عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا)(٤)، ومعناهُ أنَّ لكلِّ أحدٍ منزلاً في الجنة ومنزلاً في النَّار، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافرُ في النَّار؛ لاستحقاقه ذلك بكفره(٥).

---

(١) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٣٩٢هـ: ٢٠٤/١٦.

(٢) ٥٠٧/٢، رقم الحديث: ٧٢٨، قال المحقق: " إسناده جيد ".

(٣) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ: ٢٠٧/٧.

(٤) ٣٩٧/٢، رقم الحديث: ٦٣٠، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٥) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٨٥/١٧.

فقد ورد القصر هنا بالنفي والاستثناء؛ وهو هنا لبيان منزلة المؤمن، وبيان منزلة الكافر سواء كان يهودياً أم نصرانياً، فقد قصر جملة (يموت رجل مسلم) على جملة (أدخل الله مكانه يهودياً) ففي هذا الحديث بيان فضل الله تعالى على الأمَّة[١].

ومنه ما رويَ عن مُعَاوِيَةَ ﷺ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: (لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَة)[٢]، فقد ورد القصر هنا بأداة الاستثناء إلا مسبوقة بـ (لم) إذ قصر المُتبقّي من الدنيا على البلاء والفتنة، أي: أنَّه انتهى خير الدنيا.

ويبدو لي هنا أنَّ فيه تحذيراً بأنَّ المتبقي بعد التحاق سيدنا رسول ﷺ بالرفيق الأعلى البلاء والفتنة، وأنَّ كلّ ما فيها محصور بالبلاء والفتنة، وكلُّ خيرٍ بالنسبة إلى ما كان على عهده ﷺ فلا يُعدُّ خيراً على الحقيقة.

وروي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رضي الله عنهما- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاث: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ جلَّ وعلا)[٣]، فقد جاء أسلوب القصر بالنفي (لا)، والاستثناء في (إلا وهو يحسن الظَّن بالله) والقصر هنا بأداة الاستثناء إلا على سبيل القصر الحقيقيّ التحقيقي؛ لكيلا يظنُّ إنسانٌ مهما بلغت ذنوبُه أنَّه لن ينفعه حسنُ الظنِّ بالله تعالى، والقصر هنا للصفة المأخوذة من الفعل والفاعل على الموصوف وهو الحال، أي: لا يموتن أحدكم إلا مُحسناً الظّن بالله، فقد قصر الحال الذي ينبغي أنْ يداومَ عليه المؤمن على إحسان الظن بالله تعالى[٤].

---

(١) ينظر: أساليب القصر: ص٤٧٢.

(٢) ٢/٤٦٥، رقم الحديث: ٦٩٠، قال المحقق: " إسناده قوي ".

(٣) ٢/٤٠٤-٤٠٥، رقم الحديث: ٦٣٨، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) أساليب القصر: ص٣٣٩.

ومما روي عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يُرَدُّ الْقَدْرُ إِلَّا بِالدُّعَاءِ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ)[1]، فقد ورد القصر هنا بأداة الاستثناء (إلا) مسبوقة بنفي (لا) مكرَّراً في موضعين:

أحدهما: في جملة: (لا يرد القدر إلا الدعاء)، فقد قَصرَ ردَّ القدر على الدعاء.

والآخر: في جملة: (لا يزيد في العمر إلا البر)، فقد قصرَ كلَّ ما يطيل العمر في البرِّ، وحصرهُ فيهِ.

والغاية من هذين القصرين بيان أهميَّة الدعاء والبرّ بالوالدين؛ للحثّ على الإكثار من الدعاء والإلحاح به عند كلِّ حادثٍ يحدث للمؤمن، وعلى البر والتمسك بطاعة الوالدين، والتقرب إلى الله تعالى ببرِّهما، و المراد هنا من (القَدْرُ): الأمر الذي لولا الدعاء لكان مقدراً، ومن (العمر): العمر الذي لولا البر لكان قصيراً، وهذا من القضاء المعلق، فيكون الدعاء والبر سببين من أسباب ذلك، وهما مقدران كتقدير حسن الأعمال وسيئها اللذين هما من أسباب السَّعادة والشقاوة، مع أنَّهما مقدران أيضا[2].

المطلب الثاني: القصر بـ (إنما)

للقصر بـ (إنما) مزية على القصر بالعطفِ؛ لأنَّها تفيد الإثبات، والنَّفي عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف فإنَّه يفهم منه الإثبات أولاً، ثم النفي ثانياً، أو عكسه[3].

---

(١) ١٥٣/٣، رقم الحديث: ٨٧٢، قال المحقق: " حديث حسن ".

(٢) شرح مصابيح السنة للإمام البغوي: محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (ت: ٨٥٤ هـ)، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط١، إدارة الثقافة الإسلامية، ١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢ م: ٢٨٢/٥.

(٣) البلاغة الميسرة: جمال إبراهيم قاسم، ط١، دار ابن الجوزي مصر، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م: ص٤٨٣.

ومنه أمثلته ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: (ليس الشَّديد من غلب إنَّما الشديد من غلب نفسه) [1]، ورد القصر هنا بأداة القصر (إنما) مسبوقة بأداة النفي (ليس)؛ لأنَّ السياق ورد في التحكُّم بالنفس عند الغضب، فقد ورد قصر حقيقة الشديد على الذي يغلب نفسه، ونفى كون الشديد حقيقةً أنَّه الذي يغلب في فعلٍ أو تصرف فيذم، والمراد: بـ (ليس الشديد)، أي: القوي حقّاً ليس مَنْ غلب الناس، بل هو ضعيف، فإنَّ الظفر بالغير ينشأ غالبًا عن تعدٍّ في القول، أو الفعل، فيذمّ فاعله عند الله وعند الخلق، فهو نفيٌ للمتعارف عندهم، ثمَّ قلبَ هذا المعنى المتعارف بأنَّ القوي حقّاً مَنْ منعَ النَّفسَ من مطلوباتها المخالفة للشرع؛ لأنَّه يُجازى على منعها من الله الثواب الجزيل[2].

ومنه ما رُويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)[3]، افتُتحَ هذا الحديثُ الشريف بنفي كونِ الغنى بكثرة الأموال، ثمَّ تلاه القصر في (إنما الغنى غنى النفس) بأداة القصر إنَّما التي تُعَدُّ أم الأدوات، فقد قصر هنا الغنى على غنى النفس وليس كثرة المال، والعَرَضُ، بِالتَّحْرِيكِ: مَتَاعُ الدُّنْيَا وحُطامُها[4].

---

(١) ٤٩٣/٢، رقم الحديث: ٧١٧، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) ينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (ت: ١١٢٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م: ٣٢٠/٥.

(٣) ٤٥٤/٢، رقم الحديث: ٦٧٩، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) لسان العرب: ١٧٠/٧، مادة عرض.

والغايةُ البلاغيَّة الدَّلاليَّة من هذا القصر أنْ يُبيِّن لنا رسولنا الكريم ﷺ أنَّ الغنى الحقيقي للإنسان ليس كثرة المال واجتماع ملذات الدنيا، وإنَّما غنى النفس، أي: أنَّ الإنسان يكون قنوعاً بما رزقه الله تعالى، وبيانه أنَّه إذا استغنت نفسه كفَّتْ عن المطامع، فَعَزَّتْ وعظمت، وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه، فإنَّه يورطه في رذائل الأموال، وخسائس الأفعال؛ لدناءة همَّته وبخله، ولكثرة من يذمَّه من الناس، ويصغر قدره عندهم، فيكون أحقر من كل حقير، وأذلّ من كل ذليل[١].

المطلب الثالث: القصر بـ (لكن)

يشترط في القصرِ في كلٍّ من (بل– لكن) أن تُسبق بنفيٍ أو نهي، وأن يكون المعطوفُ بهما مفرداً، وألاَّ تقترن (لكن) بالواو[٢]، **ومَثالُهُ ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا، وَأَنْ تُمْطَرُوا، وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا)**[٣]، ففي هذا الحديث نلحظ استعمال القصر بـ(لكن) وهو أسلوبٌ نادرٌ جداً في الأحاديث التي تخص أحاديث الرقائق، وفي هذا الحديث وضح سيِّدنا رسول الله ﷺ حقيقة السَّنَةَ، وحصرها في عدم الإنبات؛ لأنَّ الناس كانت تظنُّ وتفهم أنَّ السنة التي هي " الجدب والمحل والقحط "[٤]، التي تقع عند عدم نزول

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم: ٤١١/٤.

(٢) جواهر البلاغة: ص١٦٩.

(٣) ٢٧٦/٣–٢٧٧، رقم الحديث: ٩٩٥، قال المُحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) ينظر: شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م: ٤٤٦/٨.

المطر، ولكنَّ سيِّدَنا رسول الله ﷺ صَحَّحَ هذا المفهوم الخاطئ، مُبيِّناً لهم أنَّ المطر قد ينزل وربما ينزل بغزارة فلا تنبت الأرض شيئاً، وحينئذ لا تتحقَّق الثمرة، فحصرَ السنة بعدم إنبات الأرض؛ لأنَّ ظهور النباتات هو الغايةُ المقصودة من نزول المطر، وكثرة المزروعات تعني الحياةَ الناعمة للإنسان والحيوان على حدٍ سواء.

والمرادُ من الحديث نسبةُ الأشياء إلى خالقها ومُوجدها المنعم بها، فهو المُعطي والمانعُ والخالقُ والرازق، فالكلَّ منه وإليه، فليس للمطر عملٌ في الإنبات، إنَّما الإنبات بأمر الله، تمطر ولا تنبت، وتنبت ولا تمطر، ومن هاهنا ضَلَّ خلقٌ كثير من الناس حيث نسبوا الأشياء إلى الأسباب والوسائط، وقطعوا النظر عن المسبب الأول القادر المزيد المختار، وحتى تمادى لطريق منهم الضلال والعمى، فقالوا: إنَّ النار تحرق بطبعها، والماء يروي بطبعه، والخبز يشبع بطبعه[1].

المطلب الرابع: القَصر بتقديم ماحقُّه التَّأخير

وكما أنَّ في كلام العرب أساليب لا حصر لها تفيد القصر ومع ذلك لم تدخل ضمن القصر الاصطلاحي، فهناك أيضاً من حالات تقديم ما حقه التأخير ما لا تفيد القصر بل يقصد منها أغراضاً أخرى، فالتقديم الذي نحن بصدده هو ما يفيد القصر والتخصيص حصراً، وسنقف على بعض مقاصد القصر من تقديم ما حقه التأخير في

(١) ينظر: الشَّافِي فيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي لابْنِ الأثِيْر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، المحقق: أحمد بن سليمان و يَاسر بن إبراهيم، ط١، مَكتَبةَ الرُّشْدِ، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م: ٣٥٨/٢.

الحديث الشريف، وهي على صور عدَّة، منها تقديم المسند إليه على المسند، وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي، وتقديم المتعلقات[١].

ومنه ما روي عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ، قَالَ: (دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْت)[٢]، والشَّاهدُ في قوله: (اللهم رحمتك أرجو) هنا قدَّم المفعول به، والتقدير: أرجو رحمتَكَ؛ ليفيد الاختصاص، والرحمة عامة فيلزم تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى، كأنَّه قيل: فإذا فَوَّضْتُ أمري إليك، فلا تكلني إلي نفسي طرفة عين، فالغاية هنا من تقديم المفعول إفادة الحصر، حصر ما يُريده الدَّاعي في طلب الرَّحمة[٣].

ومنه ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَهُ؟)[٤]، والشاهد هنا في (من يدعوني) إذ قدَّم الدعاء على طلب السؤال الذي تقدم على طلب الاستغفار، والثلاثة: الدعاء، والسؤال، والاستغفار، أمَّا بمعنى واحدٍ، فذكرها للتوكيد، وإما لأنَّ المطلوب لدفع المضار أو جلب المسارّ، وهذا إما دنيويٌّ أو دينيٌّ، ففي الاستغفار إشارة إلى الأول، وفي السؤال إشارة إلى الثاني، وفي الدعاء إشارة إلى الثالث، وإنَّما خَصّ اللهُ تعالى هذا

---

(١) ينظر: البلاغة الاصطلاحية: ص٢٣٤ .

(٢) ٣/٢٥٠، رقم الحديث: ٧٩٠، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٣) ينظر: الكاشف عن حقائق السنن: ٦/١٩٠٦.

(٤) ٣/٢٠٠، رقم الحديث: ٩٢٠، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

الوقتَ بالتنزُّل الإلهي، والتفضل على عباده باستجابة دعائهم، وإعطائهم سؤلهم؛ لأنَّه وقت غفلة واستغراق في النوم(١).

ويحتمل أن يكون تقديم الدعاء على السؤال وهو الاستغفار من باب تقديم الأعمّ على العام، والعامّ على الخاصّ؛ لأنَّ الدعاء يشمل السُّؤالَ والاستغفار، فهو أعمُّ منهما، والسؤالُ يشمل الاستغفارَ، فهو أعمُّ منه(٢).

(١) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ٢/٣٢٤.

(٢) التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف: ص١١٥.

المبحث السابع

الفصل والوصل

الفصل والوصل لغـة: الوَصْل خلاف الفَصْل، وَصَل الشيء بالشيء يَصِلُه وَصْلاً وَصِلةً وصُلَةً، واتَّصَلَ الشيءُ بالشيء لم ينقطع، والفصل بَوْنُ ما بين الشيئين(١).

واصطلاحًا: أشارت تعريفات البلاغيين إلى أنَّ الوصل – أي عطف الجملة على الجملة– بالواو فقط، وهو رأي عبد القاهر الجرجاني، والخطيب القزويني، وابن القيم وهو الراجح، في حين ذهب السكاكي وسواه إلى أن الوصل بالواو، أو بغير الواو مثل الفاء، وثم، وكذلك الوصل في المفرد والجملة؛ وهذا الرأي يطابق بين الوصل والعطف(٢).

والوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه، أي: تَركُ عطف بعض الجمل على بعض، ممَّا شأنها العطف، فلا يقال لترك عطف الجملة الحالية فصل، والترك مشعر بالقصد، وهو المناسب للأحوال البلاغية(٣). وعند علماء البيان هو إسقاط واو العطف بين جملتين(٤).

والفصل والوصل يعدُّ من الأساليب التي عني بها البلاغيون عناية فائقة لأهميته وعلو منزلته في البلاغة العربية، قال عبد القاهر: " إنَّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه

---

(١) ينظر لسان العرب، ٦/-٧٢٦-٥٢١ مادة (فصل، وصل).

(٢) ينظر: أوجه البلاغة: يوسف طارق السامرائي، ط١، دار الرسالة للطباعة والنشر، لبنان، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م، ص٦٩.

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ص١٤٥.

(٤) المعجم المفصل في علوم البلاغة: ص٦١٨، باب الفاء.

أحدٌ إلا كمل لسائر معانى البلاغة "[١]، وقال النويري: " وهو من أعظم أركان البلاغة، حتى إن بعضهم حدّ البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل "[٢].

فهو من أبرز القضايا التي تعتمد على الذوق؛ لما لها صلة بالمعنى، وهو من الأساليب التي لا تتأتَّى إلا للعرب الخُلَّص، أو لمن كانت له معرفة تامة ومهارة بفنون اللغة؛ وذلك لكون هذا الأسلوب مظهراً من مظاهر اتّساق النصّ وانسجامه، فضلاً عن كونه ظاهرة ذات إمكانات وأسلوبية كبيرة لاعتمادها على الأدوات الرابطة التي يطلق عليها حروف المعاني، فهو مبحث دقيق يعين على إبراز الكثير من الجوانب الدلالية والنفسية، لذلك تنبه البلاغيون قديماً لدقة مسلك هذا الباب، ولطف مغزاه، وكثرة أغراضه، حتى جعلوه البلاغة بأسرها[٣].

وفيما يخص الوصل فمن مواضعه المشهورة: التوسط بين الكمالين والمراد بالكمالين: كمال الاتصال وكمال الانقطاع، وقد عرفوه بقولهم: أن تتفق الجملتان خبراً أو إنشاءً، أو لفظاً ومعنى، أو معنى فقط[٤].

---

(١) دلائل الإعجاز: ص١٧٤.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ: ٧/٧٠-٧١.

(٣) بلاغة الفصل والوصل في الحوار النبوي الشريف- دراسة في صحيح البخاري، محمد سعيد حسين مرعي و أحمد جمعة شوان، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد٢٣، العدد (١٠)، تشرين الأول ٢٠١٦م، ص٤٢٧.

(٤) ينظر: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: بسيوني عبد الفتاح فيود، ط١، مكتبة وهبة القاهرة، ١٤٠٧هـ، ٢/٢١٨.

المطلب الأوَّل: الفصل

ومن مقامات الفصل في أحاديث الرقائق:

١. **عند كمال الاتصال:** يُعرَّف بأن تكون الجملة الثانية بمعنى الأولى أو جزءاً منها، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى، أو بياناً لها، أو بدلاً منها، ويقال حينئذ إنَّ بين الجملتين كمال الاتصال[١]، **ومنهُ ما رويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ.. .)**[٢]، الشاهد– هنا– في قوله (الرحمن الرحيم الملك..) فقد ذكرت صفات متعددة، وهذه الصفات متقابلة إذ جاءت الجمل بلا عطف وأنت ترى جمالها مع الفصل لا بالوصل، ولعل السر– كما يقول علماء البلاغة– بأنَّ الصفات إنْ كانت متضادة أو متقابلة فإنَّك تأتي بحرف العطف، وإلا فلا داعي لهذا الحرف[٣].

وسبب الفصل هنا أنَّ الجملة الثانية المشتملة على كل أسماء الله الحسنى هي بيان للجملة الأولى، فكأنَّ الجملتين صُبَّتا في قالبٍ واحد، وجريا جريان الماء المتتابع، فلا حاجة إلى الوصل.

---

(١) الكافي في علوم البلاغة: ص٣٠٠.

(٢) ٨٩/٣، رقم الحديث: ٨٠٨، ذكر الصدر المناوي أنَّهُ حديثٌ حَسَنٌ. كَشْفُ المنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ في تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ المَصَابِيحِ: ٢٧١/٢، رقم الحديث: ١٦٤٥.

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني: فضل حسن عبّاس، ط٤، دار الفرقان للنشر والتوزيع– الأردن، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م، ص٣٩٦، البلاغة النبوية في الأربعين النووية: ص١٧٥.

وأمَّا ما كان طريقُهُ التوكيد: بأن تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى، **فممَّا ورد منه في أحاديث الرقائق: قوله ﷺ: (أُنْذِرُكُمُ النَّارَ، أُنْذِرُكُمُ النَّارَ، أُنْذِرُكُمُ النَّارَ، حَتَّى لَوْ كَانَ فِي مَقَامِي هَذَا وَهُوَ بِالْكُوفَةِ سَمِعَهُ أَهْلُ السُّوقِ حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ على عاتقه على رجليه)**[1]، فقد حذر سيِّدنا محمد ﷺ من النار بقوله: (أنذركم النار)، أي: أخبركم بوجودها، وأخبركم بشدَّتها، وأعلمتكم بما يتقى به عنها، حتى قلت لكم: (اتقوا النار ولو بشق تمرة)، ثم يمكن أنْ يراد كما الإنذار في زمان الحال. فكررها ثلاثاً، وقد فصل بين الجمل أو جمع بينهما للتأكيد في أحد المعاني، أو لأنَّ الأول إخبار والثاني إنشاء[2]، وقد فصل بين الجملتين؛ لأنَّ الجملة الأولى توافق الثانيةَ في اللفظ والمعنى، فالصلة بين الجملتين قويه لا تحتاج إلى الوصل بالواو أو غيرها، كما لا يمكن العطف بين التوكيد والمؤكد، فلمَّا كانت الجملة الثانية مقررة ومؤكدة للأولى ترك العطف لما بينهما من كمال الاتصال[3].

٢. **شبه كمال الاتصال:** وهو أن تكون الجملة الثانية جواباً لسؤال نشأ عن الأولى، ويجب الفصل هنا كما يفصل الجواب عن السؤال، ويسمَّى مثل هذه الحال استئنافاً لكون الجملة الثانية جواباً اقتضته الأولى، وتسمى الجملة الثانية استئنافاً ومستأنفة[4]، **ومنه ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ:، قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (قَالَ**

(١) ٤٤١/٢، رقم الحديث: ٧٦٧، قال المحقق: " إسناده حسن ".

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣٦٢٤/٩.

(٣) ينظر: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: بسيوني عبد الفتاح فيود، ط١، مكتبة وهبة، د.ت: ١٨١/٢.

(٤) الكافي في علوم البلاغة: ٣٠٢-٣٠٣.

اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي فِي نَفْسِكَ أَذْكُرْكَ فِي نَفْسِي، اذْكُرْنِي فِي مَلَإٍ مِنَ النَّاسِ أَذْكُرْكَ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ)[1]، ففي هذا الحديث الشريف استغنى عن الواو لاستقامة المعنى، ولأنَّه وعد الله تعالى للعباد فلاحاجة للفصل بين الجمل، وهو ما يؤكد شبه كمال الاتصال، إذ جاءت الجملة الثانية جواباً للجملة للأولى وهذا ما يفهم من سياق الكلام، والجملة الشرطية يفسدها الوصل.

٣. **كمال الانقطاع:** وهو أن تكون الجملة الثانية مباينةً للأولى تمام المباينة، إذ يجب الفصلُ؛ لغياب الجهة الجامعة بين الجملتين، وذلك بأن تختلفا خبراً وإنشاءً، في اللفظ والمعنى أو في المعنى وحده، أو تتفق الجملتان خبراً وإنشاءً، ولكن لا توجد بينهما جهة جامعة[2]، **ومما ورد في أحاديث الرقائق عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ**ﷺ، **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ، **قَالَ: (أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُونٌ)**[3]، ورد الفصل في الحديث الشريف بالاختلاف بين الجملتين فالأولى أمر(أكثروا)، والثانية خبر(حتى يقولوا مجنون)، أي: فمعنى الحديث هنا بأن يكون المؤمنُ كثير الذِّكر، مُلحّاً في الدعاء، وموقناً بالإجابة، حتى إذا رآه الناس من شدة تعلقه بالله تعالى والابتعاد عمَّا يشغل النفس عن الطاعة اتهموه بالجنون.

٤. **شبه كمال الانقطاع: ومنه ما رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ، **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ، **قَالَ: (مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ**

(١) ٩٢/٣، رقم الحديث:٨١٠ ، قال المحقق: " إسناده حسن على شرط مسلم ".

(٢) ينظر: الكافي في علوم البلاغة: ص٣٠١-٣٠٢.

(٣) ٩٩/٣، رقم الحديث: ٨١٧، ورمز الإمام السيوطيُّ إلى حُسنه في الجامع الصغير: ١٠٧/١، رقم الحديث: ١٣٩٧.

زَبَدِ الْبَحْرِ)[1]، الشاهد في قوله ﷺ (من قال: سبحان الله وبحمده)، (حطت خطاياه)، إذ استغنى عن الوصل أو العطف بين الجملتين الخبريتين؛ لأنَّ وجود العطف هنا يؤدي إلى اختلاف المعنى، فجاء الفصل هنا ليزيد الأسلوب البلاغي قوةً ووضوحاً، وقولهﷺ (فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ) يعني سواء كانت متوالية أو متفرقة، وعبَّر بقوله (حُطَّت)؛ للإشارة إلى أنَّ ذنوبهُ قد وُضعت عنه، كأنَّها كانت على ظهره فحطَّها عنه[2].

المطلب الثاني: الوصل

وممَّا ورد من أحاديث الوصل في أحاديث الرقائق:

١. **الوصل بـ (ثم): ومنه ما رُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ)**[3]، (ثم) في هذا الحديث تدل على التراخي والثبات، فأول ما يطلب من العبد حين دخوله الإسلام نطق الشهادة، والإيمان بالله ﷻ إلهاً فرداً ليس له شريك، ثم يتبع ذلك الإيمان القيام والمداومة بالتكاليف المتوجبة على المسلم القيام بها من صلاة، صيام، زكاة، والابتعاد عن المحظورات من زنا وسرقة[4]، وقيل: عطف الاستقامة على الإيمان للتراخي؛ لكونه دليلاً على أنَّ الكفار غير مكلفين بفروع

---

(١) ١١١/٣، رقم الحديث: ٨٢٩، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٢) ينظر: التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ: ٣٣٤/١٠.

(٣) ٢٢١/٣-٢٢٢، رقم الحديث: ٩٤٢، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٤) بلاغة التراكيب في كتاب من صحيح مسلم: نوير عيد مرزوق الفريدي، جامعة القصيم- المملكة العربية السعودية: ص١٤٢.

الإسلام بل بأصوله فقط، فإذا آمنوا كلفوا بفروعه أيضاً. وقيل: (ثم) هنا للتراخي الرتبي؛ لأنَّ درجة الاستقامة قاصية لا ينالها أحد[١].

٢. **الوصل بالواو: ومنه ما رُوِيَ عَنْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قال: اعقلها وتوكل)**[٢]، فقوله(اعقلها وتوكل) الضمير عائد إلى الناقة في كلام السائل، فقال: (اعقلها وتوكل) فهذه الكلمة الشريفة مرشدة إلى أنَّ التوكل لا يتمُّ إلا باتخاذ الأسباب التي جعلها الله تعالى وصلة إلى مسبباتها، لأنَّ ترك السبب ليس من شأن المتوكلين بل المتوكل من اتخذ السبب ثم توكَّل في حصول المسبب[٣].

٣. **الوصل بالفاء: عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، قال: (دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَأَنَّ رَجَاءَهُ الْمِنْبَرُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ لِيُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ سَحَابَةً وَلَا قَزَعَةً بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ تُرْسٍ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَوَ اللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْبَابِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا ثُمَّ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَكُفَّهَا عَنَّا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ**

---

(١) شرح مصابيح السنة للإمام البغوي لابن المَلَك: ٤٠/١.

(٢) ٥١٠/٢، رقم الحديث: ٧٣١ ، قال المحقق: " حديث حسن ".

(٣) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ: ٥٠٨/٢.

وَالظِّرَابِ وَالْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، قَالَ: فَأَقْلَعَتْ وَخَرَجَ ﷺ يَمْشِي فِي الشَّمْسِ، فَسَأَلْتُ أَنَسًا أَهُوَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ؟، قَالَ: لَا أَدْرِي)[1]، والشاهد في قوله ﷺ (فَادْعُ اللَّهَ لِيُغِيثُنَا، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَكُفَّهَا عَنَّا)، فقد وَصَلَ للدلالة على التأكيد في الطلب، وقد استخدم (الفاء) دون (الواو)؛ لأنَّ من فوائد العطف بـ (الفاء)، إفادة التعقيب بلا مهلة، وهذا يناسب المقام الذي جيء من أجله، ثم إن عطف قوله: (ودعا) على قوله (فرفع يده) هما مما يوجب الوصل؛ لأن الجملتين خبريتان، وهذا من المواضع التي توجب الوصل[2].

(١) ٣/٢٧٢-٢٧٣، رقم الحديث:٩٩٢، قال المحقق: " حديث صحيح ".

(٢) بلاغة الفصل والوصل في الحوار النبوي الشريف دراسة في صحيح البخاري، محمد سعيد حسين مرعي، أحمد جمعة شوان، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، مجلد٢٣، العدد (١٠)، تشرين الأول ٢٠١٦م: ص٤٣٣.

المبحث الثَّامن

الإيجــاز والإطنــاب والمساواة

المطلب الأول: الإيجــاز

الإيجاز: لغـة: (استوجز) الْكَلَام اخْتَصَرَهُ، الْكَلَام قل فِي بلاغة وَفِي الْأَمر أسْرع فِيهِ وَلم يطلّ وَكَلَامه وَفِي كَلَامه قلله وَاخْتَصَرَهُ والعطية قللها وعجلها [١].

واصطلاحًا: عرَّفه السكاكيُّ بقوله: " هو أداءُ المقصود من الكلام بأقلِّ من عبارات متعارف الأوساط "[٢]، وعرفه الشَّريفُ الجرجاني بقوله: " أداء المقصود بأقلِّ من العبارة المتعارفة "[٣].

والإيجاز في البلاغة على قسمين؛ أحدهما: إيجاز قِصَر: هو تقليل الألفاظ، وتكثير المعاني. والآخر: إيجاز بالحذف ويكون بحذف شيءٍ من العبارة لا يخلُّ بالفهم[٤].

وعرفه محمد دراز بقوله: "هو المقدار الذي يؤدي المعنى بأكمله، بأصلهَ وحِليته، على حسب ما يدعو إليه المقام، من إجمال وتفصيل، بغير إجحافٍ ولا إسراف، ويعد أنَّ كل من نقص عن هذا القدر، أو زاد حائدًا عن الجادة بقدر ما نقص أو زاد "، فالكلامُ الطويل إن حوى كلُّ جزء فيه فائدةً تمس الحاجة إليها، ولا يسهل أداء تلك الفائدة بأقل منه، كان هو عين الإيجاز المطلوب، وإنْ أمكن أداء الأغراض فيه كاملة

(١) المعجم الوسيط: ١٠١٤/٢.

(٢) مفتاح العلوم: ٢٧٧/١.

(٣) التعريفات: ص٤١.

(٤) ينظر: الصناعتين:١٧٥، الطراز: ٥١/٢.

بحذف شيءٍ، أو بإبداله بعبارة أخصر منه كان حشواً أو تطويلاً معيباً، والكلام القصير إن وفى بالمقاصد الأصلية والتكميلية المناسبة في الحال كان هو التوسط المطلوب، وإلا كان بترًا أو تقصيراً معيباً "[١].

فالإيجاز يعد من أبرز الخصائص في الحديث النبوي، إذ أُوتي ﷺ الكلم الجوامع للمعاني، فبلغ في ذلك الكمال في البيان البشري، إذ قل كلامه، وخرج قصدًا في ألفاظه، محيطًا بمعانيه[٢].

قال محمد الصباغ: " والإيجاز قوة في التعبير، وامتلاكٌ لناصية اللغة، وهو أصلح للحفظ والرواية والتمثيل، ولابد في الإيجاز المعتبر من الوضوح التام، فإن لم يكن الكلام وافيًا بالغرض دالًا على المراد فهو الإخلال، وهو عيب في الكلام كالتطويل، ولا يؤتى الإيجاز إلا من رزق حدةً في الذهن. وإرهافًا في الإحساس البياني، ومعرفة تامة بدلالات المفردات، وإدراكًا واعيًا لأحوال المخاطبين، وقد اجتمع ذلك كله في الرسول ﷺ على أكمل وجه "[٣].

كما أنَّ دواعي الإيجاز كثيرة منها الاختصار، وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السامع، والضجر والسآمة، وتحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير، ويستحسن الإيجاز في الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات، والتعزية، والعتاب، والوعد والوعيد، والتوبيخ، ورسائل استخراج الخراج، وجباية الأموال،

(١) النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن): محمد عبدالله دراز، اعتنى به وخرج أحاديثه: عبد الحميد الدّخاني، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص١٦١.

(٢) بلاغة التراكيب في صحيح مسلم: ص١٠٢-١٠٣.

(٣) الحديث النبوي مصطلحه- بلاغته- كتبه: ص١٠٦.

ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الوُلاة، والأوامر والنواهي الملكية، والشكر على النعم[١].

١. **إيجاز القصر: ومنه ما رُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ ﷺ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ)**[٢]، فهذا الحديث يتسم بالإيجاز الشديد، إلا أنّه مع ذلك يشْتمل على قواعد في العقائد والعبادات والمعاملات، إذ يبدأ الحديثُ هنا بأسلوب الحوارِ، وتلك الصِّيغةُ هي الغالبة في أحاديثه ﷺ وبداية الحوار جاءت بأسلوب النداء لسيِّدنا رسول الله ﷺ لجذب انتباه سيِّدنا الرسول ﷺ، وأنَّه سيستفسر عن أمر عظيم، وفي قوله ﷺ: (قل) أمر لغرض النصح والإرشاد[٣].

فالحديث بهذا اللفظ جامع للإتيان بجميع الأوامر، والانتهاء عن جميع المناهي؛ لأنَّه لو ترك أمراً لم يكن مستقيماً على الطريق المستقيم، بل عدلَ عنه حتى يرجع إليه[٤]، ونلحظ– هنا– أنَّ في الحديث الشريف إشارة إلى ركني الحياة السامية: تلك الحياة التي حرص الإسلام على أن ينعم بها كلُّ إنسان: العقيدة السليمة، والسلوك المستقيم، فالإيمان يمثل العقيدة الصَّالحة، بكلِّ أركانها وفروعها،

(١) البلاغة الميسرة: ص٥١٩.

(٢) ٣/٢٢٢–٢٢٣، رقم الحديث: ٩٤٢، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٣) بلاغة التراكيب في كتاب الإيمان من صحيح مسلم: نوير عيد مرزوق الفريدي، (رسالة ماجستير)، جامعة القصيم– المملكة العربية السعودية، ص١٠٥–١٠٦.

(٤) الكاشف عن حقائق السنن: ٢/٤٥٧.

والاستقامة على ما يقتضيه هذا الإيمان تمثل السلوك الذي يُثْبِتُ إيمان صاحبه وصدقه في ذلك[١].

ومنه ما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ)[٢]، فقد ورد الإيجاز في قولهﷺ: (أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ)، إذ هذه العبارة جملةٌ غايةٌ في الإيجاز والبلاغة شاملة للأكوان وما فيها، والمقصود أنَّ أجر تلك الكلمات أحب إليَّ من الدنيا وجميع ما فيها، أو نفس التلفظ بها أثلج لصدري وأروح لخاطري من ملك ذلك، أو أحب إلى من أجر الإنفاق في سبيل الله[٣].

ويبدو لي أنَّ هذه العبارة أوجز من أن يُعّدِد ما طلعت عليه الشمس من مركوب محبوبٍ من الدَّواب كالخيول الجياد، ومن ملبوسٍ كالحرير وغيره من الثياب، ومن المطعوم كأنواع الأطعمة الفاخرة، ومن أنواع الجواهر والحِلي، وغيرها وهو يشتمل أيضاً على ما ظهر في زمننا كالنفط وغيره.

٢. **إيجاز الحذف:** وهو ما يُحذف منه كلمةٌ، أو جملةٌ، أو أكثرُ، مع قرينة تُعيِّن المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه[٤]، **ومنه ما روي في قصة**

---

(١) الحديث النبوي، مصطلحُه – بلاغتُه – كُتُبُه: محمد الصباغ، ط٤، المكتب الاسلامي بيروت،١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ص١١٠-١١١.

(٢) ١١٦/٣، رقم الحديث: ٨٣٤، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٣) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ: ص١٦/٩.

(٤) علم المعاني: عتيق، ص١٧٨.

الساحر والغلام قوله: (فإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ)[١]، ورد ايجاز الحذف في قوله: (فإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ)، إذ حذفت جملة الشرط وبقيت جملة (آمنت) مُفسّرةً لها ودالةً عليها، وكان الأصل (فإن أنت أمنت بالله)، فحذف فعل جملة الشرط، وانفصل الضمير، وفي هذا الحذف إيجاز للأسلوب واختصار له[٢].

ومنه ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فله)[٣]، فقد ورد الحذف في الحديث بأكثر من كلمة، فالإيجاز جاء بالحذف، أي: أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيرًا فخيرًا له، وإن ظن بي شرًا فشرًا له[٤].

ويبدو لي أنَّ في هذا الحذف إشارة إلى سرعة تحقق المقصود أو الجزاء من الظنّ الحسن أو السّيء باللهِ تعالى، فكأنَّ الخير يأتي بسرعة مباشرة لمن يظنّ خيراً، وعكسه لمن يظنّ سوءاً.

ومنه ما رُوي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو ﷺ، (أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِمُحَمَّدٍ وَحْدَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ حَجَبْتَهَا عَنْ نَاسٍ كَثِيرٍ)[٥]، فقد ورد الايجاز في قوله ﷺ: (لَقَدْ حَجَبْتَهَا عَنْ نَاسٍ كَثِيرٍ)، فقد حُذِفت المغفرة لكونها معلومة في سياق الحديث، وهو ما يسمى بالإضمار، كما يبدو لي أنَّ الغرض

---

(١) ٣/١٥٥-١٥٦، رقم الحديث: ٨٧٣، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم "

(٢) البيان النبوي في حديث الغلام والراهب والساحر (دراسة بلاغية): طلعت عبد الله بسيوني أبو حلوة، جامعة الأزهر – فرع دسوق، ص٨٦١.

(٣) ٢/٤٠٥، رقم الحديث: ٦٣٩، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية): ص١٠٨.

(٥) ٣/٢٦٦، رقم الحديث: ٩٨٦، قال المحقق: " إسناده حسن ".

البلاغي من الحذف هنا للتنبيه والتوجيه بأنَّ رحمة الله ومغفرته واسعة، ولم تخصص لعدة أشخاص، أو مجموعة دون أخرى، وأنَّ الله تعالى يغفر لعبده مهما تعاظمت ذنوبُه.

المطلب الثاني: الإطنـــــــاب

الإطناب لغة: أَطْنَبَ الرَّجُلُ فِي الكَلَام: أَتى بالبَلَغَةِ فِي الوَصْفِ مَدْحاً كَان أَوْ ذَمًّا، والإِطْنَابُ: البَلَاغَةُ فِي المَنْطِق والوَصْفِ مَدحاً كَانَ أَوْ ذَمًّا، وأَطْنَبَ فِي الكَلَام: بَالَغ فِيهِ، والإِطْنَابُ المُبَالَغَةُ فِي مدْح أَو ذَمَ والإِكْثَارُ فِيه، والمُطْنِبُ: المدَّاحُ لِكُلِّ أَحَد[١].

واصطلاحاً: " هو أداءُ الكلام بأكثر من عباراتهم، سواء كانت القلةُ أم الكثرة راجعةً على الجُمل، أو على غير الجمل "[٢].

وقد ذكر أصحاب الإطناب أنَّ المنطق إنَّما هو بيانٌ، والبيان لا يكون إلَّا بالإشباع، والشفاءُ لا يقع إلّا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينُهُ، وأبينه أشدُّهُ إحاطةً بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامّة إلّا بالاستقصاء؛ والإيجاز للخواصّ، والإطناب مشتركٌ فيه الخاصة والعامة، والغبي والفطن؛ ولمعنى ما أُطيلت الكتب السلطانيَّة في إفهام الرعايا، وكما أنَّ الإيجاز له موضع، فكذلك الإطناب له موضع، والحاجة إلى الإيجاز في موضعه، كالحاجة إلى الإطناب في موضعه [٣].

(١) تاج العروس: ٢٨٠/٣، مادة (طنب).

(٢) مفتاح العلوم: ٢٧٧/١.

(٣) الصناعتين: ص١٩٠.

وهذا النوع من أنواع علم البيان، شديد الالتباس، كثير الاعتياص، وذلك أنَّ جماعة من الأئمة المشهورين في هذه الصناعة قد جعلوه بمنزلة التطويل الذي هو ضد الإيجاز، وهذا غلط فاحش(١).

أمَّا حدُّ الإطناب اصطلاحاً: والذي يحد به أن يقال: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فهذا حدُّهُ الذي يميزه عن "التطويل"، إذ التطويل هو: زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدةٍ(٢).

والإطناب وادٍ من أودية البلاغة، ولا يرد إلا في الكلام المؤتلف، ولا يختص بالمفردات؛ لأنَّ معناه لا يحصل إلا في الأمور المركبة، فمن أجل هذا خصصناه بالإيراد في هذا الباب، والإطناب مصدر أطنب في كلامه إطناباً، إذا بالغ فيه وطوّل ذيوله لإفادة المعاني(٣).

ويكون بأمور عدة منها: ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص، أو ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص، أو الإيضاح بعد الإبهام، لتقرير المعنى في ذهن السامع، أو التكرار لداع: كتمكين المعنى من النفس، وكالتحسر، وكطول الفصل، الاعتراض، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، التذييل: وهو تعقيب الجمل بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً لها، و هو قسمان: (الأول): جار مجرى المثل إن

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: مصطفى جواد، ط١، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ: ص١٤٦-١٤٧.

(٢) المثل السائر: ٢/٢٨٠.

(٣) الطراز: ٢/١٢٣.

استقل معناه واستغنى عمّا قبله، (الثاني) :غير جار مجرى المثل إن لم يستغن عما قبله، أما الاحتراس ويكون حينما يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيفطن لذلك ويأتي بما يخلصه منه(١).

وممَّا ورد من صُورِ الإطناب في أحاديث الرقائق:

١. **ذكر الخاص بعد العام: ومنه ما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ رَجُلٍ بِأَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ فَأَضَلَّهَا فَخَرَجَ فِي طَلَبِهَا حَتَّى إِذَا وفِيهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ غَلَبَتْهُ عَيْنُهُ فَاسْتَيْقَظَ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ عَلَيْهَا زَادُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ فَاللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ من هذا الرجل)**(٢)، فالخاص بعد العام في (زاده وطعامه)؛ لأنَّ الزاد يشمل الطعام والشراب، وإنَّما خصَّ الطعام والشراب بالذكر للتنبيه على أهميته؛ لشدة احتياجه إليه في هذه الأرض المقفرة، فقد كان في أرض دوية مسقمة مهلكة، ولا يخفى أنَّ حاجة الإنسان إلى الطعام والشراب مقدمة على حاجته الأخرى؛ لأنَّ بها قوام حياته وسبب نجاته(٣).

٢. **التكرار: ومن تطبيقاته في الحديث الشريف ما رُويَ عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ، قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ صَلَاةٍ**

---

(١) البلاغة الواضحة: ص٢٨٠.

(٢) ٣٨٤/٢، رقم الحديث: ٦١٨، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٣) ينظر: الإطناب وأثره في تقرير المعنى (دراسة في صحيح القصص النبوي): عبد الله محمد سليمان حسيني، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، جامعة الأزهر، القاهرة، المجلد (٩)، العدد (٢)، ٢٠١٩م، ص١٢١٤.

لَا تَنْفَعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ)[1]، فقد ورد التكرار بالاستعاذة في أربعة مواضع، وقد نبه بإعادة الاستعاذة على مزيد التحذير من المذكورات[2]، كما تضمن الحديثُ الاستعاذةَ من دنيء أفعال القلوب وفي قرنه بين الاستعاذة من (علم لا ينفع)، ومن (قلب لا يخشع) إشارة إلى أنَّ العلم النَّافعَ ما أورث الخشوع، وفيه أنَّ السجع لا يُذَّم لكن إذا حصل بلا تكلف ولا إعمال فكٍّ، بل لكمال فصاحةٍ، والتكلف مذموم[3].

فهذه الاستعاذة جامعةٌ شاملة، ولا بد من الإشارة إلى تخصيص القلب بالذكر في هذه الجملة؛ لأنَّه محل الإيمان وملك الأعضاء واستقامتها باستقامته أي مشرق الشمس ومغربها: والغرض إبعاد الذنوب عنه والحيلولة بينه وبينها بالكلية ذكر الأربع إجمالاً بعد ذكرها تفصيلاً؛ للتوكيد، ولا يقال إنَّ هذا سجع في الدعاء وهو مكروه: لأنَّه صدر منه ﷺ بغير قصد؛ ولذلك جاء في غاية الانسجام[4].

٣. **الإيضاح بعد الإبهام: ومنه ما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ**

---

(١) ٣/٢٩٣-٢٩٤، رقم الحديث:١٠١٥ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) السراج المنير شرح الجامع الصغير: ١/٢٩٣.

(٣) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير(مختصر فيض القدير شرح الجامع الصغير للإمامِ عبد الرؤوف المناوي): محمد بن ناصر الدين الألباني، إعداد وترتيب: أبو أحمد معتز أحمد عبد الفتاح: ٢/١١٢.

(٤) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (ت: ١٣٧٨ هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، د. ت: ١٤/٢٨٧.

فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي)[1]، ورد الإطناب مبهماً أولًا في قوله (مرضت)، ثم بعد ذلك وضحه الله للعباد لكي يعلموا أن زيارة المريض هي زيارة واجبة، فزيارته زيارة تكون لله أولًا، فجاء الإطناب للتوضيح والتنبيه[2].

ويبدو لي أنَّ فائدة الإبهام– هنا–: تشويقُ المتلقي إلى ما سيأتي ثانياً، بعدَ أنْ استعملَ أسلوبَ الإبهام أوّلاً، ولاسيَّما أن مضمون الجملة المبهمة مثيرٌ لذهن المتلقي؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن المرض، كما أنَّه منزَّهٌ عن الحاجة إلى عيادة مخلوق، فلمّا جاء البيان بعد هذا التشويق كان أرسخ في النفوس، وهذه هي الغاية التربوية لأجل أن يحرص كل مسلم على عيادة أخيه المريض.

ومنه ما روي عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (خَرَجَ ثَلَاثَةٌ يَتَمَاشَوْنَ، فَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَدَخَلُوا كَهْفَ جَبَلٍ، فَانْحَطَّ عَلَيْهِمْ حَجَرٌ فَسَدَّ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ، فَقَالُوا: ادْعُوا اللَّهَ بِأَوْثَقِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَأَنِّي رُحْتُ يَوْمًا فَحَلَبْتُ لَهُمَا، فَأَتَيْتُهُمَا وَهُمَا نَائِمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَسْقِيَ وَلَدِي، وَصِبْيَتِي عِنْدَ رِجْلَيَّ يَتَضَاغَوْنَ، فَقُمْتُ قَائِمًا حَتَّى انْفَجَرَ الصُّبْحُ فَسَقَيْتُهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ رَجَاءَ رَحْمَتِكَ وَخَشْيَةَ عَذَابِكَ فَافْرُجْ عَنَّا وَأَرِنَا السَّمَاءَ قَالَ: فَانْفَرَجَ فُرْجَةٌ فَرَأَوَا السَّمَاءَ)[3]، ويتمثل الإيضاحُ بعد الإبهام في هذا الحديث في ذِكْرِ الأشخاص الثلاثة مجملًا في صدر الحديث، ثم الشروع في ذِكْرِ الثلاثة تفصيلًا، وهذا –فيما

(١) ٣/٢٢٤، رقم الحديث: ٩٤٤، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٢) الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية): ص١٠٩.

(٣) ٣/١٧٨، رقم الحديث: ٧٩٨ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

يبدو لي- له أثرٌ في تقرير المعنى المراد وتوكيده؛ لأنَّه يعرض القصةَ في صورتين؛ إحداهما مُجملة حين ترد على النَّفس فتتشوَّق إلى التفصيل، فإذا ورد التفصيل بعد ذلك في الصورة الأخرى، وهو قوله: (فقال واحد منهم..)، صادف نفسًا ظمأى متعطِّشة إلى تمام المراد وتفصيل المجمل، فكأنَّ هذا التلخيصَ كان مقدمة مشوقة للتفصيلات، وهذه المقدمة المشوقة يبدو فيها إيضاحٌ في مفتتح القصة (خرج ثلاثة يتماشون..)، وما في ذلك من إيضاحٍ للعجب الذي يدعو إليه حال الأشخاص الثلاثة بعد أن انحطَّت عليهم تلك الصخرة(١).

ومن أبرز أساليب الإيضاح بعد الإبهام ما ورد في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، وفيهِ: (..فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَنَا تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ؛ أَيُّهُمَا كَانَ أَقْرَبَ فَهِيَ لَهُ، فَقَاسُوهُ، فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرادَ، فَقَبَضَتْهُ بها ملائكةُ الرَّحمة)(٢)، نلحظ أنَّ الكلامَ بُني على الإيضاح بعد الإبهام بخروجه مَخرج التقسيم، بِذِكْر مُتعدِّدٍ على سبيل الإجمال: (فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب)، ثم ذِكْرُ ما لكلٍّ من هذا المتعدد على سبيل التعيين: (فقالت ملائكة الرحمة.. وقالت ملائكة العذاب)، كما أنَّ هذا التقسيم إلى جانب ما فيه من التوضيح بعد الإبهام الذي يؤكد المعنى ويقرره؛ لأنَّ الكلام عرض معها في معرضين وبرز في صورتين تُقرِّر إحداهما الأخرى، والحديثُ يُبرز ويصور

(١) ينظر: الإطناب وأثره في تقرير المعنى: ص١١٨٨.

(٢) ٢/٣٧٦-٣٧٧، رقم الحديث: ٦١١، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

إلى جانب ذلك شدّة المنازعة التي وقعت بين ملائكة الرحمة وملائكة العذاب في شأن هذا الرجل، وقوة حجَّة كل فريقٍ منهما بقرينة سياق الكلام، فقد بعث الله تعالى من يحكم بينهم لفضِّ تلك المنازعة، وإنهاء هذا الشقاق(١).

أما مفردة المساواة في علم المعاني فمن الجدير ذكره أن كلام النبي ﷺ يحتوي الذروة في البلاغة ولاسيما أحاديث الرقائق، ولم أجد شواهد تطبيقية للمساواة فيها، ولذلك لم أفرد لها مطلباً خاصاً بها.

(١) الإطناب وأثره في تقرير المعنى: ص١١٨٩.

الفصل الثاني

مدخل: تعريفُ علم البيان.

البيان: لغةً: مأخوذٌ من بانَ الأمرُ يَبينُ فهو بَيّنٌ، وجاء بائنٌ على الأصل، وأبان إبانةً وبَيَّن وتَبيَّنَ واستبانَ كلُّها بمعنى الوضوح والانكشاف، والاسمُ البيان(١).

والبيانُ اصطلاحاً: إنَّ أوَّل من استقرَّ عندهم علمُ البيان بمباحثه ومدلوله المعروف الآن السَّكاكيُّ، الذي عَرَّفَهُ بقوله: " هُو مَعرِفَةُ إِيرَادُ المَعنَى الوَاحِد فِي طُرقٍ مُختَلِفةٍ بِالزِّيَادَةِ فِي وُضُوحِ الدِّلالَةِ عَلَيهِ، وَبِالنُقصَانِ؛ لِيَحتَرِزَ بِالوُقُوفِ عَلَى ذَلِكَ عَن الخَطَأِ فِي مُطَابَقَةِ الكَلامِ لِتَمَامِ المُرَاد مِنهُ"(٢)، وهو التعريفُ المُعتمد حتى يومنا هذا.

وكان اسمُهُ أوَّلاً يُطلقُ على جميعِ علومِ البلاغة بفنونها المختلفة، وفيه يقولُ العلويُّ: " إنَّ العلوم الأدبية، وإنْ عظم في الشرف شأنها، وعلا على أوجِ الشَّمس قدرُها ومكانها، إلَّا أنَّ علم البيان هو أمير جنودها، وواسطة عقودها، وهو فَلَكُها المحيط الدائر، وقمرها السَّامر الزاهر، وهو أبو عذرتها، وإنسان مُقلتها، وشُعلة مصباحها، وياقوتة وشاحها. ولولاه لم تر لسانًا يحوك الوشي من حلل الكلام، وينفثُ السّحر مفترّ الأكمام، وكيف لا؟، وهو المطلع على أسرار الإعجاز، والمستولي على حقائق علم المجاز. فهو من العلوم بمنزلة الإنسان من السَّواد، والمهيمن عليها عند السبر والحَكّ والانتقاد، ولما فيه من الغموض ودقَّة الرموز، واحتوائه على الأَسرار والكنوز، استولت عليه يدُ النّسيان والذَّهول، وآلتْ نجومُه وشموسه إلى الانكساف والأُفول، ولم يختصّ بإحرازه من العلماء إلّا واحدٌ بعد واحد، وطالما قيل: إذا عظم

(١) المصباح المنير: ٩٧/١، مادة (بين).

(٢) مفتاح العلوم: ١٦٢، وينظر: الطراز: ١٠/١.

المطلوبُ قلَّ المساعد، وما ذاك إلا لقصور الهمم عن بلوغ غاياته، وعجزها عن إدراكه والوصول إلى نهاياته "[١].

ويمكن القول إنَّ أوَّلَ كتاب دون في علم البيان هو كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، تلميذ الخليل، فقد تضمَّن كتابُهُ إشارات إلى بعض الأساليب البيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية، وبعض خصائص التعبير النحوية التي لها دلالات معنوية من مثل الذكر والحذف والالتفات والتقديم والتأخير، ثم تبعه العلماءُ، حتى جاء فَحْلُ البلاغة عبدُالقاهر الجرجاني فألَّف في المعاني كتابه دلائل الإعجاز، وفي البيان كتابه أسرارُ البلاغة، وجاء بعده السكاكيُّ فألف كتابه الأبرز مفتاحَ العلوم[٢].

وَلَم يَلقَ عِلمُ البَيانِ غَايَةَ العِنَايَةِ فِي تَقسيمِ الأَبوَابِ، وَتَوزِيعِ الأَنوَاعِ إِلاَّ عَلَى يَدَي السَّكَّاكِيّ، وَتَابَعَهُ فِي ذَلكَ الخَطِيبُ القِزوِينِيُّ، فَأَخَذَ البَيانُ عِندَهُما طَابِعَاً عِلمِيَّاً، وَأَصبَحَ يَدُلُّ عَلَى التَّشبِيهِ وَالمَجازِ وَالكِنَايةِ بَعدَ أَن كَانَ يَشمُلُ فُنُونَ البَلاغَةِ كُلَّهَا عِندَ المُتَقَدِّمِينَ[٣].

(١) الطراز: ١/٥-٦.

(٢) ينظر: علم البيان: عتيق، ص٩.

(٣) ينظر: التَّلخيص في علوم البلاغة: ٢٢٧-٢٢٨، فنون بلاغية (البيان-البديع): د. أحمد مطلوب (ت:١٤٣٩هـ)، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص٢٦.

المبحث الأَّول

التَّشبيـــه

التشبيه لغة: الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ. وَفِي الْمَثَلِ: مَنْ أَشْبَه أَباه فَمَا ظَلَم. وأَشْبَه الرجلُ أُمَّه: وَذَلِكَ إِذَا عَجَزَ وضَعُفَ، وشَبَّهه إِياه وشَبَّهَه بِهِ مَثَّلَهُ، والتَّشْبِيهُ: التَّمْثِيلُ[١].

واصطلاحًا: " هو عقدُ مماثلةٍ بين أمرين أو أكثر؛ قُصد اشتراكهما في صفةٍ أو أكثر، بأداة، أو من دون أداة؛ لغرضٍ يقصده المتكلم "[٢].

وأمَّا أدوات التشبيه فهي كثيرة، أشهرها خمسةٌ: الكاف، وكأن، وشبه؛ ومثل، والمصدر، بتقدير الأداة، وفي المصادر ما لا يمكن تقدير الأداة فيه[٣].

وأشار عبد العزيز عتيق إلى الأغراض البلاغية للتشبيه وقد ذكر منها: بيان إمكان وجود المشبّه، أو بيان حال المشبّه، أو بيان مقدار حال المشبه، أو تقرير حال المشبّه، أو تزيين المشبّه، أو تقبيح المشبّه[٤].

أمَّا أركان التشبيه، فهي أربعةٌ:

---

(١) لسان العرب: ٥٠٣/١٣. (مادة شبه).

(٢) أوجه البلاغة: يوسف طارق السامرائي، ط١، دار الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م، ص١١٣.

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، (د. ط)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦٣م، ص١٦١.

(٤) علم البيان: عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ)، ط١، دار النهضة العربية- بيروت، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٢م، ص١١٣.

١. المشبه: وهو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره.
٢. المشبه به: وهو الأمر الذي يراد إلحاق غيره به، ويسمّى كُلٌّ من المشبه والمشبه به بطرفي التشبيه.
٣. وجه الشبه: وهو المعنى الجامع الذي يشترك فيه الطرفان، ويكون في المشبه به أعرف وأشهر منه في المشبه، وغالباً ما يكون في المشبه به أقوى وأكمل أيضاً منه في المشبه، ونقول (غالباً)؛ لأنَّنا نرى بعض التشبيهات وقد صار بها المشبهُ أقوى وأكملَ في وجه الشبه عن المشبه به، فالمدارُ في ذلك يرجع إلى الغرض الذي من أجله يساق التشبيه.
٤. أداة التشبيه: وهي اللفظ الذي يربط بين الطرفين، ويدل على التشبيه.
٥. الغرض من التشبيه: وهو الهدف أو الفائدة التي من أجلها يسوق المتكلم التشبيه والغاية التي ينشدها من ورائه[١].

ولا يختلف علماء البيان في أنَّ التشبيه له من الاعتبارات الدقيقة، واللطائف العجيبة، والمحاسن الكثيرة والمقاصد الغفيرة، ما يجعله موضع اهتمام البيانيين، ولكنَّهم اختلفوا في موقعه من مباحث علم البيان، هل يعد من مباحثه الرئيسة؟ أو أنَّه مبحث تمهيدي لمباحث الاستعارة؟ لأنَّ الاستعارة كما نعلم مبنية على التشبيه، فبعضهم يرى أنَّه مبحث تمهيديّ لدراسة الاستعارة، ويحتج بأنَّ كُلاً من المشبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه مستعمل في معناه الوضعي، والمعاني المعبر عنها بألفاظ وضعية، تكون واضحة الدلالة، وعلم البيان إنَّما يبحث في الدلالات التي

(١) علم البيان (دراسة تحليلية لمسائل البيان): بسيوني عبد الفتاح فيّود، ط٢، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص٢٠.

تختلف في درجات الوضوح، وهي الدلالات غير الوضعية، وبعضهم يرى أنَّ التشبيه من مباحث علم البيان الرئيسة، ومقاصده الأساسية، ودليلهم أنَّ التشبيه ليس في درجة واحدة من الوضوح، بل تتفاوت درجاته، و تتعد مراتبه، وتختلف أقسامه، وتتنوع ضروبه، فبينما نجد التشبيه الواضح الظاهر الدلالة، نجد التشبيه الدقيق الخفيّ، وعندما نرى التشبيه المفرد نرى الآخر المقيد أو المركب، وعندما نرى التشبيه الحسي، أو الصريح نرى العقلي أو الضمني، وهذا التفاوت والاختلاف بين التشبيهات ظهوراً وخفاء، ووضوحاً ودقة يجعله من المباحث الرئيسة لعلم البيان وهذا الرأي أولى بالقبول[١].

وهناك مرادفٌ للتشبيه وهو التمثيل: هو أنَّ التشبيه عامٌّ، والتمثيل أخصُّ منه، فكل تمثيلٍ تشبيهٌ، وليس كل تشبيهٍ تمثيلاً[٢].

وقد قسم البلاغيون التشبيه باعتباراتٍ عدَّة، باعتبار الأداة، وباعتبار وجه الشّبه، وباعتبار التَّعدُّد، وباعتبار نوع طرفيه، وسنأتي على تطبيقاتِ التشبيه الأبرز في أحاديث الرقائق ؛ فليس كلُّ أنواع التشبيه قد وردت فيها.

المطلب الأول: التشبيه باعتبار الأداة

ويُقسم بهذا الاعتبار إلى مرسل ومؤكد:

(١) علم البيان: بسيوني، ص١٤-١٥.

(٢) أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١ هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م، ص٧٣.

١. **التَّشبيه المرسل:** هو ما ذكرت فيه أداةُ التشبيه[١]، **وممَّا ورد من تطبيقات التشبيه المرسل في أحاديث الرقائق: ما رُوي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارٍ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾[٢]، فَإِنَّهُ لَيَتْلُوهَا وَإِنِّي لَأَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ، وَإِنَّ فَاهُ لَرَطْبٌ بِهَا إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اقْتُلُوهَا، فَابْتَدَرْنَاهَا فَذَهَبَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَقَدْ وُقِيَتْ شَرَّكُمْ، كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا)**[٣]، فقد ورد التشبيه في قوله ﷺ: (كما وقيتم شرها) بأداة التشبيه الكاف، وهي أداةٌ تتميز " بإمكان الإتيان بها في التشبيه لجميع الأغراض التي ذكرها البلاغيون "[٤]، وقد جيءَ بها هنا؛ لكون المقام اقتضى ذلك، وهو هنا تقريب الصّورة بين المشبَّه والمشبَّه به، أي: إن الله تعالى سلّمها من شركم، وهو قتلكم إياها، كما سلمكم من إيذائها إياكم بسمها[٥].

ويبدو لي أنَّ من فوائد هذا التشبيه ما يأتي:

أولاً: أنَّ سيّدنا الرسول ﷺ أراد تنبيههم إلى أنَّ الحيَّة فيها شرٌّ من الممكن أنْ يتسبَّب بقتلهم كما أنَّهم أرادوا قتلها، وأنَّ الله حفظهم منها.

ثانياً: أنَّهُ ﷺ أراد تطييب خواطرهم؛ لأنَّهم لم يقدروا تنفيذ أمره الكريم.

ثالثاً: وقد تكون الحية من الجن فتكون المشكلة أكبر.

---

(١) علم البيان: عتيق، ص٨٠.

(٢) سورة المرسلات، الآية: ١.

(٣) ٤٨٤/٢، رقم الحديث: ٧٠٨، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٤) أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم، محمود موسى حمدان، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م، ص١٢٣.

(٥) شرح سنن النسائي المسمى (ذخيرة العقبى في شرح المجتبى): محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، ط١، دار آل بروم للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ١٣١/٢٥.

ومنه ما رُوي عن ابن عُمَرَ –رضي اللهُ عنهما– قَالَ: (أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِيْ، أَوْ قَالَ: بِمَنْكِبَيَّ، فقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سبيل)[1]، فالتشبيه في قوله ﷺ: (كَأَنَّكَ غَرِيبٌ) إذ شبَّه الإنسانَ في الدنيا بالمسافر، وكذلك هو على الحقيقة؛ لأنَّ الدنيا دار نُقْلة وطريق إلى الآخرة، فنبَّه أُمتَه أن يغتنموا أوقات فراغهم بالأعمال الصالحات؛ لأنَّها فرصتهم[2].

ووجه الشبه هنا هو عدم الاستقرار وكون الدنيا كالممرّ، وإشارة إلى عدم الاستقرار الذي يميز الدار الدنيوية، فالنبي ﷺ أراد أن يبين قيمتها عند العبد، وحقَّها الذي لا يعدو أن يكون كحقّ بلدٍ عند غريب عنها أو عابر سبيل، والتشبيه مرسل ورد بأداة التشبيه (كأنَّ)؛ لأنَّ المقام اقتضى ذلك، فهي تدل على قوة المشابهة بين الطرفين، فهو تشبيه حسيٌّ حَقّق غرض البيان والإيضاح وغاية التأثير في المتلقي " ابن عمر" ﷺ ابتداءً، ومن ثمّ جميع المسلمين، وقد جاء التشبيه به أمراً محسوساً؛ لتقريب المعنى للأفهام[3].

وفي الحديث الشريف دلالة على إيثار الزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة، إذ شبه سيّدُنا رسولُ الله ﷺ المؤمنَ في الدنيا بالإنسان الغريب أو المُسافر الذي همُّه الوصول إلى غايتهِ ولا يُبالي لمن حولهُ؛ كما أنَّ الغريب إذا دخلَ بلدةً لم ينافس أهلها في مجالسهم، وأمورهم ولم يخرج من أن يروه على خلاف عادته في

(١) ٤٧١/٢، رقم الحديث:٦٩٨، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري: ابن بطال، ٩٧/١.

(٣) ينظر التشبيه في البيان النبوي– مقاربة بلاغية لأحاديث من صحيح البخاري: شهيرة برباري، (بحث منشور) كلية الآداب واللغات– جامعة محمد خيضر– بسكرة، الجزائر، (د. ت)، ص٥.

الملبوس، ولا يكون مُتدبراً معهم، وكذلك عابر السبيل فإنَّه لا يتدبر الأمور، ولا يلجُّ في الخصومات مع الناس؛ لأنَّه ناظرٌ إلى أن لبثهُ معهم أياماً يسيرة(١).

والأصل في حُسن التشبيه أن يُشبَّه الغائبُ الخفيُّ غير المعتاد بالظاهر المعتاد، وهذا يؤدي إلى إيضاح المعنى وبيان المراد، ففي هذا الحديث إرشاد إلى خفَّة الحال وعدم الارتباط والتعلّق الشديد بالدنيا؛ فإنَّ الغريب لا ارتباط له في بلاد الغربة، وابن السبيل لا وجودَ له في مكان إلا بمقدار العبور وقطع المسافة، فهذا المعنى أظهره التشبيهُ نهاية الظهور(٢).

وكذلك المؤمن غايةُ مناله للأعمال الصالحة وترك السيئة للاستعداد لدار الآخرة؛ لأنَّ الدُّنيا دارُ فناء وزوال، والآخرةَ دارُ بقاء وخلود، فنجد أنَّ العمق الفكري الذي يتمثل في هذا التشبيه بأنَّ الإنسان مهما طال العمرُ به في الدُّنيا فلا بُدَّ من مفارقتها، كذلك الغريب مهما مكث في سفره فلا محال من الرجوع إلى الله(٣).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قَالَ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ، كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ)(٤)، والشاهد فيه (أزيز كأزيز المرجل)، أي: أَنَّ جَوْفه الشَّريفَ تجيش وتغلي بالبكاء(٥)، والأزيز: أَزَّتِ القدْرُ تَئِزُّ وتَؤُزُّ أَزّا، أَزيراً

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح: ٢٤٧/٤.

(٢) علم البيان: عتيق، ص١٢٣.

(٣) أحاديث سنن الترمذي: ص٢٨٦.

(٤) ٣١/٣، رقم الحديث:٧٥٣ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٥) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م، ١٩٢/١٣.

وأُزَازاً وأتَزَّتْ: اشْتَدَّ غَلَيانُها، وقِيلَ: هو غَلَيانٌ لَيسَ بالشَّديدِ[١]، والمِرْجل: هُوَ قدر النّحاس خَاصَّة. وَقيل: هِيَ كل مَا طبخ فِيهَا من قدر وَغَيرهَا. وارتجل الرجلُ: طبخ فِي المِرْجَل[٢]، وقيل: إنَّما سمَّي بذلك لأنَّه إذا نُصِبَ فكأنَّه أُقيم على أرجلٍ[٣]، فقد شبه صوت بكاء سيّدنا الرَّسول ﷺ بالمرجل بواسطة أداة التشبيه الكاف ووجه الشبه محذوف، وهو شدة الغليان.

وعَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: (أَنَّ سَلْمَانَ الْخَيْرَ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ عَرَفُوا مِنْهُ بَعْضَ الْجَزَعِ، قَالُوا: مَا يُجْزِعُكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَقَدْ كَانَتْ لَكَ سَابِقَةٌ فِي الْخَيْرِ؟، شَهِدْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَغَازِيَ حَسَنَةً، وَفُتُوحًا عِظَاماً؟، قَالَ: يُجْزِعُنِي أَنَّ حَبِيبَنَا ﷺ حِينَ فَارَقَنَا عَهِدَ إِلَيْنَا، قَالَ: لِيَكْفِ الْيَوْمَ مِنْكُمْ كَزَادِ الرَّاكِبِ)[٤]، الشاهدُ في قوله ﷺ: (كزاد الراكب)، فأداة التشبيه)(الكاف) مذكورة، ووجه الشبه محذوفٌ، وهو تشبيه الإنسان في الدنيا بحال المسافر، ومدلولُهُ التربويُّ: ليكفك من الدنيا ما يبلِّغك إلى الآخرة، فالمؤمنُ يتزوَّد منها، والفاجر يستمتع فيها، والأصل أنَّ من امتلأ قلبه بالإيمان استغنى عن كثير من مؤن دنياه، واحتمل المشاقّ في تكثير مؤن أخراه، وفيه تنبيهٌ على أنَّ الإنسانَ مسافرٌ لا قرارَ له، فيحملُ ما يبلغه المنزلة بين يديه مرحلة تلو الأخرى، ويقتصر عليه [٥].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم: ٩٦/٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٨٤/٧.

(٣) الفائق في غريب الحديث والأثر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة – لبنان، د. ت، ٣٩/١.

(٤) ٤٨١/٢، رقم الحديث: ٧٠٦، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٥) ينظر: فيض القدير: ٣٩٤/٥.

٢. **التَّشبيه المؤكد:** هو ما حُذفت منه أداةُ التشبيه، وتأكيد التشبيه حاصل من ادّعاء أنَّ المُشبهَ عينُ المشبه به[١]، **ومنه قوله ﷺ: (النَّدم توبة)**[٢]، فقد حذفت منه الأداة، والمشبه عين المشبه به، إذ الندم والتوبة كلاهما من صفات المؤمن، وشبِّه به وحذفت الأداة؛ للإشارة إلى اتحاد المشبه بالمشبه به، وسببُ ذلك هو كونُها مقصودها الأعظم[٣] .

المطلب الثاني: التشبيه بحسب وجه الشبه

١. **التشبيه المجمل:** هو التَّشبيه الذي لم يذكر فيه وجه الشبه[٤]، فمنه ما هو ظاهر يفهمه كلُّ أحد حتى العامة؛ كقولنا: زيد أسد؛ إذ لا يخفى على أحد أنَّ المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها، ومنه ما هو خفيٌّ لا يدركه إلاَّ مَنْ له ذهنٌ يرتفع عن طبقة العامة[٥].

وممَّا ورد منه في الأحاديث النبوية ما رُوي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَوْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمُ اللَّهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خماصًا وتعود بطانًا)**[٦]، ورد التشبيه هنا في قوله ﷺ: (كما

---

(١) علم البيان: عتيق، ص٨٠.

(٢) ٢٨٠/٢، رقم الحديث:٦١٤، قال ابن حجر: " حَدِيثٌ حَسَنٌ ". فتح الباري: ١٣/ ٤٧١.

(٣) قوت المغتذي على جامع الترمذي: جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال أبو بكر السُّيُوطِيُّ (ت:٩١١هـ): إعداد ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، إشراف سعدي الهاشمي، اطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢٤هـ، ٢٩٤/١.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية: ص٣٤٠.

(٥) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي (ت: ١٣٩١هـ)، ط١٧، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ٤٣٢/٣.

(٦) ٥٠٩/٢، رقم الحديث: ٧٣٠، قال المحقق: " إسناده جيد ".

يرزق الطير) إذ شبه النبيُّ ﷺ الإنسانَ في طلب الرزق بالطير، ووجه الشبه محذوف، وهو التوكّل وتسليم الأمر لله سبحانه وتعالى، فينبغي على الإنسان التوكل على الله في رزقه وذهابه ومجيئه، كالطير عند خروجها جائعة البطون، فحتماً سترزق من حيث لا تحتسب؛ لتوكلها وتيقنّها بالخالق الرزاق؛ لأنَّ التوكلَ محلّه القلب، ومنبعه الإيمان بالله فحتماً سترزق، كما أنَّه قد يُرزق أيضاً من غير حركة، بل بتحريك غيره إليه يصلُ رزق الله ببركتهِ(١).

ومنه ما رُوي عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ﷺ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يحمي سقيمهُ الماء)(٢)، ورد التشبيه في قول: رسولنا الكريم ﷺ (كما يحمي سقيمه الماء)، أي: كما يحمي الإنسانُ مريضَهُ من الماء؛ خوفاً عليه من الأذى، فشبه حبّ الله تعالى للمؤمن بواسطة أداة التشبيه الكاف، والمشبه به حماية المريض والاعتناء به، أمَّا وجه الشبه فمحذوفٌ، دلَّ عليه المشبه به هو الخوف والحماية، وهو بذلك من ضمن التشبيه المجمل، وغايتُهُ بيان أنَّ الله تعالى أعلم بما يصلح عباده، فمنهم من لو أعطاه الدنيا لأفسد فيها وضرَّ نفسه، فحماه الله ذلك لتكمل صحة إيمانه، كما يحمي المريض عن الماء لتكمل صحته(٣)، وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله تعالى:﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾(٤).

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح، ٣٣٢٠/٨، أحاديث سنن الترمذي، ٢٩٥/٢٩٤.

(٢) ٤٤٤/٢، رقم الحديث: ٦٦٩، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٣) التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، ٤١٨/٤.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

ومنه ما رُوي عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ آمِنًا فِي سِرْبِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يومه فكأنَّما حيزت له الدنيا)[1]، ورد التشبيه في قوله ﷺ: (فكأنما حيزت له الدنيا) إذ شبه رسولُنا الكريم محمَّدٌ ﷺ الإنسان المعافى والآمن في بيتهِ ومن يملك ما يكفي ليومهِ بمن امتلك الدنيا، أما وجه الشبه فمحذوف وهو الحيازة والملك بما رزقه الله تعالى من نعمة.

ومنه ما رُوي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بالصدقةِ)[2]، المشبه الأوَّل في قولهﷺ: (الجاهر بالقرآن)، شبَّهه بالجاهر بالصدقة، والمشبه الثاني في قوله (وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ) شبَّهه بالجاهر بالصدقة، وأداة التشبيه (الكاف)، ووجه الشبه محذوف، فقد دلَّ عليه الجاهر أو المسر والمُراد التوسط في قراءة القرآن؛ وذلك لحكمة الله تعالى في حال العبد وتحذيره؛ كي لا يقع في ما يؤدي إلى الرياء عند رفع الصوت، وكذلك حثه على التمسك بتعاليم الإسلام، وأيضاً كي يتدبر في آيات الله تعالى، وقال العلماء والجمع بينهما أنّ الإسرارَ أبعدُ من الرِّياء، والجهر أفضل بشرط أن لا يؤذي غيره من مُصلٍ؛ أو نائم، أو غيرهما[3].

ويبدو لي أنَّ فائدة التشبيه هنا التَّأكيد على أنَّ الإسرار عند قراءة القرآن أفضلُ، معَ أنَّ الجهرَ بهِ إذا لم يخالطه الرِّياء جائزٌ أيضاً، وكأنَّ في هذا

---

(٥) ٤٤٦/٢، رقم الحديث: ٦٧١، قال ابن حجر: " حديث حسن ". نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني(ت:٨٥٢ هـ)، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ١٩/٢.

(٢) ٨/٣، رقم الحديث: ٧٣٤، قال المحقق: " إسناده حسن ".

(٣) الكاشف عن حقائق السنن: ١٦٨٩/٥

الحديث إحالةٌ على قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[1]، فكما أثبت الأجر للمتصدِّقين في الجهر والإسرار أثبت الأجر لقارئ القرآن في الحالتين، فوجهُ الشَّبه ثبوت الفضيلة والأجر.

٢. **التشبيه المفصل:** هو التشبيه الذي يذكر فيه وجهُ الشبه[2]، **ومنه ما روي عَنْ أَبِي مُوسَى**ﷺ**، عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ**، قَالَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا)**[3]، ورد التشبيه في الحديث الشريف متعدد إذ شبه المؤمن بالأترجَّة مُصرِّحاً بوجه الشَّبه فهو من حيث طيْب الطعم والريح، بواسطة أداة التشبيه الكاف، وشبه المؤمن الذي لا يقرأ القرآن بالتمرة وصرَّح بوجه الشَّبه بأنَّ لها طعماً حلواً وليس لها رائحة، ثُمَّ شبه الفاجر الذي يقرأ القرآن بالريحانة ووجه الشبه من حيث طعمها المرَّ ورائحتها الطيبة فوجه الشبه من حيث حسن المظهر، والفاجر الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة لها طعم مرٌّ ولا ريح لها، ففي كل التشبيهات السابقة وجه الشبه منتزعٌ من متعدّد أمرين مَحسوسين طعم ورائحة،

---

١ سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية: ص٣٤٨.

(٣) ٤٧/٣، رقم الحديث: ٧٧٠، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

فالتشبيه تفصيليٌّ وتمثيليٌّ أيضاً، وهو وصفٌ لموصوف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرز عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد[١].

وهو أيضاً من تشبيه المركَّب بالمركب مع إظهار الأداة[٢]، فسيِّدنا الرسول ﷺ قد شبّه المؤمن القارئ للقرآن وهو متّصف بصفتين هما الإيمان والقراءة بالأُتُرُجة، وهي ذات وصفين هما الطعم والريح، وشبّه المؤمن غير القارئ، وهو متّصف بصفتين هما الإيمان وعدم القراءة بالتمرة، وهي ذات وصفين هما الطَّعم وعدم الريح، ووصف المنافق القارئ، وهو متّصف بصفتين هما النّفاق، والقراءة بالرَّيحانة وهي ذات وصفين، هما الريح وعدم الطعم، ووصف المنافق غير القارئ، وهو متّصف بصفتين هما النفاق وعدم القراءة بالحنظلة، وهي ذات وصفين هما عدم الريح ومرارة الطعم[٣].

كما ينقسم التشبيه باعتبار الوجه إلى قسمين: تمثيل، وغير تمثيل.

١. **فالتمثيل:** ما كان وجه الشبه فيه هيئة مركبة من عدة أمور، حسيًّا كان هذا الوجه أو عقليًّا.
٢. **غير التمثيل:** ما لم يكن الوجه فيه هيئةً منتزعة من متعدِّد، بأن كان أمرًا واحدًا أو متعددًا، وما تقدم في تشبيه التمثيل هو مذهب جمهور البيانيين، فهم لا

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٤٥٦/٤.
(٢) علم البيان: عتيق، ص١٢١.
(٣)علم البيان: عتيق، ص١٢٢.

يفرقون فيه بين الحسي والعقلي، فالمدار فيه عندهم على أن يكون هيئة مركبةً من عدة أمور، حسية كانت أو عقلية[١].

وممَّا ورد من التشبيه التمثيلي والتمثيل في أحاديث الرقائق: ما رُوي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَوْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمُ اللَّهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خماصاً وتعود بطاناً)[٢]، ورد التشبيه في قوله ﷺ: (كما يرزق الطير)، أي: مثلما ترزق الطيور في يومها من دون أنْ تفكر في رزقها كونها موقنة بأنَّ الله تعالى سيرزقها، فهذه الطيور تكون في الصباح خماصاً، ضامرة البطون من الجوع، وتروح في المساء وقد امتلأت بطونها، استناداً إلى إنَّ الله يرزقها، من غير حيلةٍ منها ولا تخطيط[٣].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي آخِيَّتِهِ يَجُولُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ، فَأَطْعِمُوا طعامكم، الأتقياء وولّوا معروفكم المؤمنين)[٤]، وقد ذكر الطيبي: أنَّ قوله ﷺ: (وإنَّ المؤمن يسهو) عطف على قوله: (يجول)، وخولف بين الجملتين؛ لإرادة التَّجدد في الأولى والثبوت في الثانية؛ لأنَّ المؤمن لا ينفكُّ عن الإيمان البتة، وكلاهما بيان للسابق، كأنَّه قيل: لِمَ شبهت حال المؤمن بحال الفرس؟

---

(١) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت: ٧٧٣ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣ م، ٢/١٠٠.

(٢) ٢/٥٠٩، رقم الحديث:٧٣٠، قال المحقق: " إسناده جيد ".

(٣) التصوير الفني في الحديث النبوي: محمد بن لطفي الصباغ، ط١، المكتب الإسلامي– بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م، ص٤٩٦.

(٤) ٢/٣٨١، رقم الحديث: ٦١٦ ، وصحح إسناده السيوطي عن الراهرمزي، جمع الجوامع: ٨/ ٢٢٦.

وما حال المشبه به، فالجواب يجول، أي: الفرس، والتشبيه تمثيليٌّ؛ لأنَّ الوجه منتزع من عدة أمور متوهَّمة[١].

فابن آدم خطَّاء، واللهُ غفارٌ والمؤمنُ يعرف هاتين الحقيقتين، فلا ينبغي أنْ يحملهُ الزلل على الانقطاع عن الخير، واليأس من رحمة الله تعالى، فلا يوغل في طريق الشر. وقد عبر سيِّدُنا الرسول الكريم ﷺ عن ذلك بهذه الصورة الجميلة: المؤمن كالفرس في آخيته (الآخيَّة: العروة التي تشدُّ بها الدَّابَّة، وتكون في وتد، أو سكة مثبتة في الأرض)[٢]، يجول ما يجول ثُمَ يعود إلى حيث كان؛ لأَنَّه ربط نفسه بعقيدة فلا ينطلق في مجالات الغواية، ولا يوغل في طريق الإثم والمعصية، فإنَّه رجَّاع إلى الله تعالى، يسهو ويزلُّ ويخطئ ويعصي لكنَّه يرجع إلى الإيمان[٣].

ومنه ما رُويَ عَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها-، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ لَهُ أَجْرَانِ)[٤]، ورد التشبيه بالأداة (مثل) إذ شبه الذي يقرأ القرآن مع

(١) الكاشف عن حقائق السنن: ٢٨٧٠/٩.

(٢) غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: د. حسين محمد محمد شرف، مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، ط١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م، ٥٨٠/٢.

(٣) التصوير الفني في الحديث النبوي: ص٤٤٦-٤٤٧.

(٤) ٤٤/٣، رقم الحديث: ٧٦٧، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

السَّفَرة الكَتَبة، وهم الملائكة، واحدُهم: سَافِرٌ ككاتِب وكَتَبَة، وقيل للكِتاب السِّفْر؛ لأنَّه يُسفِر عن الشَّيء، أي: يُوضحُه(١).

ويبدو لي أنَّ الغاية البلاغيَّة من هذا التشبيه مدح قارئ القرآن الماهر في قراءته له، وينسحبُ على ذلك مدح الذي يسعى إلى تعلُّم القرآن عند العلماء؛ لأنَّ الماهر لابدَّ أنْ يكون متعلّماً.

وممَّا ورد من التشبيه التمثيلي؛ من أجل الحثِّ على استذكار القرآن والترغيب في تعاهده: عَنِ ابْنِ عُمَرَ- رضي اللهُ عنهما-، قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مَثَلَ صَاحِبِ الْقُرْآنِ مَثَلُ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا عَقَلَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)**(٢)، فقد جاءت كلمة (صاحب) تفيد المصاحبة ودوام الألفة، ويدل تكرارها على ذلك، فإن الرجل إذا دامت مصاحبته للإبل دامت الألفة بينهما، فلا تنفر منه، فقد رسم سيّدنا النبي ﷺ تلك الحالة من التآلف بين الإنسان والقرآن بطول التعاهد والمدارسة، بحالة صاحب الأبل في ذهابه ومجيئه وحرصه على إمساك إبله بالعقال المشدود، وكيف إذا فرَّط في عقالها هربت منه وخسرها، فالحفظ دائمٌ مادام التعاهد موجوداً كما أنَّ البعير محفوظٌ مادام مشدوداً بالعقال(٣).

وإنما ضرب سيّدنا رسول الله ﷺ المثل بالإبل دون غيرها من الخيل والحمير والبغال، وإنْ كانت إذا لم تربط ذهبت وشردت؛ لِما بين القرآن والإبل من التناسب،

---

(١) ينظر: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح: شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت: ٨٣١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ط١، دار النوادر، سوريا، ١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢ م، ٣٠/١٣.

(٢) ٤٣/٣، رقم الحديث: ٧٦٥، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٣) التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي (من خلال صحيح البخاري): محمد السيد عبد الرزاق موسى، كلية التربية- جامعة المنصورة، (بحث منشور)، ص٢٥.

ومن ذلك أنَّ الإبل تنقاد مع الضَّعيف والقوي، والصغير والكبير، والذكر والأُنثى، مع شدَّة قوتها وعظم خلقها، والقرآن مع علوِّ قدره، وجلالة أَمره وعجز الخلق عن الإتيان بمثله ميسر منقاد للضعيف والقوي، والصَّغير والكبير، والذكر والأُنثى[١].

المطلبُ الثَّالث: التشبيه الضِّمني

هو "تشبيهٌ لا يُوضع فيه المُشبَّه والمشبَّه به في صورةٍ من صور التشبيه المعروفة، بل يُلمح المشبه والمشبه به، ويُفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على إمكان ما أسند إلى المشبه"[٢]، من هذا التعريف ندرك أنَّ الضّمنَّي مضمرٌ في النّفس، وأنَّه يؤثر فيه التلميح على التّصريح، كما أنَّ التسمية تشير إلى أنَّ التشبيه غير ظاهر في الكلام، وإنّما على المتلقّي أنْ يفهمه ضمناً؛ لأنّه يخاطب ذكاءه وفطنته.

ففي هذا الأسلوب من التشبيه ميزتان؛ إحداهما: خفاء التشبيه وعدم التَّصريح به، وهو عنصرٌ جماليٌّ، يتمثل في إشراك المتلقي في العمل الأدبي، وحمله على إعمال ذهنه لاكتشاف طرفي التشبيه، والأخرى: أنَّه من شأنه أن يخرج الشاعر من الرتابة التقليدية في المقابلة بين الطرفين، ويفتح له آفاقاً من التركيب هو يختارها، ففيه حرية الصياغة وعدم التقيد بالأداة ولو مقدرةً، فضلاً عن القدرة الكامنة فيه للإقناع وإقامة الحجة والبرهان، فـ "غالباً ما يكون المشبه به في التشبيه الضمني برهاناً وتعليلاً للمشبه"[٣].

---

(١) التصوير الفني في الحديث النبوي: ص٤١٢.

(٢) علم البيان: عتيق، ص١٠١، جواهر البلاغة: الهاشمي، ص٢٣٩.

(٣) علم البيان: بسيوني، ص١٢٣.

ويؤتى بهذا النوع من التشبيه؛ ليدلّ على أنّ الحكم الذي أسند إلى المشبّه ممكنٌ، وإنْ لم يغبْ عنه جانب التّخييل فهو أبلغُ من غيره، وأنفذ في النفوس والخواطر؛ لاتخاذه جانب التلميح واكتفائه به، ونلحظ أنَّ وروده يكثر في الحكم والمواعظ والأمثال، وكثيراً ما يأتي في جملتين متواليتين لكلٍّ منهما معناها المستقلّ، وقد تربط جملة المشبّه به بجملة المشبّه بحرف الواو[1].

ومن التشبيه الضِّمني في أحاديث الرقائق **ما روي عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (للَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ رَجُلٍ بِأَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ، فَأَضَلَّهَا، فَخَرَجَ فِي طَلَبِهَا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي فَأَمُوتُ فِيهِ، فَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي أَضَلَّهَا فِيهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ غَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، فَاسْتَيْقَظَ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ عَلَيْهَا زَادُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ، فَاللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ من هذا الرجل)**[2]، فقوله ﷺ (لله أفرحُ) معناهُ: أرضى بالتَّوبة، وأقبَلُ لها[3]، فقد شبه سيّدنا النبيُّ ﷺ فرحةَ الله تعالى برجوع العبد العاصي بالتوبةِ إليهِ، بفرحةِ الرَّجل الذي فقد راحلته وهو في أرضٍ قاحلة، ثمَّ عادت إليه، فجاء التشبيه يكتنِفُهُ نوعٌ من الخفاءِ وخاليًا من أداة التشبيه؛ للتأكيد على شدَّة الفرحِ وتشابههما في الحالين، وإنْ كان فرحُ اللهِ تعالى لا يمكن أنْ يكون كفرح الرجل، وهكذا عبَّر سيّدنا النبي ﷺ بفرح الله تعالى في هذا الحديث الشريف عن عطائهِ الواسع بالفرحِ للإنسانِ،

(١) ينظر: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): محمد أحمد قاسم– محيي الدين ديب، ط١، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس– لبنان، ٢٠٠٣ م، ص١٧٣.

(٢) ٣٨٤/٢، رقم الحديث: ٦١٨، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٣) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت:٣٨٨هـ)، تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط١، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م، ٢٢٣٨/٣.

فإنَّ الصورة بلغت من الإبداع ما بلغت، فاليأسُ في أولها في أعلى مراتبهِ، والفرح في آخرها نال أعلى درجاتهِ(١).

إذن فالتشبيه الضمني هنا غير صريح، بِهِ حاجةٌ إلى ما يحتاج إلى معرفة واستنباط من بعض القرائن الدالة عليه، فأبلغت هذه القصة الغرض الذي وردت لأجله، لتقريب المعنى إلى أذهان الناس لإدراك مدى فرح الله بتوبة العبد الضال في صورة لها وقعٌ في النفس، فتبعث الراحة وتبهر العقل، فجاء التقابل بين صورتين وهو من مميزات التشبيه الضمني(٢).

ويبدو لي أنَّ الغاية من هذا التشبيه تقريبُ الصَّورة وترسيخها في النفوس، وإلَّا فلا وجه للمشابهةِ بين الخالق والمخلوق.

ومنه ما ورد عن أنس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (حُفَّت الجنَّةُ بالمكاره، وحُفَّتِ النَّار بالشَّهوات)(٣)، وهذا الحديث من بديع الكلام وجوامعه الذى أوتيه ﷺ من التمثيل الحسن، فإنَّ حِفاف الشيء جوانبه، فكأنَّه أخبر ﷺ أنَّه لا يُوصَل إلى الجنة إلا بتخطي المكاره وكذلك الشهوات، وما تميل إليه النفوس، وأنَّ اتباع الشهوات يُلقي صاحبَهُ في النَّار ويدخلها، وأنَّه لا ينجو منها إلا مَنْ تجنَّب الشهوات، وفيه تنبيهٌ على ضرورةِ اجتنابها(٤).

---

(١) ينظر: التشبيه في صحيح مسلم دراسة تحليلية: احمد عيضة أحمد الثقفي، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة– المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م، ص١٦٥.

(٢) أحاديث سنن الترمذي: ص٣٠٨.

(٣) ٤٩٢/٢، رقم الحديث: ٧١٦، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩ هـ– ١٩٩٨م، ٣٥٧/٨.

فالجنَّة سلعة غالية، فلابد من دفع الثمن وإلاَّ لما كانت شيئاً يُكافَأ به، ومن أجل ذلك قضت حكمته تبارك وتعالى أن تكون محفوفةً بالمكاره، فالقيام بالواجبات أمرٌ ثقيل على النَّفس، ولاسيما إن كان جهاداً، أو أداءً للصلاة في وقتها وعلى وجهها، وكذلك الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والبعد عن المحارم المبذولة، رغم ميل النفس إليها ودفع الغريزة نحوها، فأقامَ في طريقها المكاره؛ حتى لا يدخلها إلا من هو أهلٌ لها، في حين أنَّ النَّار شيء مخيفٌ تنفر منه النفس وتأباه، فلو عرفوها على حقيقتها لكان من الممكن أنْ يتحاماها كلُّ الناس حتى الذين يستحقونها، والصورة هنا متمثلةٌ في المكاره تحفّ بالجنّة من كلِّ جانب، فكأنَّها جدار أو سور، والشهوات كذلك تحف بالنَّار من كلِّ جانب، ووضع الصورتين إحداهما إلى جانب الأخرى يزيد في وضوح الصورة بالنِّسبة لكل منهما(١).

المطلبُ الرَّابع: التشبيه البليغ

هو ما ذُكر فيه الطرفان–المشبّه والمشبَّه به– فقط، وحُذف منه الوجه والأداة واتحد المشبه مع المشبه به، أمَّا سبب تسميته بذلك فهو أنَّ حذف الوجه والأداة يوهم باتِّحاد الطرفين وعدمِ تفاضلهما، فيعلو المشبهُ إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه، أمَّا ذكر الأداة فيفيد ضعف المشبه وعدم إلحاقه بالمشبه به، كما أنَّ ذكر الوجه يفيد تقييد التشبيه وحصره في جهة واحدة(٢).

(١) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي: ص٢٠٠-٢٠١.

(٢) علوم البلاغة: المراغي، ص١٦١.

قال عنه بعض الأدباء: " ما أشبه هذا الضرب من التشبيه بالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أنْ تشقَّهُ عنه، أو بالحبيب المتحجِّب لا يريك وجهه حتى تستأذنَ "[١].

إذن فالتشبيه البليغ هو أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة؛ لحذف وجهه وأداته[٢]؛ لما فيه من ادّعاء أنَّ المشبّه هو عينُ المشبه به، ولما فيه من الإيجاز الناشئ عن حذف الأداة والوجه معاً، هذا الإيجاز الذي يجعل نفس السامع تذهب كلَّ مذهبٍ، ويوحي لها بصور شتى من وجوه التشبيه[٣].

وممَّا ورد من التشبيه البليغ في أحاديث الرقائق **ما رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وجنَّة الكافرِ)**[٤]، فإنَّ قولَه ﷺ: (الدنيا سجن للمؤمن)، أي: بالنِّسبة لما أُعدَّ له من النَّعيم في الجنَّة، (وجنة للكافر)، أي: بالنسبة لما أُعدَّ له من العذاب، أو يقال: إنَّ المؤمنَ ممنوعٌ من شهواتها المحرمة فكأنَّه في السجن، والكافر عكسه فهي كالجنة له، أي: حذفت أداته وحمل المشبه على المشبه به مبالغة[٥].

إذن ففي الحديث الشريف تشبيهان بليغان (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)، فقد حذف الأداة ووجه الشبه، والغرض بيان حقيقة الدنيا وتحقيرها، فالدنيا إذا قيست بما سيلقى المؤمن في الآخرة من صنوف النعيم والمتعة فهي سجن، أمَّا إذا قيست بما سيلقى الكافر من صنوف العذاب والإهانة والتّضييق فهي جنَّة[٦].

---

(١) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ٩٣/١.

(٢) علم البيان: عتيق، ص٥١.

(٣) المصدر نفسه: ص١٠٥.

(٤) ٤٦٤/٢، رقم الحديث: ٦٨٨، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٥) ينظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: ٣٩٨/٤، التشبيه في صحيح مسلم: ص٩٠.

(٦) التصوير الفني في الحديث النبوي: ص٥٥٧.

ومنه ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (لَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، صَلُّوا فِيهَا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ يَسْمَعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ فِيهِ)[1]، ورد التشبيه في قوله ﷺ: (لا تتخذوا بيوتكم مقابر)، أي: كالمقابر، فحُذفتِ كافُ التشبيه، وحذفَ وجه الشَّبَه، وهو كونُ المقابر أشبه ما تكون أماكن للنَّوم فقط ولا عبادةَ فيها، إذ شبه البيت الذي لا تقرأ فيه سورة البقرة بالمقابر، فقد اتَّحد المشبه بالمشبه به، إذ البيوتُ والمقابر بمعنى واحد، فالأولى هي محل السكن في الدنيا، أمَّا المقابر فهي بيت الإنسان بعد الموت.

فالبيوت التي لا يقرأ فيها القرآن ولا يصلَّى فيها مقابر، والبيت عندما يتحول في خيالنا إلى قبر يُضحي موحشاً محزناً يُذكِّر بالفناء والحسرات، إنَّ هذه الصورة تؤدي غرضاً دينياً وهو الحرص على أن يصلي الرجل بعض الصلوات النَّوافل في بيته، وعلى أنْ يقرأ فيه شيئاً من القرآن، كما أنَّ البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن مأوى للشياطين وهو قبر موحش لا تُسمع فيه كلمة الحقّ، ولا تدخله الملائكة ولا تحفّ به الرحمة، فهي عامرة بقراءة القرآن، وهي من أجل ذلك رياضٌ مؤنسةٌ، ومنزلٌ للملائكة[2].

ومنه ما روي عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالزَّكَاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّدَقَةُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ،

(١) ٦٢/٣، رقم الحديث: ٧٨٣، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) ينظر التصوير الفني في الحديث النبوي: ص٢٣٧-٢٣٨.

كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا)[1]، ورد التشبيه البليغُ هنا في ثلاثة مواضع:

أوَّلها: قوله ﷺ: (الصلاة نور).

وثانيها: قوله ﷺ: (والزكاة برهان).

وثالثها: قوله ﷺ: (والصدقة ضياء).

إذ حذفت هنا الأداة ووجه الشبه مّما جعل المشبه والمشبه به متساويين متحدين، فلا حدود أو فواصل تفصلهما[2]، فقد ورد التشبيه مرتب على أجمل ما يكون من الترتيب، ففي قوله ﷺ: (الصلاة نور)، أَي: تنور وَجه صَاحبهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وتكسوه جمالاً وبهاءً، فيكثر الْإِنْسَان مِنْهَا مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّهُ مهما أَكثر مِنْهَا ازداد نوراً[3].

وأمَّا قوله ﷺ:(الصدقة برهان)، أي: الصدقة المفروضة؛ ولأنَّ الصدقة إذا أطلقت في التنزيل مقترنةٌ بالصلاة فالمراد بها الزكاة، لكن يؤخذ من تعليلهم الآتي ذكرها للتصوير، لا للتقييد، (برهان) حجّة ودليلٌ قوي إلى إيمان المتُصدق، وحبّه لربّه، ورغبته في ثوابه، فإنَّ النفس مجبولة على حب المال، والشيطان يعد الإنسان الفقرَ، ويزيّنَ له الشحَّ، والنَّفسُ الأمَّارةُ بالسُّوءِ تساعده، فمخالفة النفس والشيطان من أقوى البراهين على حبّ الرحمن. (والصبر)، أي: حبس النَّفس على مشاقّ الطاعة، والنوائب، والمكاره (ضياء)، أي: هي كالضياءِ، والمعنى: لا يزال صاحبه مستضيئًا

(١) ١٢٣/٣، رقم الحديث: ٨٤٤، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٢) شواهد التشبيه في الأربعين النووية: عبدالله محمد بلال، حافظ محمد بادشاه (بحث منشور)، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور – باكستان، العدد الرابع والعشرون، ٢٠١٧م، ص٥٨.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير: ١٠٧/٢.

بنور الحقِّ على سلوك سبيل الهداية والتوفيق؛ ليتحلى بضياء المعارف والتحقيق، فيظفر بمطلوبه(١).

ويتشكل البناءُ اللغوي لهذه الصور من جملةٍ اسمية تتكون من مبتدأ وخبر، وتحويل الجملة من الفعليّة إلى الاسمية له غايةٌ، إذ أنّ دلالة الفعل التجدد أما دلالة الاسم فهي الثبوت(٢)، وفي هذا دلالة على أنَّ وظائف هذه العبادات ثابتة بديهيةٌ، لا يعتريها تبديل، ولا يلحق بها تغيير، وأمَّا تلاحق أخبار الصور على هذا النحو (نور، برهان، ضياء) فيشي بحسن حال من يأخذ بها جميعاً، إذ يأتيه الخيرُ من كل جانب، نور، وضياء، وبرهان، فلا شيء في حياته إلا الأمل، والأمن، والسكينة.

وقد رتبت هذه العبادات فيما بينها، في صلتها بما قبلها من كلام ترتيباً لطيفاً، فكلُّ عبادة ترتب على كلِّ ما وقع قبلها من عبادات، فالذي يتطهر ممَّا يُعكّر صفو إيمانه يُكثر من الذكر، والذي يصفو قلبُه، ويَكثر ذكره يُقبل على الصلاة، والذي يتصف بكلِّ ما سبق من عبادات ومن إيمان، وذكر، وصلاة، يتصدق على النَّاس في سبيل الله، ثم يأتي الصبر في خاتمة العبادات، وكأَنَّ سيِّدَنا النَّبي ﷺ أراد من ذلك القول: إنَّ للصبر ثمرةً عظيمة لا يبلغها إلَّا من كان طاهر الإيمان، كثير الذكر، يقيم الفرائض، ولاسيما الصلاة، ويتطوع بالنوافل، وفي مقدمتها الصدقة(٣).

ومنه ما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَكْرَهَهُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَتَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي

(١) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير: ٤٢٩/١.

(٢) ينظر: البنى الأسلوبية في النص الشعري – دراسة وتطبيق –: د. راشد بن حمد بن هاشل الحسيني، ط١، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٤ م، ص٢٤٤-٢٤٧.

(٣) لغة الحديث النبوي بين التشبيه والمجاز(دراسة في الصحيحين): ص٤٧-٤٨.

يَأْتِي هَؤُلَاءِ بوجه وهؤلاء بوجه)[1]، فالشاهد فيه: (النّاس معادن)، فقد أطلق شبَّههم ﷺ بالمعدن وأراد الأصل؛ أي أصولها التي ينتسبون لها، ويتفاخرون بها، وإنَّما جعلت معادن؛ لما فيها من الاستعدادات المتفاوتة، فمنها قابلة لفيض الله تعالى على مراتب المعادن، ومنها غير قابلة لها[2].

قال محمَّد الصبّاغ في بيان جماليَّة هذا التشبيه وبلاغته: " فالناس معادن حقيقةٌ لاشك فيها، إذ يختلف النَّاس بعضهم عن بعض اختلاف المعادن في خصائصها ومزاياها، فبعضها ثمينٌ كالذهب والفضة، وبعضها رخيصٌ كالنحاس والحديد، وهذا التشبيه يدل على أنَّ المرء لا يقوى على التخلُّص من خصائصه، فهو كالمعدن لا يمكن أن يتخلى عن مزاياه وصفاته، وعلى أنَّ الناس الكرامَ قليلٌ عددُهم، فالذَّهب والفضة من المعادن النادرة إذا قيسا بالحديد مثلاً، وعلى أنّ المعدن إذا كان في وسط سّيءٍ غير كريم فإنَّ هذا لا يغير من نفاسته شيئاً، لكنَّه إذا انتقل إلى وسطٍ فاضل جمع بين الحسنيين، وكان في موضعه اللائق به "[3].

(١) ٤١٦/٢، رقم الحديث: ٦٤٨ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط البخاري ".

(٢) ينظر: الكاشف عن حقائق السنن: ٦٦١/٢.

(٣) التصوير الفني: ٤٦٩-٤٧٠.

المبحث الثَّاني

المجازُ

المجازُ لغة: جُزْتُ الموضع أجوزُهُ جَوازاً: سلكته وسرتَ فيه، وأَجَزْتُهُ: خَلَّفْتُهُ وقطعته، وتَجَوَّزَ في كلامهِ، أي تكلَّمَ بالمجاز، وقولهم: جعلَ فلانٌ ذلكَ الأمر مَجازاً إلى حاجتهِ، أي: طريقاً ومَسْلَكاً، والمَجاز: خِلافُ الحَقيقة، وَهِي مَا لم تُجاوِزْ مَوْضُوعها الَّذِي وُضع لَهَ[1].

واصطلاحاً: يعرفه عبدُ القاهر الجرجاني (٤٠٠- ٤٧١هـ)، بأنَّه" كلُّ كلمةٍ أُريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها؛ لملاحظةٍ بين الثاني والأوّل "[2]، وقال السَّكَّاكيُّ (٥٥٥- ٦٢٦هـ) : " هو الكلمةُ المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة على نوع حقيقتها، مع قرينةٍ مانعةٍ عن إرادة معناها "[3].

ونلحظ أنَّ العرب كثيراً ما تستعمل المجاز، وتعدُّه من مفاخر كلامها؛ فإنَّه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتُها عن سائر اللغات، ومعنى المجاز طريقُ القول ومأخذه، وهو مصدرُ جزتُ مجازاً كما تقول (قمت مقاماً)، وقلتُ مقالاً، ولو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلاً؛ لأنَّا نقول: نبت البقلُ، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالاً محضاً فهو

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢١١، تاج العروس: ٧٨/١٥، مادة جوز.

(٢) أسرار البلاغة: ٢٤٩.

(٣) مفتاح العلوم: ٣٥٩/١.

مجاز؛ لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز، إلا أنَّهم خصوا به أعني اسم المجاز باباً بعينه؛ وذلك أنْ يسمَّى الشيء باسم ما قاربه، أو كان منه سبباً[١].

ويدخلُ تحت مسمَّى المجاز في علمِ البلاغة ومؤلفات البلاغيِّين: المجازُ العقليُّ، والمجاز المرسل، والاستعارة بجميع أنواعها.

المطلب الأوَّل: المجاز العقليُّ

هو "إسنادُ الفعل أو معناه إلى غير ما هو له عند المتكلم في الظاهر؛ لعلاقةٍ، مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسنادُ إلى ما هو له"[٢].

" أمَّا علاقات المجاز العقلي فمتنوعة، أشهرها: الفاعلية، والمفعولية، والمصدرية، والزمانية، والمكانية، والسببية "[٣].

والمجاز العقلي في أحاديث الرقائق قليلٌ جدّاً، فقد عثرتُ على مثالٍ واحدٍ علاقته المسببيَّة، والمسببية عكس السببية، إذ يطلق لفظ المسبب، ويراد به السبب[٤]، فيعبر المتكلِّم بالنتيجة عن السبب، **ومثاله قوله ﷺ: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ)**[٥]، الشاهد في قوله ﷺ: (وتحركت بي شفتاه)؛

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ٢٦٥/١-٢٦٦.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ص٢٧.

(٣) ينظر: البلاغة والتطبيق: ص٣٤١-٣٤٢.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٧٧، الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠٨، علم البيان: عتيق، ص١٥٨.

(٥) ٩٧/٣، رقم الحديث: ٨١٥، والحديث رواه البخاري في صحيحه: ١٣٥/٩.

فالشَّفتان ليستا الفاعلُ الحقيقيُّ، فقد ذكر المسبب وهو الشفتان، وأراد السَّبب وهو اللسان؛ لأنَّه بتحريك اللسان تتحرك الشفتان بذكر الله، والذكر والنُّطق أداته اللسان، وليس الشفتان(١).

المطلب الثَّاني: المجاز المرسل

وهو مجازٌ تكون العلاقة فيه غير المشابهة؛ وسمِّي مرسلاً لأنَّه لم يُقَيَّدْ بعلاقة المشابهة، أو لأنَّ له علاقاتٍ شتى(٢)، فعلاقاتُهُ كثيرة أهمها: السببية، المسببية، الجزئية، الكلية، اعتبار ما كان، اعتبار ما سيكون، المحلية، الحالية، الخصوص والعموم(٣).

وممَّا ورد من علاقات المجاز المرسل في أحاديث الرقائق:

أ. **السببية:** وهي أن يطلق لفظ السبب ويراد به المسبّب(٤)، **ومنه ما رُوي عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ** ﷺ، **(أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ**: حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ)**(٥)، فقد ورد المجاز في قوله ﷺ: (حبك إياها أدخلك الجنة)؛ فالَّذي يُدخلُ الإنسانَ الجنَّةَ –على الحقيقة– هو اللهُ تعالى برحمته، وليسَ الحبُّ؛ لأنَّ الله تعالى إذا أحبَّ العبد أدخله الجنة، وهذا من وجيز

(١) ينظر: الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية): ص١٤٨.

(٢) علم البيان: عتيق، ص١٤٣.

(٣) ينظر: البلاغة والتطبيق: ص٣٣٣-٣٣٦.

(٤) ينظر: الإيضاح: ٢٠٧، بغية الإيضاح: ٣/ ٨٣، علم البيان: عتيق، ص١٥٨.

(٥) ٣/٧٢، رقم الحديث: ٧٩٢، والحديث رواه البخاري في صحيحه: ١/١٥٥.

الكلام وبليغه؛ إذ اقتصر فيهِ على السبب عن المسبب فهو في غايةِ الحسن والبهاء[١].

ومنه قوله ﷺ: (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بالشهوات)[٢]، ففي هذا الحديث الشريف أُطلقَ السبب وهو تحمُّل فعل المكاره بالصبر والمشقة؛ لشدتها في الوصول إلى الجنّةِ، كما أنَّ الانقياد إلى الشهوات وميل النفوس إليها سبباً في الوصول إلى النار، فأطلق السبب على المُسبب[٣].

ب. **الجزئية:** وهي أنْ يُطلق الجزءُ، ويراد به الكلّ[٤]، أو هي كون الشيء متضمّناً للمقصود وغيره[٥]، **ومثاله ما رُوي عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ أَوْ نَسَمَةٍ)**[٦]، والشاهد في قوله ﷺ: (كعدل رقبة أو نسمة) على سبيل المجاز إذ المقصود بالرقبة الإنسان، والمراد بالرقبة والنسمة: العبد[٧]، أطلق الجزء وهو الرقبة، وأراد الكلّ وهو الإنسان أو العبد.

---

(١) ينظر: الكاشف عن حقائق السنن، ١٦٥٠/٥، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤٦٧/٤.

(٢) ٤٩٤/٢، رقم الحديث: ٧١٨، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٣) أحاديث سنن الترمذي: ص٣٣٧.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٧٩ ، بغية الإيضاح: ٣ / ٨٢ .

(٥) البلاغة الميسرة: ١٩٩.

(٦) ١٣٠/٣، رقم الحديث: ٨٥٠ ، قال المحقق: " إسناده قوي ".

(٧) المفاتيح في شرح المصابيح: ٥٤١/٢.

ج. **الكلية:** " تسمية الجزء باسم الكل"[(١)]، **ومنه ما رُويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ يَرْتَادُونَ لِأَهْلِهِمْ، فَأَصَابَتْهُمُ السَّمَاءُ، فَلَجَؤُوا إِلَى جَبَلٍ....)**[(٢)]، الشاهد في قوله ﷺ: (أصابتهم السماء) ورد على سبيل المجاز المرسل؛ لأنَّ السماء لا تصيب، بل المطر الذي يصيب، فأطلق السماء وهي محلّ المطر، وأراد المطر.

ويبدو لي أنَّه اختار (السَّماء)؛ ليُصوِّرَ لنا كأنَّ السَّماء بسعتها وشدَّتها هي التي أصابتهم، والغاية البلاغيَّة من ذلك بيان كثرة المطر وشدَّته في ذلك اليوم، والسياق يدلّ على ذلك، حتى أنَّهم لشدة المطر لجأوا إلى الجبل ليحميهم، فأطلق لفظ الكل وأراد الجزء، فذكر الجبل وقصد مكاناً منه يحتمونَ فيه.

ومنه ما رويَ عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ﷺ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا، كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يحمي سقيمَهُ الماء)[(٣)]، فالشاهد في قوله ﷺ: (حماه الدنيا) على سبيل المجاز، فأطلق الدنيا مجازاً وهي محلُّ المصائب والفتن والطمع في الأموال، وأراد المصائب والفتن والتلوّث بالدنيا وهذه الأشياءُ محلّها الدنيا، وهي حالَّةٌ في الدنيا، والمعنى: منعَهُ منها، ووقاه أن يتلوث بزينتها؛ كي لا يمرضَ قلبه بداء محبتها[(٤)].

---

(١) بغية الإيضاح: ٣/ ٤٦٦.

(٢) ٣/٢٥١، قال المحقق: " إسناده حسن ".

(٣) ٢/٤٤٤، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، ٥/٤١٦.

د. **الآلية:** وهي " تسمية الشَّيء باسم آلته "[١]، **ومنه قوله ﷺ يصف صوت أحد أصحابه: (لَقَد أُعطِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِير آل دَاوُد)**[٢]، فقد أطلق المزمار وهو آلةٌ تُصدرُ صوتاً حسناً، وأراد الصوت الحسنَ نفسَهُ، ومعنى مزمار هنا: صوتٌ حسنٌ، والمزامير: الغناء، (وآل داود) هو– هنا– داود نفسه، والآل تقع على النبّي نفسه[٣]، والغاية البلاغيَّة من اختيار هذه العلاقة هي إرادةُ الصوت الحسن؛ مبالغَة في وصف حُسن صوته وجماله وتأثيره في القلوب.

المطلب الثالث: الاستعـارة

الاستعارة لغة: مثل العارِيَّةُ، واسْتَعَارَهُ ثوباً فأعارَهُ إيَّاه[٤].

أمَّا اصطلاحاً فالاستعارة في مضمونها امتدادٌ للتشبيه، من حيث اشتراكهما في الاعتماد على المشابهة بين شيئين، ولكنها ادِّعاءٌ للتداخل بين طرفي التشبيه إلى حد إقصاء أحدهما في اللفظ[٥]، أي أنها " تشبيهٌ حُذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً "[٦]، وهي داخلة منطقياً في المجاز اللغوي من حيث إنها " لفظ استعمل في

---

(١) الإيضاح: ٢١٠، وينظر: نظرية البيان العربي: ص٣٣٩.

(٢) ١٧٤/٣، رقم الحديث: ٨٩٢، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٣) شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، ١٦٠/٣.

(٤) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): ٨٢٥. مادة(عور)

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز: ص٤٣٤.

(٦) البلاغة الواضحة: ص٧٧ .

غير معناه الأصلي، بشرط أن تكون العلاقة بين ما استعمل فيه الآن وبين ذلك الأصلي المشابهة "[١]، وباختصار هي " مجازٌ علاقتُهُ المشابهة "[٢].

أما أقسامها فتقسم الاستعارة باعتبار الطرفين إلى قسمين: وفاقية وعنادية ومنها التهكمية أو التلميحية، وباعتبار الجامع قسمين؛ أحدهما: ما يكون الجامع فيه داخلاً في مفهوم الطرفين، وثانيهما: ما يكون الجامع فيه غير داخل في مفهوم الطرفين. وتقسم باعتبار الجامع أيضاً إلى عامية وخاصية، وأما باعتبار الثلاثة- الطرفين والجامع- فهي ستة أقسام: استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي أو بوجه عقلي، أو بما بعضه حسي وبعضه عقلي، واستعارة معقول لمعقول، واستعارة محسوس لمعقول واستعارة معقول لمحسوس، وباعتبار اللفظ قسمان: أصلية وتبعية، وباعتبار الخارج ثلاثة أقسام: المطلقة والمجردة والمرشحة، وهناك الاستعارة التمثيلية أي المجاز المركب والاستعارة التصريحية والاستعارة بالكناية أو المكنية[٣].

وممَّا ورد من أنواع الاستعارة في أحاديث الرقائق:

١. **الاستعارة التصريحية:** لعلَّ أوَّل من عرَّفها تعريفاً دقيقاً هو عبد القاهر الجرجاني حين قال: " أنْ تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه "[٤]، فالتأثير البلاغي

---

(١) مواهب الفتاح: ٢/ ٢٦٩ .

(٢) دروس البلاغة، حفني ناصف وآخرون، ط١، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ص١٢٣.

(٣) معجم المصلحات البلاغية: ص٨٦.

(٤) دلائل الإعجاز: ص٦٧؛ ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ص٢٣٤؛ الإتقان في علوم القرآن: ص٥١٣.

لهذا النوع ينطلق من اللفظة المستعارة بما تحويه من ميزات صوتية ومعنوية ظاهرة، فـ "عندما يتم حضور المستعار منه يتم التصريح به مع تحميله الناتج التأويلي والدلالي للمستعار الغائب، وبذلك تتحرك المهمة الانتاجية بثنائية كبيرة لكي تتبنى الصورة الاستعارية التي يشكلها المستعار منه في هيكلية تسمى الاستعارة التصريحية "[1]، وهي تشترك مع التشبيه في ظهور المشبه به، أي: مُصرَّحٌ بذكره؛ ولذلك تسمَّى التصريحيَّة.

ومن تطبيقاتها ما رُوي عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، أَصْبَحْتُ عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)[2]، فالسيد- هنا- مستعار من الرئيس المقدم، الذي يصعد إليه في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور، وهو المشبَّه بهِ؛ ومن هنا صارت الاستعارة تصريحيَّة، وهذا الدعاء هو جامع لمعاني التوبة كلها، وقد سبق أنّ التوبة غاية الاعتذار، فقد جمع الحديث من بدائع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أنْ يسمى (سيد الاستغفار)، وفيه الإقرارُ لله وحده بالإلوهية والعبودية، وأنَّه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء لما وعده،

(١) أساليب البيان العربي في السور المئين (أطروحة دكتوراه)، هادي محمد منصور، جامعة الكوفة، العراق، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص١٦٢.

(٢) ٢١٢/٣، رقم الحديث: ٩٣٢، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط البخاري ".

والاستغفار من شرّ ما جنى على نفسه، وإضافة النّعم إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنَّه لا يقدر على ذلك إلا هو[١].

ومنه قوله ﷺ: (... يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، إلا أنَّ لك رحمًا سأبلّها ببلالها)[٢]، حيث وردت الاستعارة في قوله ﷺ: لابنته السّيدة فاطمة–رضي اللهُ عنها– (سأبلها ببلالها)، فقد استعار البلل لمعنى الوصل كما استعار اليبس لمعنى القطيعة، و البلال جمع بلل، قيل: كل ما بل الحلق من ماء، أو لبن، أو غيره[٣].

٢. **الاستعارة المكنية:** هي: " الاستعارة التي لم يُصَرَّح فيها باللّفظ المستعار، وإنما ذُكِرَ فيها شيءٌ من صفاته أو خصائصه أو لوازمه القريبة أو البعيدة، كنايةً به عن اللّفظ المستعار"[٤]، وهي عند البلاغيين أبلغ من التصريحية؛ لأنَّ حضور المشبه به (المستعار منه) مفترضٌ في كلا الطرفين، ولكن حذفه في المكنية يولد حركة ذهنية مكثفة من أجل اكتشافه، بينما في التصريحية لا يحتاج الذهن دعماً لمعرفته؛ حيث أنه مذكور، وبما إن التأثير يتفجر من المشبه به فكلما تكثفت الحركة الذهنية حوله كان رد الفعل أدعى لأن يتكاثر[٥].

---

(١) ينظر: التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ: ٤٣١/٦، ١٨٤٤/٦.

(٢) ٤١٢/٢، رقم الحديث: ٦٤٦، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٣) ينظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: ٢٢٦/١٨.

(٤)البلاغة العربية: الميداني، ٢/ ٢٤٣.

(٥) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: ص١٧٤ .

منه ما رُويَ في قوله ﷺ: (إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا نَهَارًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ)[1]، فهنا شبه سورة البقرة بعلوها ورفعتها بسنام البعير، و(إن لكل شيء سناماً)؛ أي: رفعةً وعلواً، استُعير من سنام البعير، ثم كثر استعماله حتى صار مثلا[2]، والغاية البلاغيَّة من هذه الاستعارة بيان أنَّ هذه السّورة أعلى القرآن، وأشرفه كما أنَّ أعلى ما في البعير سنامه وذروته[3]. فالاستعارة هنا مكنية، إذ حذف المشبه به- وهو البعير- واكتفى بلازمة من لوازمه، وهو السنام.

ومنه ما رُوي عَنْ أَبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالزَّكَاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّدَقَةُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا)[4]، ففي هذا الحديث شواهد عدَّة، ففي قوله ﷺ: (الحمد لله تملأ الميزان) جاءت الصورة الفنية هنا استعارة مكنية، إذ شبه (الحمد لله) بإنسان يقوم بملء الميزان

(١) ٥٩/٣، رقم الحديث: ٧٨٠، وصححه الحاكم و وافقه الذهبي. المستدرك على الصحيحين (ومعه تلخيص الذهبي): ٢٨٥/٢، رقم الحديث: ٣٠٢٧.

(٢) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ: ٨٨/٤.

(٣) المجازات النبوية: الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي الحسيني الموسوي (ت: ٤٠٦هـ)، تحقيق: كريم سيد محمد محمود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٧م، ص٢٣٦.

(٤) ١٢٣/٣، رقم الحديث: ٨٤٤، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

بالحسنات، وله يد، ولكنه حذف الإنسان واكتفى بلازمة من لوازمه وهي قيامه بملء الميزان.. والله أعلم.

وتضمن الحديث استعارة تصريحية كونه شبه الميزان بالإناء الذي يملأ ويعبأ عند صب شيء فيه من ماء أو غيره.

وأيضا في قوله ﷺ: (كل الناس يغدو) حيث شبَّه الإنسان في الدنيا بالتاجر الذي يُبكر لتجارته عند الصباح؛ وذلك لأنَّ أعمال الإنسان تبدأ من حين يستيقظ، فإمَّا أن يقوم بالطاعة، أو المعصية؛ وحذف المشبه به وذكر ما يدل عليه وهو الغدوُّ على سبيل الاستعارة المكنية، وأيضاً في قوله ﷺ: (فبائع نفسه) حيث شبَّه الإنسان بالمشتري لنفسه من الله تعالى؛ بما يقوم به من الأعمال في هذه الحياة الدنيا، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه الذي هو البيع والشراء على سبيل الاستعارة المكنية، والشاهد الآخر في قوله ﷺ: (فمعتقها) حيث شبه الرجل المتبتل لله بالطاعة والمنقطع له بالاستجابة لأوامره بمن قدم المال لأسياده يطلب العتق؛ من الرق، فهذا حرَّر نفسه من الرّق، وذلك نجَّى بها من عذاب الله تعالى، وحذف المشبه به وأقام ما يدل عليه ويرمز له، وهو العتق على سبيل الاستعارة المكنية، والشاهد الأخير في هذه اللوحة الفنية الزاخرة بالصور البلاغية قوله ﷺ: (أو موبقها) فقد الشبه العاصي الذي اقترف المنكرات، وترك الطاعات، وأقام على السيئات بمن يهلك نفسه ويزهقها، وحذف المشبه به وذكر ما يدل عليه وهو اللفظ موبقها أو دلالة الفعل يوبق[1].

ومنه ما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ

(١) البلاغة النبوية في الأربعين النووية: ص٨٦-٨٧.

الْعَظِيمِ)[1]، وردت الاستعارة في قوله ﷺ: (كلمتان خفيفتان) فالخفة– هنا– مستعارة للسهولة، شبه سهولة جريان الكلمتين على اللسان بما يخفَّ على الحامل من بعض الأمتعة، فلا يشق عليه كالشيء الثقيل، فذكر المشبه به وأراد المشبه[2]، أمَّا الثقل فعلى الحقيقة عند علماء أهل السنة، إذ الأعمال تتجسم حينئذ والخفة والسهولة من الأمور النسبية وهما مختصران من قوله ﷺ: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)[3].

٣. **الاستعارة التبعية:** وهي ما كان فيها المستعارُ فعلاً، أو حرفاً، أو اسماً، مشتقاً[4]، **ومثاله ما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: **(لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا" قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أن يتغمدني بمغفرة وفضل)**[5]، وردت الاستعارة في الفعل من قوله ﷺ: (يتغمدني)، أي: يلبسنيها ويغمدني بها، ومنه أغمدتُ السيف وغمدته، إذا جعلته في غِمده، وسترته به[6]، ففي الحديث استعارة تبعية إذ شبه شمول مغفرة الله وفضله بتغطية الغمد للسيف واشتماله عليه من جميع جهاته [7].

---

(١) ١٢٢/٣، رقم الحديث: ٨٤١، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٢) الكاشف عن حقائق السنن: ١٨٢٠/٦.

(٣) دراسات في البيان النبوي: ص٢٩٠.

(٤) دروس البلاغة: ص٩٥.

(٥) ٤٣٦/٢، رقم الحديث: ٦٦٠، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٦) ينظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، ط١، دار ابن عفان للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية– الخبر، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٦م، ١٦٩/٦.

(٧) ينظر: المجازات النبوية: ص١١٧.

ومنه قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِعَبْدِهِ مَا لَمْ يَقَعِ الْحِجَابُ)[١]، ففي الحديث استعارة تبعية، حيث شبه الموت بوقوع الحجاب، وضربه بين الشيئين بجامع الحيلولة بين المحجوب (المؤمن)، والمحجوب عنه (التوبة)، والحجاب الموت. واشتق من وقوع الحجاب بمعنى الموت، يقع الحجاب بمعنى يموت المؤمن على طريق الاستعارة التبعية، فالتشبيه هنا بوقوع الحجاب لا بوجوده[٢].

ومما ورد من الاستعارة التبعية أيضاً: قوله ﷺ: (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بالشهوات)[٣]، فقد ورد في الحديث استعارتان تبعيتان في قوله ﷺ: (حفت)، وهما في الواقع استعارة واحدة؛ لأنَّ اللفظ المستعمل واحد، ولكنَّه تكرر في موضعين، إذ شبه تقريب الطاعات للجنة، والطاعات مكاره؛ لأنَّ النفس تكرهها؛ لما فيها من الصعوبة عليها، وتقييد حريتها، بحفها بها، بجامع التقريب في كل، واشتق من الحف بمعنى التوصيل، حفت الجنة بمعنى توصل إليها على طريق الاستعارة التبعية[٤].

---

(١) ٣٩٤/٢، رقم الحديث: ٦٢٧، وصححه الحاكم و وافقه الذهبي. المستدرك على الصحيحين: ٢٨٦/٤، رقم الحديث: ٧٦٦٠.

(٢) المجازات النبوية: ص٣٢٨.

(٣) ٤٩٤/٢، رقم الحديث: ٧١٨ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) المجازات النبوية: ص٣٨٨.

المبحث الثالث

الكنايـــــة

الكناية لغة: أَن تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدَ غَيْرَهُ. وكَنَى عَنِ الأَمر بِغَيْرِهِ يَكْنِي كِنَايَةً: يَعْنِي إِذا تَكَلَّمَ بِغَيْرِهِ مِمَّا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ(١).

أما الكناية اصطلاحًا فقد وصفها عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) بقوله: " والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه. مثال ذلك قولُهم: هو (طَويلُ النَّجاد)، يريدونَ طويلَ القامة "(٢).

وقد فرق السكاكي (ت: ٦٢٦هـ) بين الكناية والمجاز بقوله: " الكناية: ينتقل فيها من اللازم إلى الملزوم؛ أي: ينتقل ذهن السامع، والمجاز: ينتقل فيه من الملزوم، يعنى أنَّ السامع ينتقل ذهنه من الملزوم، وهو الحقيقة إلى اللازم، وهو معنى المجاز "(٣). والخلاصة أنَّ الفرق بين الكناية والمجاز هو عدم وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي في الكناية، في حين يشتمل أسلوب المجاز على قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي(٤).

---

(١) لسان العرب: ٥/ ٣٩٤٤

(٢) دلائل الإعجاز، ص٦٦.

(٣) عروس الأفراح، ١٧/٢.

(٤) المصدر نفسه: ص٨٥.

لذا فإن الكناية تحمل على الحقيقة والمجاز معاً؛ والمجاز هو المراد، فضلاً عن علاقتها التداعي، أي أن تبنى الوسائط على بعضها وصولاً إلى المعنى المجازي، وقد تحمل على الحقيقة[١].

والكناية في رحلتها بين أبحاث البلاغيين مرت بالبديع عندما عدها ابن المعتز (ت: ٢٩٦ هـ) من المحسنات المعنوية[٢]، ثم تحولت إلى علم البيان منذ ظهوره، ثم أصبحت الفن الثالث من فنون البيان، وفي ذلك كلام وخلاف عند البلاغيين، لأنها "إذا وردت تجاذبها جانبا حقيقة ومجاز، وجاز حملها على الجانبين معاً"[٣].

أما أقسام الكناية عند البلاغيين فتقسم إلى ثلاثة أنواع باعتبار المكنى عنه أو المطلوب بها: وهي: الكناية عن صفة، الكناية عن موصوفٍ، الكناية عن نسبة، وباعتبار الوسائط اللوازم إلى رمز وتلويح وإيماء وإشارة [٤].

ومَّما ورد من الكناية في أحاديث الرقائق:

١. **الكناية عن صفة:** " وفيها نصرح بالموصوف وبالنسبة إليه، ولكن لا نصرح بالصفة المكنى عنها؛ بل بصفة أو بصفات أخرى تستلزمها "[٥]، والصِّفاتُ التي كنَّى عنها الحديث الشريف كثيرة، أبرزها:

---

(١) أوجه البلاغة: ص١٠٤.

(٢) ينظر: البديع: عبد الله ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ)، تحقيق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ص٨٣ .

(٣) المثل السائر: ٢/ ١٨١.

(٤) ينظر: علم البيان لعتيق: ٣٧، علم البيان في البلاغة العربية: محمد مصطفى هدَّارة، ط١، دار العلوم العربية، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، ص٨٣-٨٤.

(٥) البلاغة الاصطلاحية: ص١٠٢.

أ. **الكناية عن النَّباهة: ومنها ما رويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)**[1]، ففي الحديث كناية عن صفةٍ، وهي نباهة المؤمن وحرصه على عدم تكرار أخطائه، وقد انماز هذا الحديث بإيجاز عباراته، وكثير دلالاته، فحمل معناه على الظاهر وأراد أنَّ المؤمن لا يدخل يده في جحر سبق أن آذاه، وهذا هو المعنى القريب وهو معنى غير مراد، والمعنى البعيد والخفي أو ما قلنا أنَّه لازم المعنى فهو أنَّ المؤمن الممدوح هو الكيِّسُ الحازم الذي لا يستغفل، بل هو فطن أريب لا يخدع ولا يراد من اللفظ الخفي الجحر ولا العدد ولا يراد اللدغ، بل أبعد قصداً من ذلك[2].

فالمؤمن بعيد عن الغفلة، يأخذ من كلِّ حادثة يراها درساً في الحياة لا ينساه، واللدغ يكون من ذوات السموم، فالمؤمن عاقلٌ فطنٌ، فلا يمكن أن يلدغ من جحر ثم يعود مرة أخرى؛ فيعرِّض نفسه لمثل هذا اللَّدغ، إنَّ الحذر من الناس بعد معاملتهم واليقظة الواعية في الحياة لا تتعارض مع حسن الظنِّ بالناس ولا مع الود والمحبة والإحسان إلى أهل الإحسان، ولقد شاع هذا الحديث حتى أصبح يتمثل به في محاورات الناس وكلامهم[3].

ب. **الكناية عن المداومة على الذكر: ومنه ما رُويَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ ﷺ، قَالَ: (جَاءَ أَعْرَابِيَّانِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِأَمْرٍ**

(١) ٤٣٨/٢، رقم الحديث: ٦٦٣ ، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٢) البلاغة النبوية في الأربعين النووية: ص٩٢.

(٣) التصوير الفني: ص٤٥٤.

أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ ﷺ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)[1]، فقد وردت الكناية في قوله ﷺ: **(لسانك رطباً)**؛ أي: طرياً مشتغلاً قريب العهد منه[2]، فهي كناية عن ضرورة المداومة على الذِّكر وترك الغفلة.

ج. **الكناية عن قبول التوبة: ومنه ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ الله عليه)**[3]، والشاهد في قوله (تاب الله عليه)، أي: قبل توبته، وتحقيقه أنَّ الله تعالى رجع متعطفاً عليه برحمته، وقبل توبته، فيكون (تاب الله عليه) كناية عن قبول التوبة؛ لأنَّ قبول التوبة مستلزم لتعطف الله تعالى وترحمه عليه[4]، وفيه كنايةٌ أخرى في قوله: (قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)، فمن مظاهر اختلال سنن الكون في ذلك اليوم أن الشمس تطلع من مغربها، فسيّدنا الرسول الكريم ﷺ عندما أراد أن يذكر يوم القيامة لم يذكره باسمه وإنما كنَّى عنه بهذه الصورة الواقعية الغيبية[5].

د. **كناية عن كثرة الذنوب:** ومنه ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ

(١) ٩٧/٣، رقم الحديث: ٨١٤، قال المحقق: " إسناده قوي ".

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، د. ت: ٢٢٢/٩-٢٢٣.

(٣) ٣٩٦/٢، رقم الحديث: ٦٢٩، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) الكاشف عن حقائق السنن: ١٨٤٢/٦.

(٥) التصوير الفني في الحديث النبوي: ص١١٣.

كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)[1]، فقد وردت الكناية في قوله ﷺ: (مثل زبد البحر)؛ كناية عن الكثرة عرفاً[2]، وهي هنا كثرة الذنوب.

هـ. **الكناية عن الإسراف: ومنه ما رويَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لِامْرَأَتِهِ، وَالثَّالِثُ للضيف، والرابع للشيطان)**[3]، فالكناية في قوله ﷺ: (والرابع للشيطان)، فهو كناية عن كون ذلك نوعاً من الإسراف، والظاهر أنّ المُراد منه اتخاذ ما لا حاجة إليه، لا بخصوص كونه رابعًا، وإنما خصّه بالذكر نظرًا للغالب، حيث إنه أقلّ ما يكون زائدًا على الحاجة. وفيه دليلٌ على جواز اتخاذ الإنسان من الفرش، والآلة ما يَحتاج إليه، ويترفّه به، وهذا الحديث إنَّما جاء مبيّنًا ما يجوز للإنسان أن يتوسّع فيه، ويترفّه من الفراش[4].

و. **الكناية عن قرب يوم القيامة: ومنه ما رُويَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّوَرِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ؟ ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا نَقُولُ يَوْمَئِذٍ؟، قَالَ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)**[5]، الكناية في قوله ﷺ: (وصاحب الصُّوَرِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ)، أي: كيف يطيب عيشي وقد قرب أن ينفخ في الصور، فكنى عن ذلك بأنَّ صاحب الصور وضع رأسَ الصور في فمه،

---

(١) ١١١/٣، رقم الحديث: ٨٢٩، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٢) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ: ٣٣٤/١٠.

(٣) ٤٤٨/٢، رقم الحديث: ٦٧٣، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٤) ينظر: شرح سنن النسائي المسمى (ذخيرة العقبى في شرح المجتبى)، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، ط١، دار آل بروم للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م: ١٥٦/٢٨.

(٥) ١٠٥/٣، رقم الحديث: ٨٢٣ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

وهو مترصد مترقب لأنْ يؤمر فينفخ فيه، (وحنى جبهته)، أي: أمالها، إذن فهو كناية عن المبالغة في التوجه لإصغاء السمع وإلقاء الأذن(١).

وهنا يبدو ذلك الملَكُ في حالة من الجاهزية القصوى، والإقبال التام على شأنهِ، لا يحول بينه وبين النفخ إلا الإذن، وإنها لنفخةٌ لها ما بعدها وإنها خراب العالم، وإنَّما ينعَمُ من لا يعلم، لكن من عَلِم وفهِم طارَ لبُّه وصار من حالٍ من الترقُب والقلق موازية لحال المَلك في الجاهزية وأدمن على قول حسبنا الله ونعم الوكيل(٢).

ولقد عبر رسولنا الكريم ﷺ عن قرب الساعة بصورة حسية رائعة، صورة مليئة بالحركة والإثارة الحسية، وقد عبر الرسول الكريم ﷺ عن هذه الحركة بالالتقام كأنه لقمة وقد وضعها الملك في فمه، واصغى يستمع ينتظر الإذن: متى يؤمر بالنفخ فينفخ، لم يبق إلا وقت قليل حتى تنتهي هذه الحياة ويأتي يوم القيامة(٣).

ز. **الكناية عن الكثرة: ومنه ما رويَ في قوله ﷺ: (إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ)**(٤)، وردت الكناية في قوله ﷺ: (كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ) كناية عن الكثرة(٥)، فليس المرادُ تحديد العدد بالمائة، والغاية البلاغيَّة

(١) ينظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: ٣٥٠٨/٨.

(٢) ينظر: الكناية في الحديث النبوي وأثرُها في الاستنباط (دراسة تأصيلية تطبيقية): مصعب حمود، (أطروحة دكتوراه)، جامعة دمشق، ١٤٢٣هـ- ٢٠١١م، ص٢٤٥.

(٣) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي: ص١١٠-١١١.

(٤) ٢١١/٣، رقم الحديث: ٩٣١ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٥) دليل الفالحين: ٨/ ٧١٥.

والتربويَّة من هذه الكناية تعليم المسلمين وتنبيههم إلى ضرورة كثرة الاستغفار؛ لأنَّ سيدنا رسول الله ﷺ ليس به حاجة إلى الاستغفار؛ لأنَّه معصومٌ.

ح. **الكناية عن علو منزلة قارئ القرآن: ومنه ما رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو﵄، قَالَ ﷺ: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرَؤُهَا)**[1]، فقوله: (اقْرَأْ وَارْقَ.. فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرَؤُهَا) هو كنايةٌ عن صفةِ علوِّ مرتبة القارئ للقرآن الكريم، " ولنا أنْ نتصور هذا القارئ يرتل بصوته الجميل، وكلَّما قرأَ آية ارتقى وصعد في منازل الجنَّة، إنَّها صورةٌ تتميَّز بالحركة والتشخيص المعنويّ الرائع، فالقارئ يتدرَّج فوق سلم الإيمان آية، حتى يصعد إلى الغاية التي ليس وراءها غاية إلى الجنة "[2].

ط. **الكناية عن رضا الله تعالى: ومنه ما رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ)**[3]، أي: ما استمع اللهُ لشيءٍ كاستماعه لنبيٍّ يُحَسِّن صوته بالقراءة، يقال: الأَذَنُ: الاستِماع للشيء وأذِنتُ بهذا الشيء أي عَلِمتُ[4]، وهو كناية عن رضا الله تعالى عنه، وقبول عمله، ومضاعفة الثواب له، وأمَّا الاستماعُ الحقيقيُّ الذي هو الإصغاء بالأذن فمحالٌ عليه تعالى؛ لأنَّه شأن من يختلف سماعه بكثرة التوجه وقلته، وسماعه

(١) ٤٣/٣، رقم الحديث: ٧٦٦، قال المحقق: " إسناده حسن ".

(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي: ص١٢٤.

(٣) ٢٧/٣، رقم الحديث:٧٥١، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٤) كتاب العين: ٢٠٠/٨، مادة (أذن)

تعالى لا يختلف ولا يشغله شأنٌ عن شأن[١]، ولا يجوز أن تحمل هنا على الاستماع بمعنى الإصغاء؛ فإنَّه يستحيل على الله تعالى، بل هو مجاز ومعناه الكناية عن تقريبه القارئ وإجزال ثوابه؛ لأنَّ سماع الله تعالى لا يختلف فوجب تأويله[٢].

إذن في هذا الحديث كنايتان:

- إحداهما: في قوله (يتغنى) والمراد تحسين الصوت والمبالغة في تجويدِهِ وإعطاء كل حرفٍ حقَّه ومستحقهُ.
- والأخرى: إذن الله: وهو كناية عن رضاه سبحانه.

٢. **الكناية عن موصوف:** وفي هذه الكناية يكون الموصوف على الرغم من غيابه هو محور الكلام، فحذفه يحضره إلى القلوب مباشرة دون المرور بذكره لفظياً، ففي الكناية عن موصوف " نُصرِّح بالصفة ونصرح بالنسبة، لكن لا نصرح بالموصوف صاحب النسبة، بل نكني عليه بما يدل عليه ويستلزمه "[٣]، وفيما يأتي أبرز الموصوفات التي كنَّتْ عنها أحاديث الرقائق:

أ. **الكناية عن الاستعداد للرَّحيل من الدنيا: ومنه ما رويَ عن ابن عُمَرَ-رضي اللهُ عنهما- قَالَ: (أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، -أَوْ قَالَ بِمَنْكِبَيَّ-، فَقَالَ:**

(١) المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود: محمود محمد خطاب السبكي، تحقيق: أمين محمود محمد خطاب، ط١، مطبعة الاستقامة، القاهرة – مصر، ١٣٥١ -١٣٥٣هـ، ١٣٤/٨-١٣٥.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٧٨/٦.

(٣) البلاغة الاصطلاحية: ص١٠٦؛ ينظر: نظرية البيان العربي: ص٣٧٩.

كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سبيل، قال: فكان بن عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَّاحَ وَخُذْ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك)[1]، فالمعنى الظاهر من هذا الحديث أنَّ الرجل هو في ترقب لحركة الليل مع النَّهار، وأنَّه قد لا يدرك الليل إذا أصبح، وقد لا يدرك الصباح إذا أمسى، ولكن المعنى المكنَّى عنه وهو المقصود وغير الظاهر الاستعداد للموت والرحيل، وهذا المعنى غير الظاهر في اللفظ، ولكنَّه أخفاه عن طريق أسلوب الكناية لمزيد التأمُّل فيه[2].

ب. **الكناية عن الموت: ومنه ما روي عَنْ سيّدنا رَسُولُ اللَّهِﷺ قال: (الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ والنار مثل ذلك)**[3]، فقد وردت الكناية في قوله ﷺ: (الجنة، النار) فهما كنايتان عن موصوفٍ، وهو الموت وقربه منّا بدليل واضح أنَّ الطاعات الموصلة إلى الجنة والمعاصي المقربة من النار قد تكون في أيسر الأشياء، فينبغي للمؤمن ألا يزهد في قليل من الخير يأتيه، ولا يستقل قليلاً من الشر يجتنيه فيحسبه هينًا وهو عند الله عظيم[4].

قال الطيبي: " ضَرَبَ العرب مثلاً بالشراك (سَيْرُ النَّعْل)[5]؛ لأنَّ سبب حصول الثواب والعقاب إنَّما هو بسعي العبد، ويجري السعي بالأقدام، وكل من

---

(١) ٤٧١/٢، رقم الحديث: ٦٩٨، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٢) البلاغة النبوية في الأربعين النووية، ص١٠٠.

(٣) ٤٣٦/٢، رقم الحديث: ٦٦١، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٩٨/١٠.

(٥) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ٢٠٠١م: ١٣/١٠.

عمل خيراً استحق الجنة بوعده، ومن عمل شراً استحق النار بوعيده، وما وعد وأوعد منجزان فكأنهما حاصلان "[1].

وعقَّب الدكتور أحمد ياسوف على هذا الحديث باعتباره يحتوي على عنصر بيئي مهم وهو شراك النعل، فقال: " وعلى أية حال القربُ ليس بحسيٍّ، بل معنوي، فالنص يلوّح إلى سهولة دخول الجنة للمطيع وسهولة دخول النار للعاصي، والشراك جزئية معاينة في الواقع، وضبطُها الأصابع يذكر بضبط النفس إزاء الحرام وتكرار مشاهدتها يعدُّ تكريراً للموعظة "[2].

ج. **الكناية عن الطاعة يقابلها رضا الله تعالى: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)**[3]، فقوله ﷺ: (وإن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعًا) كناية عن موصوفٍ وهو طاعة العبد لربّه، وكناية عن موصوف وهو رضا الله تعالى، وقوله ﷺ: (وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) أيضاً كنايتان لكنَّ درجتهما أقوى ممَّا سبق، قال المازري: " هذا مجاز كلّه، وإنَّما هو تمثيلٌ بالمحسوسات وتفاوتها في الإسراع والدنو، فإنَّما المراد إنَّ من دنا منّي بالطاعة دنوتُ منه بالإثابة، وكنت بالإثابة أسرع منه بالطاعة، وإنَّ من أتاني

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٦٤٠/٤.

(٢) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: د. أحمد ياسوف، ط٢، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٣٧٥.

(٣) ٩٣/٣، رقم الحديث: ٨١١ ، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

بحسنة جازيته بعشر، فكنَّى عن التضعيف بالسرعة ودنو المسافة، فهذا الذي يليق بالله سبحانه، وأما المشي بطيء أو سريع، والتقرب بالذراع والباع فمن صفات الأجسام، والله سبحانه ليس بجسم ولا يجوز عليه تنقل ولا حركة ولا سكون وهذا واضح بين، ويراد بالحديث ها هنا أنَّ العبد إذا ذكر الله ﷻ مخليًا إذ لا يطلع عليه أحدٌ أثابه، وقضى له من الخير بما لا يطلع عليه أحد[1]، فقد فذكر الشبر، والذراع، والباع مجازاً؛ لأنَّها وحدات قياس تقاس بها المسافات، وإنَّما أراد الله أن يقول عبدي تقربت إليّ بالقليل أتقرب إليك بالكثير الكثير[2].

د. **الكناية عن الأنوار الربانية المتجددة: وعَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ ﷺ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ)**[3]، وردت المجاز في قوله ﷺ: (ليغان على قلبي)، وهو كنايةٌ عن موصوفٍ هو التَّرقّي أو الارتقاء في الأنوار، والغين في اللغة تعني ما يَغْشَى القلب؛ لأَنَّ قَلْبَه الشريف ﷺ أَبداً كَانَ مَشْغُولًا بِاللَّهِ تَعَالَى[4]، قال ابن علان: " إذ هي غيونُ أنوار لا غيون أغيار، وتجليات ربانية وترقيات أحمدية، فإذا ارتقى للمقام الأعلى رأى ما كان فيه قبل من المقام العالي أيضاً

(١) المُعْلم بفوائد مسلم: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (ت: ٥٣٦هـ)، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، ط٢، الدار التونسية للنشر– المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ١٩٨٨ م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م، ٣٢٤/٣.

(٢) الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية): ص١٥٤؛ أحاديث البر والإحسان في صحيح ابن حبان–دراسة بلاغية: ص٢٣٥.

(٣) ٢١١/٣، رقم الحديث:٩٣١، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) لسان العرب: ٣١٦/١٣. مادة (غين).

كالنقص فاستغفر الله منه "[١]، فالقول مجازٌ إذ المراد أنَّ الغمّ يتغشّى قلبه من ذلك بغواشي الغيم التي تستر الشمس، وتجلّل الأفقُ، والغيم والغين اسمان للسحاب، سواء قال: (يغان على قلبي) أو قال: (يغام على قلبي)[٢].

هـ. **الكناية عن رعاية الله وعنايته: ومنه قوله ﷺ: (مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ، إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)**[٣]، وردت الكناية في قوله ﷺ: (إلا حفتهم الملائكة)، يقال: حَفَّ القومُ بِالشَّيْءِ وحَوالَيْه يَحُفُّونَ حَفّاً وحَفُّوه وحَفَّفوه، وحَفَّه بالشيء يَحُفُّه كَمَا يُحَفُّ الهَوْدَجُ بِالثِّيَابِ، وَكَذَلِكَ التَّحْفِيفُ[٤]، فقد دل الحديث على فضيلة مجالس الذكر والذاكرين وفضيلة الاجتماع على الذكر[٥]، و أفاد شَرَف ذكر الله وفضله، وتكريم الملائكة للذين يذكرون الله ﷻ ويمجدونه ويقدسونه ويتلون كتابه، وبشارة أهل الذكر بنزول رحمة الله عليهم[٦].

---

(١) دليل الفالحين: ٧١٥/٨.

(٢) المجازات النبوية: ص٢٢٣.

(٣) ١٣٦/٣، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) لسان العرب: ٤٩/٩، مادة (حفف).

(٥) سبل السلام: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، (ت: ١١٨٢هـ)، (د. ط)،(د. ت)، دار الحديث: ٧٠٠/٢.

(٦) فقه الإسلام (شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام): عبد القادر شيبة الحمد، ط١، مطابع الرشيد، المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م، ٣٢٠/١٠.

الفصل الثالث

مدخل: تعريفُ علم البديع:

البديع لغةً: " بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابْتَدَعَه، و بَدِيعٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى "[١] .

وعلم البديع اصطلاحاً كما عرفه الخطيب القزويني: " علمٌ يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة "[٢]، وهو ثالث علوم البلاغة الثلاثة الرئيسة كما يتضح من عبارة القزويني، حيث "يقصد بها في شِقِّها الأول علم المعاني، وفي شِقِّها الثاني علم البيان، فوجوه البديع أو تحسين الكلام لا تتوافر في التعبير قبل مثول وجوه هذين العِلْمين، كما لا يتوافر هذا الحسن بدونهما"[٣]، ومعنى ذلك أنَّ تأخيره عنهما من حيث الترتيب ليس تأخيراً في المنزلة والمكانة، بل إن التسلسل المتدرج في الدرس البلاغي يقتضي هذا الترتيب.

إنَّ " الجماليات التي اشتمل عليها علما المعاني والبيان هي جماليات ذاتية، أمَّا جماليات علم البديع فهي جماليات عرضية"[٤]، فنحن إذن مع فنونٍ وظيفتُها الأولى التحسين، وهي فنون علم البديع، فلمَّا كان علم المعاني يتناول صحة التراكيب، وعلم البيان يتناول طبيعة الصور فإن علم البديع أمره قائم على " النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوعٍ من التنميق، إما بسجعٍ يفصله، أو تجنيسٍ يشابه بين ألفاظه، أو ترصيعٍ

---

(١) لسان العرب، مادة (بدع): ٦/٨، ٧.

(٢) الإيضاح: ٢٥٥؛ ينظر: المطول: ٢٣٣؛ الإشارات والتنبيهات: ٢٣٣؛ البلاغة الاصطلاحية: ٢٨٨.

(٣) الفنون البيانية والبديعية بين النظرية والتطبيق: د. حسن البنداري، ط١، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا – القاهرة – مصر، ٢٠٠٢م، ص٢٢١.

(٤) البلاغة العربية: ٢/ ٣٦٧.

يقطع، أو توريةٍ عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما، وأمثال ذلك "[١]، ولا يعني أنَّ هذه الفنون البديعية مجرد صبغات وزخارف، بل نبَّه البلاغيون الأوائلُ إلى ضرورة الحيطة من التكلف والإسراف في استعمالها، قال أبو هلال العسكري: " هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلفِ، وبرئ من العيوب، كان في غاية الحسن ونهاية الجودة "[٢].

وقد اشتهرَ مصطلح البديع في البحثِ البلاغيَّ منذ عصر مبكر؛ لأنَّ الألوان البديعية كانت حاضرةً في التراث الأدبي القديم عند العرب من حيث التطبيقات، أو من حيث هي فنونٌ، فقد كانت ترد " في الشعر القديم والنثر عفو الخاطر ودون إعمال الفكر، وكانت ممّا يستدعيه المعنى استدعاءً، وكانت تصدر عن الشعراء عن فطرة وسليقة لا تَعَمُّلَ فيها ولا تكلف "[٣]، ثم توسَّعَ التفنُّن في البديع في النتاج الشعري بقوة ولا سيَّما في القرن الثالث الهجري، فقد صرَّح أبو الفرج الأصبهاني بأنَّ أول من نظم الشعر البديع هو مسلم بن الوليد، ثم تبعه أبو تمام الطائي وغيره، فكانوا في البديع أصحابَ مذهب[٤]، وكرد فعلٍ صريح عليهم ألف ابن المعتز كتاب البديع في البلاغة،

(١) المقدمة: عبد الرحمن ابن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط١، دار يعرب، دمشق – سوريا، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ٢/ ٣٧٤.

(٢) كتاب الصناعتين: ١/ ٢٦٧.

(٣) البديع في ضوء أساليب القرآن: د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩ م، ص٦.

(٤) ينظر: الأغاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصفهاني، أبو الفرج (ت: ٣٥٦هـ)، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، (د. ت)، ١٩/ ٣٦.

قبل أن يؤلَّف أي كتابٍ خاص فيها [١]، فهو "أول من جمع الفنون البديعية تحت اسم "البديع"، وهي التي تدخل الآن ضمن علوم البلاغة الثلاثة "[٢] .

ولم يقصدْ ابنُ المعتز بالبديعِ الفنونَ البديعية –التي اصطلُح عليها فيما بعد– فقط، بل نجد عنده خلطاً واضحاً بينها وبين فنونٍ بيانية، حتى أتى الإمامان عبد القاهر الجرجاني وأبو القاسم الزمخشري، فاستقل على يديهما علما المعاني والبيان، فكان علم البديع تابعاً لهما ليس له وجود ذاتي[٣]، وكانت المحسنات البديعية تدرس بصورة متفرقة، أو تُدرس مجتمعة بِعدِّها محسنات تابعة لعلمي المعاني والبيان، وكلما تناولها بلاغيٌ زاد فيها محسنات جديدة، ثم أصبح البديع علماً قائماً له أقسامه عند أبي يعقوب السكاكي [٤]، وعلماً ثالثاً مستقلاً عند بدر الدين بن مالك، الذي قسم كتابه "المصباح" إلى ثلاثة أقسام، جعل الثالث منها لعلم البديع[٥]، فصارت للبلاغة علومها الثلاثة حتى زمننا هذا: المعاني والبيان والبديع .

---

(١) ينظر: كتاب البديع لابن المعتز، ص٩– ١٠.

(٢) البديع في ضوء أساليب القرآن: ص١٠.

(٣) ينظر: علم البديع: عبد العزيز عتيق، د. ط، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، (د. ت)، ص٣٢.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ص٤٢٣.

(٥) ينظر: المصباح: ص١٥٩؛ دراسات منهجية في علم البديع: د. الشحات محمد ابو ستيت، ط ١، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤ م، ص٢٤.

وتنقسم المحسنات البديعية على قسمين: معنوية ولفظية، وهذه التقسيم من ابتكار السكاكي، الذي يعد أول من نظر إليها فقسمها على هذا النحو، في حين كان الذين سبقوه كانوا يوردونها بعضها مختلطاً ببعض[١] .

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ص٤٢٣؛ علم البديع لعتيق: ص٤٣.

المبحث الأوَّل

المحسنات المعنوية

المطلب الأول: الطِّبـــــــاق

ويسمَّى المطابقة والتضادُّ، وقد عرفه السكاكيُّ بقوله: " المطابقة: وهي أنْ تجمع بين متضادَّين"[١]، أي: لفظتين متقابلين في الجملة[٢]، كالجمع بين اسمين متضادين من مثل: النهار والليل، وكالجمع بين فعلين متضادين، مثل: يحيي ويميت، وكذلك كالجمع بين حرفين متضادين، نحو اللام وعلى؛ لأنَّ في اللام معنى المنفعة، وفي على معنى المضرة، وهما متضادان، وقد تكون المطابقة بالجمع بين نوعين مختلفين كالاسم والفعل[٣].

وممَّا ورد من صُور الطباق وأساليبه في الأحاديث موضوع دراستي:

١. **طباق الإيجاب: وهو على صورٍ:**

أ. **الطباق بين فعلين: ومن طباق الفعلين قوله ﷺ: (وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ، يَرْفَعُ قَوْمًا، وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**[٤]، فقد ورد الطباق في قوله ﷺ: (يرفع، و يخفض)، فهما فعلان مضارعان متضادان في المعنى، الغاية منهما بيان قدرة الله– تعالى– على أمور العباد؛ لأنَّ الذي يستطيعُ فعل المتضادات هو القادر الحقيقي، فليس كلّ قادرٍ يستطيع عمل الشيء وضده.

---

(١) مفتاح العلوم: ٤٢٣/١.

(٢) عروس الأفراح: ٢٢٥/٢.

(٣) ينظر: علم البديع: عتيق، ص٧٧.

(٤) ٢٢٣/٣، رقم الحديث: ٩٤٣، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

أي: إنَّ كل كائن بيده تعالى، يعز من يشاء، ويذَّل من يشاء، ذلك كلُّه على وفق حكمته، فمن أهَّله لأمر أقامه فيه، وَمنْ سَلَب عليه أمر لا يقيمه فيه غيره(١).

ب. **الطباق بين اسمين: ومنه ما رويَ عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبْعِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ خريفًا)**(٢)، الشاهد في قوله ﷺ: (فقراء)، و(أغنياء) وهو طباق بين اسمين، فإنَّ تفضيل الفقير المؤمن يوم القيامة على الغني هنا لعلوّ منزلته عند الله تعالى، كما أنَّ تقديم أحد الضدين على الآخر؛ لتزداد الأفكار وضوحاً وتقريراً في نفس المخاطب(٣).

ومنه ما روي عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: (قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ؟، قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ)(٤)، فالطباقُ في قوله ﷺ: (الغيب) و(الشهادة)، وهما متضادان، وفيهِ تنبيه للموفق على الإخلاص، وتحذير له من الرياء ولا يغترّ بخفائه ظاهراً فإنَّ الله (ﷻ) عالم بخفيات الأمور، لا تخفى عليه وساوس الصدور، كعلمه سبحانه بظواهر

(١) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِير: ٤٩٧/١٠.

(٢) ٤٥٢/٢، رقم الحديث: ٦٧٧، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٣) أحاديث سنن الترمذي: ص٣٨٣.

(٤) ٢٤٢/٣-٢٤٣، رقم الحديث: ٩٦٢ ، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

الأمور[١]، وكذلك طابقَ بين (السماوات) و (الأرض) وقد جاء الطباقُ بغية إظهار معرفة الله الذي لا يخفى عليه شيء وفي هذه الكلمات، بيان لضعف الإنسان[٢]. كما ورد الطباق في سؤال أبي بكر ﷺ بقوله: (أصبحت) و(أمسيت)، ويقصد به أفضل الذكر والدعاء والاستعاذة.

ومنه ما روي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ,ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يَقُولُ: (الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ...)[٣]، ورد الطباق بين لفظتي: (الحلال- الحرام)، ولا يخفى أنَّ هذا الطباق مما يزيد المعنى جمالاً ويثير النفس ويبعث فيها التأمل والنظر لإدراك ما وراء اللفظين، وما ينبغي الالتزام به إزاء كلٍّ معنى من المعنين[٤]، والقصدُ منه بيان كلّ شيءٍ؛ لأنَّ بيان المُتناقِضِيْن يدلّ بالضرورة على بيان ما بينهما في التدّرج.

ومنه ما روي عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: (يَا بَنِي أَخِي... احْفَظُوا مِنِّي مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِذَا اكْتَنَزَ النَّاسُ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ، فَاكْتَنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ

---

(١) ينظر: دليل الفالحين: ٥١/١.

(٢) أساليب البديع في الأحاديث النبوية (دراسة تطبيقية في أحاديث كتاب الأدب في الكتب الستة)، حمادة خالد علوان- محمد شعبان علوان، الجامعة الإسلامية-غزة، (بحث منشور)، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٣) ٤٩٧/٢، رقم الحديث: ٧٢١ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٤) بلاغة تطبيقية (دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص): بسيوني عبد الفتاح فيود، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ص١١٤.

مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)[1]، فالشاهد في قوله ﷺ: (خير ما تعلم- شر ما تعلم)، فهو طباق بين اسمين متضادَّين في المعنى، الغاية منه الحث والتوجيه بأنَّ الدعاء والاستغفار كنز، فيهما من خيري الدنيا والآخرة ما لا يعد ولا يحصى لمن حفظها وعمل بها، خيرٌ من الدنانير والدراهم التي هي من الأمور الدنيوية الزائلة.

ج. **اجتماع الأسماء والأفعال في حديثٍ واحد: ومنه ما رويَ عنِ ابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ**ﷺ، **قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي، وَجِدِّي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**[2]، فقد جمع الحديث بين طباقات عدَّة، منها الطباق بين الفعلين، وذلك في جملة(مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ) فالتقديم ضدُّ التأخير، ومنها (وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ)، فالإسرار ضدُّ الإعلان.

وفي الحديث أيضاً طباقات بين الأسماء، كقوله: (وَعَمْدِي وَجَهْلِي) فالعمدُ ضدُّ الجهل من الناحية الشرعية، وكذلك (وَجِدِّي وَهَزْلِي) فالجدُّ ضدُّ الهزل، وكذلك (أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ) فالمُقدِّم ضدّ المؤخِّر، قوله ﷺ: (أنت

(١) ٣/٢١٦، رقم الحديث: ٩٣٥ ؛ وصححه الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (لمكتبة المعارف)، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م، ٥/٢١.

(٢) ٣/٢٣٧-٢٣٨، رقم الحديث: ٩٥٧ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

المقدم) أي: تقدم من تشاء من خلقك إلى رحمتك بتوفيقك، (وأنت المؤخر) تؤخر من تشاء عن ذلك[1]. ويبدو لي أنَّ الغاية من هذه المتضادات طلبُ الغفران من اللهِ لكلِّ شيءٍ؛ لأنَّ المتضادات تجمع كلَّ شيءٍ وتحيط بها، وكل هذه الأضداد جاءت لغرض بلاغي الغاية منهُ التوجيه والإرشاد للمؤمنين أنْ يُبالغوا في طلب المغفرة لكلِّ ما فعلوه؛ لكون سيدنا رسول الله ﷺ معصومًا من الخطأ، فالغاية حثّ المؤمنين على كثرة الاستغفار.

ومنه ما روي عَنْ سَعْدٍ ﷺ، قَالَ: (كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِﷺ، فَقَالَ: أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْتَسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟، فَسَأَلَهُ نَاسٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: وَكَيْفَ يَكْتَسِبُ أَحَدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟، قَالَ: يُسَبِّحُ اللَّهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَيَحُطُّ عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ)[2]، فقد ورد الطباقُ بين فعلين في قوله ﷺ: (فيكتب، ويحط)، فمعنى (كتب): قدَّر، أو أَمَرَ الحفظةَ بكِتَابتها، أو كَتَبَها في عِلْمِهِ على وَفْقِ الواقع فيها، وهو راجعٌ إلى قدَّر، ومعنى (حَطَّ) مَحا، والحاصل أنَّ لفظ الحديث قد طابقَ معناه من التَّضْعِيف والتكميل والاعتناء، وهذا أعظم ما يكون في الإحسان، وأخف ما يكون في المسامحة[3].

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٠/٢٣.

(٢) ١٠٨/٣، رقم الحديث: ٨٢٥ ، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٣) المعين على تفهم الأربعين: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤ هـ)، دراسة وتحقيق: دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولّي– الكويت، ط١، ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢ م، ص٤١٨.

وكذا الطباق بين اسمين (حسنة، سيئة)، وطباق الحرف (له، وعنه)، فالغاية من اجتماع ثلاثة أنواع من طباق الإيجاب الترغيب والحثُّ على الاستغفار، أما حروف الجر فاللام أفادت الاختصاص[١]، وعن أفادت البدل[٢].

وتضمن الحديث أيضاً مقابلة بين جملتين (فيكتب الله له ألف حسنة)، وجملة (يحط عنه ألف سيئة) لغرض التشويق على الحصول على الجائزة التي كتبها الله تعالى للمسبحين.

د. **طباق السلب:** " وهي ما لم يصرّح فيها بإظهار الضدين، أو هي ما اختلف فيها الضدان إيجابا وسلباً "[٣]، ولهُ صورٌ وردت في الأحاديث، هي:

١) **طباق السلب بين فعلين (المضارع- الأمر): ومنه ما رويَ عَنِ بُرَيْدَةَ، عَنِ النبي ﷺ، قَالَ: (مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ)**[٤]، الشاهد في الحديث قوله ﷺ: (فاغفر، لا يغفر) وهو

(١) حروف المعاني والصفات: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م، ص٤٠.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة- محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ص٢٤٥.

(٣) علم البديع: ص٨٠.

(٤) ٣/٣٠٨-٣٠٩، رقم الحديث: ١٠٣٥، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

طباق سلب بين فعلين مثبت ومنفي؛ لأهمية الغفران والأمر هنا جاء لغرضِ الدعاء أو الرجاء، أمَّا استعمال الفعل المضارع (يغفر)، فقد جاء لتكرُّر القضية، فقد ذكر الذنب مفرداً لمَّا قرنه بالنبوةِ، وجمعاً لمَّا قرنه بالأمة، وهذا يفيد التشريف لنبوة نبينا ﷺ المعصومة، أمَّا هاء الشأن في (أنه) فإنّها تفيد ثبات الأمر وبداهته، فالغاية منه الاعتراف والإقرار بفضل الله تعالى على الإنسانِ، وقدرته على مغفرة الذنوب، ومَنْ تَفَكَّرِ في الحديث وتدبر معناه يشعرُ أنَّه بمجرد استعاذة الإنسان ممَّا صنع في حياته والاعتراف بذنبه يُغفر له ذنبه دون جهدٍ منه بفضل الله ورحمته بالعباد.

ومثل الحديث السابق ولكن بتقديم المضارع **ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ وَانْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدُّوا نِعْمَةَ الله)**[1]، فقد ورد طباق السَّلب في الحديث الشريف في قول سيدنا رسول الله ﷺ (لا تنظروا– انظروا)؛ لكون أحد الطرفين مثبتاً والآخر منفيًا، فأمر ﷺ المسلمين بالنظر إلى من هو أقل مرتبة وأدنى منزلة في أمور الدنيا، ونهاهم عن النظر إلى من هو أعلى مرتبة وأرفع منزلة في أمور الدين؛ لكي لا يجحدوا ويحتقروا فضل الله عليهم[2]، وقال الطيبي في دلالة معنى هذا الحديث: " هذا حديث جامع لأنواع الخير؛ لأنَّ الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد؛

(١) ٢/٤٩٠، رقم الحديث: ٧١٣ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط البخاري ".

(٢) أحاديث سنن الترمذي: ص٣٧٨.

ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، فأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله تعالى، وشكرها وتواضع وفعل بها الخير"[١].

وأمَّا قولهِ ﷺ: (أَسْفَلُ مِنْكُمْ- فَوْقَكُمْ) فهو طباق إيجاب، حيث جَمَعَ بين الضدَّين؛ لأنَّ الضد أقرب استحضاراً في ذهن السامع عند حضورِ ضدهِ، فذكرهما النبيُّ ﷺ؛ لزيادة وتوضيح المعنى واستقرارِه[٢].

ومنه ما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: (رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ أَوَّاهًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي)[٣]، الشاهد في قوله ﷺ: (أعني -ولا تعن علي)، (انصرني- ولا تنصر عليَّ)، (وامكر لي- ولا تمكر عليَّ)، بين فعلين مضارع وأمر؛ وذلك لشدة التضرّع إلى الله تعالى، وللاعتراف بفضل الله تعالى، وأنَّه العليم والقادر على تصريف أمور الإنسان كيف شاء؛ ولذلك فقد أكد ذلك بتكرار لك (خمس) مرات في قوله ﷺ: (اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ أَوَّاهًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا أَوَّاهًا مُنِيبًا).

---

(١) الكاشف عن حقائق السنن: ٣٣١٣/١.

(٢) أحاديث سنن الترمذي: ص٣٧٩.

(٣) ٢٢٧/٣-٢٢٨، رقم الحديث: ٩٤٧، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

ومنه ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ)[1]، الشاهد في قوله ﷺ: (فليعظم- لا يتعاظم) طباق سلب بين فعلين أمر ومضارع مثبت ومنفي، فسياق الحديث كأنَّ فيه توجيهًا للعبد بأن لا تغفل أو تستهين عن لحظة دعاء؛ لأنَّ ما تراهُ بنظرك عظيمًا هو في الحقيقة عند الله ليس بعظيم؛ لأنَّه لا يعجزهُ شيء، فذنوب العبد وإن عظمت فإن عفو الله ومغفرته أعظم منها، فهي صغيرة في جنب عفو الله ومغفرته[2].

٢) **طباق السلب بين فعلين (المضارع- الماضي): ومنه ما رُوي عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: (سَأَلْتُ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، قُلْتُ: حَدِّثِينِي بِشَيْءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِ، قَالَتْ: كَانَ ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ)**[3]، حيث ورد الطباق في قولهﷺ: (عملتُ) و(لم أعملْ) طباق سلب بين فعلين مثبت ومنفي؛ دلالةً على استمرار الحدث ودوامه، والمراد من الحديث تعليم المؤمن الاستعاذة من شرّ ما عمل، وهو طلب العفو والغفران منه عما عمل، ومراده من الاستعاذة من شر ما لم يعمل: التجاؤه إليه؛ ليحفظه من فعل مذموم بعد ذلك اليوم[4].

---

(١) ١٧٧/٣، رقم الحديث: ٨٩٦، رقم الحديث: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ٤٠٦/٢.

(٣) ٣٠٦/٣، رقم الحديث: ١٠٣٢، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) المفاتيح في شرح المصابيح: ٢٣٥/٣.

٣) **طباق بين فعلين مضارعين: ومنه روي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ ﷺ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ يُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ خَيْرًا لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فقدره لي ويسره لي وبارك فيه، وإن كان شراً لي في ديني ومعادي ومعاشي وعاقبة أمري فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَقَدِّرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ وَرَضِّنِي بِهِ)**[1]، فالطباق في الحديث النبوي في قوله ﷺ: (تقدر – ولا أقدر)، (تعلم– ولا أعلم) طباق السلب بين فعلين مثبت ومنفي؛ الغاية منه بيان أنَّ الله تعالى هو القادر والعليم بكل الأمور، والحث على اليقين بالدعاء، وتوجيه العبد باللجوء إلى الله تعالى في كل أموره صغيرها وكبيرها، فهو القادر على كلِّ شيء من الممكنات تعلقت به إرادتك، والعبدُ لا يقدرُ على شيءٍ منها إلا ما أقدرهُ اللهُ عليه، وهو يعلم جميع الأشياء خيرها وشرها بعلمه المحيط، والعبدُ لا يعلمُ شيئًا إلا ما أعلمهُ به، وفيه إشارة إلى أنَّ العلم والقدرة لله تعالى وحده، وليس للعبد من ذلك إلا ما قدَّر اللهُ تعالى له، وكأنَّه قال: أنت يا ربِّ تقدر قبل أن تخلق في القدرة وعندما تخلقها وبعد ما تخلقها[2].

(١) ٣/١٦٩–١٧٠، رقم الحديث: ٨٧٧ ، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط البخاري ".

(٢) ينظر: فتح الباري: ١١/١٨٦، المنهل العذب المورود: ٨/١٩٩.

هـ. **طباق الإيهام، (إيهام الطباق):** " وهو أنْ يوهم لفظ الضد أنَّه ضدٌّ، مع أنَّه ليس بضدٍّ "[(١)]، **ومنه ما رُوِيَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، قَالَ: (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ ﷺ يَوْمًا وَنَحْنُ نَقْتَرِئُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، كِتَابُ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُمُ الْأَحْمَرُ، وَفِيكُمُ الْأَسْوَدُ، اقْرَؤُوهُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ أَقْوَامٌ يُقَوِّمُونَهُ كَمَا يُقَوَّمُ أَلْسِنَتُهُمْ، يَتَعَجَّلُ أَحَدُهُمْ أَجْرَه وَلَا يَتَأَجَّلُهُ)**[(٢)]، الطباق الوارد في الحديث الشريف قوله ﷺ: (فيكم الأحمر، وفيكم الأسود) طباق إيهامٌ؛ إذ المقصود من الأحمر والأسود ليس اللون بل العجم والعرب؛ لأنَّ الغالب على ألوان العجم الحمرة، والغالب على ألوان العرب السمرة[(٣)]، والغاية منه الحث والتنبيه على أن تكون قراءة القرآن بتدبر آياته وفهم معانيه، وأن لا تكون قراءته لغرضٍ دنيويٍ وإنَّما للأجر والثواب في الدنيا والآخرة.

وقد يجتمع إيهام التضاد مع طباق الإيجاب، **ومنه ما روي عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ)**[(٤)]، ورد طباق الإيجاب في الحديث في قوله ﷺ: (المؤمن، الكافر)، وما ورد في طباق إيهام التضاد قوله ﷺ: (الرحمة، العقوبة)، قال الطيبي: " سياق الحديث في بيان صفتي القهر والرحمة لله تعالى، كما أنَّ صفات الله تعالى غير متناهية، لا يبلغ كنه معرفتها أحد، كذلك

(١) علم البديع: عتيق، ص٨٠.

(٢) ٣٦/٣، رقم الحديث: ٧٦٠، قال المحقق: " حديث صحيح ".

(٣) المنهل العذب المورود: ٢٦٤/٥.

(٤) ٤٣٢/٢، رقم الحديث: ٦٥٦، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

عقوبته ورحمته، فلو فرض أنَّ المؤمن وقف على كُنه صفة القهارية، أظهر منها ما يقنط من ذلك الخلق[١]، فالتقابل بين المعنين المتضادين أسهم في توضيح الفرق بين العقوبة التي أعدها الله للكافرين وبين الرحمة التي ادَّخرها الله ﷻ للمؤمنين، فقد أسهم الطباق في توضيح الصورة الجلية وتقريبها وترسيخها في ذهن الملتقي[٢].

المطلب الثاني: المقابلـــــــة

المقابلة لغـة: يُقالُ أَقْبَلْتَهُ الشَيء، أي جعلته يلي قبالَتَهُ، يقال: أَقْبَلْنا الرِّماحَ نحو القومِ، وأَقْبَلْتُ الإبلَ أفواهَ الوادي. والمُقابَلَةُ: المواجهةُ. والتقابُلُ مثله[٣].

وأمَّا اصطلاحاً: فالمقابلة هي امتداد للطباق؛ لتشابههما في الشّكل والأداء الوظيفي، وتعني: " أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة ثم ما يقابلها على الترتيب "[٤]، والمراد بالتوافق هنا " خلاف التقابل، فلا يشترط فيها التناسب – كما في مراعاة النظير – بل المراد ألاَّ تكون تلك المعاني متضادة "[٥].

والمقابلة أعمّ من الطباق، وذكر بعضهم أنَّها أخصّ، وذلك أنْ تضع معانى تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو المخالفة، فتأتى في الموافق بما وافق، وفي المخالف بما

(١) الكاشف عن حقائق السنن: ١٨٦١/٦.

(٢) أحاديث البر والاحسان: ٢٨٨.

(٣) الصحاح: ص٩١٤.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ص٢٥٩؛ ينظر: شرح عقود الجمان: ص٢٤٧ .

(٥) علم البديع دراسة تاريخية وفنية، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة – مصر، ط ٢، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨ م، ص١٥٢.

خالف، أو تشرط شروطاً وتعدّ أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن تأتى في الثاني بمثل ما شرطت وعددت[١].

وقد وردت تطبيقات المقابلة على وفق الصيغ الآتية:

١. **مقابلة اثنين باثنين: ومنه ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَالَ: (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كثيراً)**[٢]، فقد جمع الحديث النبوي الشريف بين الطباق والمقابلة المعنوية في قوله ﷺ: (لضحكتم، لبكيتم)، (قليلاً، كثيراً)؛ لغرض بلاغي يبدو لي أنَّه أفاد التنبيه والتحذير، وفيه بيان وتوجيه للمؤمن بأن يخشى الله تعالى؛ لشدّة التبايُن بين الحالين في صيغة هذا الطباق.

إنَّ وسيلة هذه المعاني ليست صوتية فقط، بل لجذب الانتباه والعناية وشد المتلقي لمضمون هذه الكلمات التي صيغت بأسلوب بلاغي نبويٍّ محكم[٣]، وهذا الحديث من الأسرار التي أودعها قلب سيدنا محمد ﷺ الأمين الصادق، فإنَّ صدور الأحرار قبور الأسرار، بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا، فإنَّ البكاء ثمرة شجرة حياة القلب الحيّ بذكر الله تعالى، واستشعار عظمته وهيبته وجلاله، والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك، فتتجلى حقيقة القول بحثّ الخلق على طلب القلب الحيّ، والتعوذ من القلب الغافل[٤].

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٠١/٧.

(٢) ٤٣٦/٢-٤٣٧، رقم الحديث:٦٦٢ ، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٣) الأسلوب: أحمد الشايب ، ط١٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٩٧.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣٣٤٤/٨.

ومنه أيضاً قوله ﷺ: (الْخَيْرُ طُمَأْنِينَةٌ وَالشَّرُّ رِيبَة)[1]، فقد وردت المقابلة بين (الخير طمأنينة، والشر ريبة)؛ لغرض بلاغي الغاية منه النصح والإرشاد، وهذا يدل على أنَّ كلَّ ما فيه خير تطمئنُّ له نفس المؤمن، فأنت تأتي إلى ما تتلفظ به من أقوال، فتزنها بهذا الميزان، ما تأتيه من أعمال فتزنها بهذا الميزان، والعجب ممن يتكلم بشيء وهو بداخله غير مرتاح له، ومع ذلك يغشاه، فهذا مخالف لهذا الأمر العظيم[2]، بمعنى: أنَّ الخيرَ تطمئنُّ به القلوبُ، والشرَّ ترتابُ به، ولا تطمئنُّ إليه، وفي هذا إشارة إلى الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه[3].

ومنه قوله ﷺ: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وجنة الكافر)[4]، في الحديث النبوي الشريف تقابل بين (سجن، جنة)؛ لما بينهما من تضادِّ السجن، وما فيه من قيود وضوابط، والجنة وما فيها من نعيم دائم، و(المؤمن، الكافر) وما بينهما من تضاد وفرق، إذ أنَّ أعمال المؤمن وما تؤدي إليه، بخلافِ أعمال الكافر وما تؤدي إليه.

ويبدو لي أنَّ الغرض البلاغي الذي أفادته المقابلة هو بيان حال العبد المؤمن والكافر، أو التخيير بين أمرين دنيوي وأخروي، عن طريق عرض الصورتين؛ ليفكّر الانسان فيهما ويختار الأصلح.

ومنه قوله ﷺ: (يَكُونُ خَلْفٌ بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً أَضَاعُوا الصَّلَاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا، ثُمَّ يَكُونُ خَلْفٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ،

---

(١) ٢/٤٩٨-٤٩٩، رقم الحديث: ٧٢٢، قال المحقق: " حديث صحيح ".

(٢) شرح الأربعين النووية: ص١١٤.

(٣) جامع العلوم والحكم: ١/٢٨٤.

(٤) ٢/٤٦٤، رقم الحديث: ٦٨٨، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةٌ: مُؤْمِنٌ، وَمُنَافِقٌ، وَفَاجِرٌ)[1]، ففي الحديث الشريف مقابلة بين (أضاعوا الصلاة – اتبعوا الشهوات)؛ لما فيها من تضاد، إذ عُدت لهم الصلاة مادة مجسمة والشهوات كائن، ولعلَّ الغرض البلاغي هنا إفادة التحذير والتنبيه.

المطلب الثالث: التَّوريـــة

التورية لغةً: وَرَّيْتُ الشيءَ ووَارَيْتُه: أَخْفَيْتُه. وتَوارى هُوَ: اسْتَتَر، ووَرَّيْتُ الخَبر: جَعَلْتُهُ وَرَائِي وسَتَرْته[2].

واصطلاحًا: قال أسامة بن منقذ: " هي أن تكون الكلمة بمعنيين، فتريد أحدَهما، فتوري عنه بالآخر "[3]، ويتفق معه المراغي بقوله: هي " أن يذكر المتكلم لفظاً له معنيان، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد، ودلالة اللفظ عليه خفية ويريد المعنى البعيد، ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع لأول وهلة أنَّه يريده، وهو ليس بمراد"[4]، وتسمَّى أيضاً الإيهام[5]، ومضمونها أن يريد المتكلمُ بكلامه خلاف ظاهره، مثل أن يقول في الحرب: مات إمامكم، وهو ينوي به أحدًا من المتقدمين[6].

---

(١) ٣٢/٣، رقم الحديث: ٧٥٥، قال المحقق: " إسناده حسن ".

(٢) لسان العرب: ٣٨٩/١٥. مادة ورى.

(٣) البديع في نقد الشعر: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت: ٥٨٤هـ)، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة– وزارة الثقافة والإرشاد القومي– الإقليم الجنوبي– الإدارة العامة للثقافة، د. ت، ص٦٠.

(٤) علوم البلاغة: ٣٢٧.

(٥) بغية الإيضاح: ٥٩٥/٤.

(٦) التعريفات: ٧٧.

" إن التورية تدخل مع الكناية؛ فالكناية فيها حقيقة ومجاز؛ والمجاز هو المراد"[١].

وهي قليلةٌ في الأحاديث موضوع دراستي، فقد عثرتُ على مثالٍ واحدٍ فقط، وهو **ما رُويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (... وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)**[٢]، فالحديث ذكر وحدات القياس وهي الشبر والذراع والباع، وذكر ما يلائمها وهي كلمة (تقرّب)؛ لأنَّ الإنسان في هذه الوحدات يقرب ويبعد، فذكر في الحديث ما يلائم المورَّى به وهو المعنى القريب، والتقدير: من تقرب منِّي قليلاً أتقرب منه أكثر وأكثر، وأنعم عليه بالخيرات[٣]، وغايته تقريب الصورة من الأذهان ومُخاطبة الناس بما يفهمون عن طريق التعبير عن المعقول بالمحسوس.

المطلب الرابع: الجمـــــع

يعد الجمع أحد الفنون البديعية، وقد عرفه السكاكي بقوله: " وهو أن تخل شيئين فصاعداً في نوع واحد "[٤]، وعرفه القزويني بقوله: " الجمع وهو أن يجمع بين شيئين، أو أشياء في حكم واحد "[٥].

ومنه ما رُوي عن النبيّ ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يومهِ، فكأنَّما حيزتْ له الدُّنيا)[٦]، الشاهد في الحديث قوله ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى

(١) أوجه البلاغة: ص١٠٦.

(٢) ٩٣/٣، رقم الحديث: ٨١١ ، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٣) الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية): ١٦٨.

(٤) مفتاح العلوم: ص٤٢٥.

(٥) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: ٦٩٢/٤؛ الإيضاح في علوم البلاغة: ص٣٣٤.

(٦) ٤٤٦/٢، رقم الحديث: ٦٧١، وصححه الالباني. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م، ص١٢٧.

فِي بَدَنِهِ آمِنًا فِي سِرْبِهِ عِنْدَهُ قُوتُ)، فجمع الأمن ومعافاة البدن وقوت اليوم في حكم واحد هو حيازة الدنيا وامتلاكها بحذافيرها(١)، أي: من جميع نواحيها، فمن جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله فقد جمع اللهُ له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها، فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المنعم، لا في معصيةٍ، ولا يفتر عن ذكره(٢).

ومنه ما رُوي عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ صَلَاةٍ لَا تَنْفَعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ)(٣)، فقد جمع النَّبيُّ ﷺ في هذه الاستعاذة بين أشياء مُتعددة تحت حكم واحدٍ، وهي الاستعاذة في نية الإنسان، ومنها علم لا يَعمل به ولا ينتفع منه، وقلباً صلباً قاسياً لا تؤثر فيه موعظة، ومن عين نفس غير قانعة برزقها(٤).

المطلب الخامس: الافتنـــــان

الافتنان:

لغـــــة: الفَنُّ، الضَّرْبُ مِنَ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ أَفنان والرجلُ يُفَنِّنُ الْكَلَامَ أَي يَشْتَقُّ فِي فَنٍّ بَعْدَ فنٍّ، والتَّفَنُّنُ فِعْلك. وَرَجُلٌ مِفَنٌّ: يأْتي بِالْعَجَائِبِ، وامرأَة مِفَنَّة، وافْتَنَّ الرَّجُلُ

(١) علم البديع: عتيق، ١٥٦/١.

(٢) فيض القدير: ٨٨/٦.

(٣) ٢٩٣/٣-٢٩٤، رقم الحديث:١٠١٥، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) الأحاديث النبوية في العقد الفريد لابن عبد رُبه الأندلسي- دراسة بلاغية: رؤى ضياء ابراهيم، (رسالة ماجستير) كلية الإمام الأعظم الجامعة- قسم اللغة العربية/ الأدب، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢١م، ص١٠٦.

فِي حَدِيثِهِ وَفِي خُطْبته إِذا جَاءَ بالأَفانين، و افْتَنَّ الرَّجُلُ فِي كَلَامِهِ وَخُصُومَتِهِ إِذا تَوَسَّعَ وَتَصَرَّفَ[1].

اصطلاحاً: هو أن يؤتى بفنين من فنون الكلام وأغراضه في بيت واحد؛ مثل النسب والحماسة، والمدح والفخر، والهناء والعزاء[2].

هو " أن يفتن المتكلم فيأتي في كلامه بفنين، إمّا متضادين، أو مختلفين، أو متفقين "[3].

ومنه ما ورد في أحاديث الرقائق: ما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: (وَعِزَّتِي، لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ؛ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أخفته يوم القيامة)[4]،

إذ فالجزء الأول من الحديث خرج لمعنى التبشير، أي: تبشيرُ الخائفِ في الدنيا بأنَّ له الأمن يوم يفزع الناس يوم الهول العظيم؛ وليؤكِّد التبشير ويبثُّه في النفوس فقد استهلَّهُ بالقَسَم (وَعِزَّتِي) والقَسَمُ من أقوى المؤكدات اللفظية في اللغة العربية، بل عدّه بعضُ العلماءِ من أعلى درجات التوكيد في الجملة[5]، والقسم هو: الحلف بالله تعالى؛ لتأكيد الكلام وتصديق المتكلم، أو هو عقد يقوي به الحالفُ عزمه على فعل أمرٍ أو

---

(1) لسان العرب: ١٣/ ٣٢٦. مادة (فنن).

(2) شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي السنبسي الحلي (٦٧٧– ٧٥٠هـ)، تحقيق: نسيب نشادي، ط٢، دار صادر– بيروت، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م، ص٩٨.

(3) معجم البلاغة العربية: ص٥١١.

(4) ٤٠٦/٢، رقم الحديث: ٦٤٠، قال المحقق: " إسناده حسن ".

(5) ينظر: معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م: ١٣٧/٤–١٣٨.

تركه، أو هو تقديمٌ؛ لتوثيق الصِّدق قبل ذكر الدعوى[١]؛ لأنّه يقرع أذن المخاطب، ثمّ يأتي المضمون المراد توكيده بعده.

وأمَّا الجزء الثاني فقد تضمَّن تحذير الآمن في الدنيا من عقاب الله في الآخرة، أي: فمن كان خوفه في الدنيا أشدّ كان أمنه يوم القيامة أكثر، وبالعكس؛ وذلك لأنَّ من أُعطيَ علم اليقين في الدنيا طالع الصراطَ وأهواله بقلبه، فذاق من الخوف وركبَ من الأهوال ما لا يُوصف، فيضعه عنه غداً ولا يذيقه مرارته مرةً ثانية، وهذا معنى قول بعض العارفين: أنَّه لمَّا صُلِيَ حَرَّ مخالفة الهوى في الدنيا لم يُذقه اللهُ كربَ الحرِّ في العقبى[٢].

المطلب السادس: المشاكلـــــة

المُشاكَلةُ لغـةً: الموافقة[٣].

واصطلاحًا: هو" ذكر الشَّيْء بِلَفْظ غَيره؛ لوُقُوعه فِي صحبته تَحْقِيقاً، أَو تَقْديراً"[٤].

ومنها قوله ﷺ: (قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّهِ بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٌ مِنْهُ

---

(١) ينظر: الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م:-١/٤٥٤، شرح المفصل: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م: ٩/٩٠.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م: ٤/ ٤٩٥.

(٣) مختار الصحاح: ص١٦٨.

(٤) مفتاح العلوم: ١/٤٢٤؛ الايضاح في علوم البلاغة: ص٣٢٧؛ علوم البلاغة للمراغي: ص٣٢٤.

وَأَطْيَبُ)[1]، فالشاهد في الحديث لفظة (النفس) الأولى تعني نفس الإنسان و(النفس) الثانية هي نفس الله ﷻ، وهنا هي المشاكلة، والنفس لله تعالى ليست كالنفس البشريَّة تعالى الله عن ذلك، ولكنَّها هنا بمعنى الذات، والباري سبحانه له ذاتٌ على الحقيقة[2].

وفي الحديث حثٌّ على ذكر الله تعالى، ويتضمن التحذير بأنَّ الذي يعرِض عن ذِكر الله فإنَّ الله تعالى يضيق عليه في الرزق، حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾[3]، وَذِكرُ الإنسان لربِّهِ بسائر الأذكار، وكذا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما ذكر الله للعبد فيكون في العفو والمغفرة والتوبة[4].

(١) ٩٥/٣، رقم الحديث: ٨١٢، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٢) ينظر: المُعْلم بفوائد مسلم: ٣٢٣/٣.

(٣) سورة الطلاق: من الآيتين: ٢-٣.

(٤) الاحاديث القدسية (دراسة بلاغية): ١٦٦-١٦٧.

المبحث الثاني
المحسنات اللَّفظية

ليس الاختلافُ اختلافَ تباعدٍ بين المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية، فهما يقتربان كثيراً من بعضهما في الأداء البلاغي، حتى أنَّنا وجدنا من البلاغيين من ينكر على السكاكي هذا التقسيم، الذي يفصل بين اللفظ والمعنى على حد تعبيره[١]، وعلى العموم فالمحسنات اللفظية: " جماليات لفظية يحققها تركيب خاص للألفاظ، وعلاقات مرسومة على نحو دقيق بين أصوات الكلمات وأجراس الحروف "[٢] .

وهي أنواع كثيرة، وممَّا ورد منها في الأحاديث موضوع دراستي ما سيأتي:

المطلب الأول: السجـــــع

السَجْع لغة: يقالُ سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً، وسَجَعَتِ الحمامةُ، أي هدرتْ، إذا دَعَتْ وطَرَّبَتْ فِي صَوْتِهَا[٣].

واصطلاحاً: " هو تواطؤ الفاصلتين من النَّثر على حرفٍ واحدٍ "[٤].

ومن صور السجع في أحاديث الرقائق:

١. **السجع المتوازي:** " هو أن تتفق الفقرتان فيه وزنًا وقافيَة "[٥]، **ومنه قوله ﷺ: (رَبِّ اقْبَلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ**

---

(١) ينظر: البلاغة والتطبيق: ص٤٢٥ .

(٢) المفصل في علوم البلاغة العربية: ص٦٣١ .

(٣) الصحاح: ص٥١٩.

(٤) الإيضاح: ص٣٦٢.

(٥) البلاغة العربية: حميد ثويني، ص٤٠٤.

قَلْبِي)[١]، ورد السجع في الفواصل(حوبتي، دعوتي، حجتي، توبتي) وجميعها أسهمت في تقديم إيقاع يتناسب وصيغة الحديث من حيث الإيقاع وقوة المغزى[٢]، فإنَّ التاء حرفٌ مهموسٌ يُناسب مقام المناجاة، سواء أكانت مع الداعي المُتضرّع أو التائب المنكسر بين يدي الله تعالى.

٢. **السجع المرصع:** " هو مقابلة كلِّ لفظةٍ مِن عبارة أو فقرة ما يناسبها من لفظةٍ أخرى تتفق مَعَها في وزنها وقافيتها أو جرسها الصوتي "[٣].

ومنه ما روي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا وَبِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: اللَّهُمَّ مَنْ أَنْفَقَ فَأَعْقِبْهُ خَلَفًا، وَمَنْ أَمْسَكَ فَأَعْقِبْهُ تلفًا)[٤]، ورد السجع بين جملتين (مَنْ أَنْفَقَ فَأَعْقِبْهُ خَلَفًا)، (وَمَنْ أَمْسَكَ فَأَعْقِبْهُ تلفًا)، إذ اتفقت عبارة الجملة الأولى مع الثانية في الوزن والقافية والجرس الصوتي، مما أكسب الحديث الشريف لحناً وإيقاعاً، ففي الحديث الحض على الإنفاق ورجاء قبول دعوة الملائكة[٥].

ومنه قوله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)[٦]، الشاهد في قوله ﷺ: (اللسان، الرّحمن، الميزان) إذ اتفقت الفواصل في الوزن والقافية، مما

---

(١) ٢٢٩/٣، رقم الحديث: ٩٤٨، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٢) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم: محمد إبراهيم شادي، ط١، الرسالة،١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م، ص٦٠.

(٣) البلاغة العربية: ثويني، ص٤٠٢.

(٤) ٤٦٢/٢، رقم الحديث: ٦٨٦، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٥) إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم: ٥٣١/٣.

(٦) ١١٢/٣–١١٣، رقم الحديث: ٨٣١، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

أضاف للحديث النبوي جرسًا موسيقيًا، يأخذ الأسماع والأفهام، ويسعد النفس[١]. إذ جاءت ألفاظ الحديث النبوي متناسقة من غير تكلف تصف خفة العبارة وثقلها في ميزان الأعمال الصالحة.

وقد ورد في حديث النبي ﷺ الكثير من السجع المتساوي القرائن، ومنه مما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ (كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ)[٢]، فقد ورد السجع في: (البلاء، الشقاء) و (القضاء، الأعداء)، إذ اتفقت الكلمتان وزناً وقافية، فكلُّ ما أصاب الإنسان من شدّة المشقّة والجهد مما لا طاقة له بحمله ولا يقدر على دفعه عن نفسه فهو من جهد البلاء، وقيل إنَّ جهد البلاء، قلة المال وكثرة العيال، ودرك الشقاء ينقسم قسمين فيكون في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة، وكذلك سوء القضاء وهو عام أيضًا في النفس والمال والأهل والخاتمة والمعاد، وشماتة الأعداء مما ينكأ القلب، ويبلغ من النفس أشد مبلغ، وهذه جوامع ينبغي للمؤمن التعوذ بالله منها كما تعوذ النبي ﷺ، وإنَّما دعا بذلك ﷺ معلمًا لأمته ما يتعوّذ بالله منه[٣].

وممَّا ورد من السجع القصير والمتوسط في دعاء سيدنا محمد ﷺ: (رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي، وَجِدِّي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ

(١) الكافي في علوم البلاغة: ص١٩٩.

(٢) ٢٩٤/٣، رقم الحديث: ١٠١٦، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١١٠/١٠.

الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1]، فقد ورد السجع المتنوع بين القصير والمتوسط في الجمل الخمس الأولى مع تكرار الياء في ثنايا الجمل في قولهﷺ: (خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي، وَجِدِّي وَهَزْلِي)، كما تكررت التاء في أثناء الجمل في قوله ﷺ: (قَدَّمْتُ، أَخَّرْتُ، أَسْرَرْتُ، أَعْلَنْتُ)، فقد أضفت الفاصلة الداخلية ثراءً نغميّاً اضافة للجانب الموسيقي على طول الجمل، ممَّا يبعث في نفس القارئ من سكينة وطمأنينة حين تقابله هذه الفواصل الداخلية قبل السجعة الأصلية فلا ينصدم بها بغتة[2]؛ لأنها حينئذ، " تقوم مقام المرتكزات والمحطات النفسية معنى وموسيقى "[3].

المطلب الثاني: الجنـــاس

الجناس من الألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع وتحدث في نفسه ميلًا إلى الإصغاء والتلذذ، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة، فتجد من النفس القبول، وتتأثر به أي تأثير، وتقع في القلب أحسن موقع، وعلاوة على ذلك فإنَّه " قديم قِدَم اللغة العربية، ووليد الصحراء، يأتي في كلام العرب عفو الخاطر، ويصدر عن الطبع والفطرة، لا تكلف فيه ولا تصنع "[4].

(١) ٣/٢٣٧-٢٣٨، رقم الحديث: ٩٥٧، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٢) البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية: ص١٨٧٣.

(٣) الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ط٢، دار عمار، الأردن، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص١٥٩.

(٤) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: ص١٥٨-١٥٩.

ولا بد من الإشارة إلى أن الجناس ككلِّ الحلى البديعية عماده الطبع المواتي الذي يقذف به سهواً رهواً في حالات الصفاء والتسامي واعتدال المزاج، أي: حينما يكون الخاطر مستعدًا لتلقي النفحات العلوية من سماء الوحي البياني(١).

وأول مَنْ عَرَّف هذا الفنَّ من أهل البلاغة ابن المعتز بقوله: " هوَ أن تَجِئَ الكَلمةُ تُجانِسُ أُخرى في بيتِ شَعرٍ و كَلامٍ، ومُجانستُها لَهَا أَنْ تُشْبِهَهَا في تأليفِ حُرُوفِها "(٢).

كما أشار عبد القاهر الجرجاني إلى مكْمَن الاستحسان في الجناس حين قال: "أمَّا التجنيس؛ فإنَّك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدًا"(٣)، وصرَّح بجوانب جماليته حين قال: " إنَّ ما يعطي (التجنيس) من الفضيلة، أمر لم يتمّ إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن، ولما وجد فيه معيب مستهجن؛ ولذلك ذمّ الاستكثار منه والولوع به، وذلك أنَّ المعاني لا تدين في كلِّ موضع لما يجذبها التجنيس إليه، إذ الألفاظ خدم المعاني والمصرّفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقّة طاعتها. فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مظنّة من الاستكراه، وفيه فتح أبواب العيب، والتّعرّض للشّين"(٤).

(١) فن الجناس: علي الجندي، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، د. ت، ص٣١.

(٢) البديع: أبو العباس عبد الله ابن المعتز (ت: ٣٩٩هـ)، تحقيق: عرفان مطرجي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ص٣٦.

(٣) أسرار البلاغة: ص١٦.

(٤) أسرار البلاغة: ص١٦-١٧.

وقد عرفه العلوي بأنه: "عبارة عن اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه، مع اختلاف معانيهما"[١]، فالاختلاف المعنوي شرطٌ أساسيٌ قائمٌ بين اللفظين ليسمَّى الفنُّ جناسًا، في حين يختلف التركيب اللفظي بين الكلمتين بحسب سياق الكلام، "فإنَّ تشابه ألفاظ التجنيس تُحدث بالسمع ميلًا إليه، فإنَّ النفس تتشوق إلى سماع اللفظة الواحدة إذا كانت بمعنيين، وتتوق إلى استخراج المعنيين المشتمل عليهما ذلك اللفظ، فصار للتجنيس وقع في النفوس وفائدة"[٢].

ومن أنواع الجناس التي وردت في أحاديث الرقائق:

١. **الجناس التام:** " هو ما تماثل ركناه لفظاً وخطاً واختلفا معنى، من غير تفاوت في تركيبهما "[٣]، وهذا الاتفاق اللفظي يشمل نوع الحروف، وعددها، وهيئتها من حركة أو سكون، وترتيبها[٤].

ومنه ما رُوي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ -وَرُبَّمَا قَالَ مُتَشَابِهَةٌ-، وَسَأَضْرِبُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلًا: إِنَّ اللَّهَ حَمَى حِمًى، وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَإِنَّهُ مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكْ أَنْ يُخَالِطَ الْحِمَى- وَرُبَّمَا قَالَ مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى

(١) الطراز: ١٩٦/٣.

(٢) جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة: نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي (ت: ٧٣٧هـ)، تحقيق: محمد زغلول سلام، (د. ط)، منشأة المعارف، الاسكندرية- مصر، د. ت، ص٩١؛ أحاديث البر والإحسان: ص٣١٩- ٣٢٠.

(٣) أنوار الربيع: ١٤٨/١.

(٤) ينظر: فن الجناس بلاغة أدب نقد، علي الجندي، دار الفكر العربي، (د. ت): ص٦٢- ٦٤.

يُوشِكْ أَنْ يَرْتَعَ-، وَإِنَّ مَنْ خَالَطَ الرِّيبَةَ يُوشِكُ أن يجسر)[1]، ورد الجناس في قوله ﷺ: (حَمَى حِمًى)، فهذا يسمَّى الجناس التام المماثل، فالأوَّل فعلٌ ماضٍ (حَمى)، والثاني اسم (حِمى)، فقد اتفق الجناسُ في اللفظ والشكل واختلف في المعنى، وهنا يكمن السر البلاغي في ألفاظ النبوية[2]، فالجناس التام في النصّ أضاف له قيمة فنيّة من خلال المستوى الصوتي للمفردة، والتي وظّفت بإيقاعٍ متكرر تولّد عنها معنيان مختلفان أثارت طاقة دلالية، مثلما أثارت طاقة صوتيّة تطرب لها الأسماع[3].

٢. **الجناس غير تام (الناقص):** " وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة السابقة التي يجب توافرها في الجناس التام "[4]، ومنه ما ورد في قصة الغلام والراهب والساحر في قوله: (فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ)[5]، فقد وقع جناس غير تام بين الفعلين (وقع)، و(وضع)، إذ اختلف الفعلان في نوع الحرف الثاني فيهما، وفي ذلك تجاوب موسيقي تطرب له الأذن، وتهتز له أوتار القلوب، وتتأثَّر به النفوس أيما تأثير، هذا فضلاً عمّا يضفيه الجناس على الأسلوب من ترابط وتلاحم وتماسك لأجزائه؛ لما بين

(١) ٢/ ٤٩٧، رقم الحديث: ٧٢١، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٢) سمات البلاغة النبوية في الحديث النبوي: ص١٣.

(٣) ومن صوره فيما جاء في غير الكتب الستة، ما جاء في قصّة منازعة الصحابة لجرير بن عبد الله البجلي زمام ناقته يوم الفتح وقوله (ﷺ): (خلّو بين جرير والجرير)، فجرير هو الصحابي الجليل، والجرير هو الحبل من أدم، ومعناه: دعوا له زمام ناقته. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٢٥٩.

(٤) علم البديع: عتيق، ص٢٠٥.

(٥) ٣/١٥٥-١٥٦، رقم الحديث: ٨٧٣، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

الطرفين من المشابهة الشكلية، ولا سيما أنَّ الأسلوب هو الذي طلبه، والمقام هو الذي استدعاه، والسياق هو الذي اقتضاه، فجاء الجناس هنا وقد حقق حُسن الإفادة، مع أنَّ الصورة أشبه بصورة التكرير والإعادة، هذا بالإضافة أيضًا إلى ما في الجناس من تشويق للنفس، وتنشيط للفكر(١).

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ، قَالَ: (قَرَأَ رَجُلٌ آيَةً وَقَرَأْتُهَا عَلَى غَيْرِ قِرَاءَتِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ؟ فَقَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأْتَنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الرَّجُلُ: أَقْرَأْتَنِي كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: "نَعَمْ؛ إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَتَيَانِي، فَجَلَسَ جِبْرِيلُ عليه السلام عَنْ يَمِينِي، وَمِيكَائِيلُ عليه السلام عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ، فَقُلْتُ: زِدْنِي، فَقَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ. حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، وَقَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، كلٌ شافٍ كافٍ)(٢)، ورد الجناس المضارع في الحديث الشريف بين لفظتين (شافٍ، كافٍ) متناسقتان في التركيب، مختلفتان بحرف واحد هو الشين في لفظة شافٍ، والكاف في لفظة كافٍ، فهما حرفان من مخرجين متقاربين، فكان لاختلاف الحرف دورٌ بارز في إبراز الإيقاع النغمي الذي يرسخ المفهوم عند المتلقي(٣)، فقد جاء الجناس عفو الخاطر وفيض البديهية، مما أضفى على الأسلوب سحرًا وقبولًا يجعل النفس تتشوق إليه(٤).

(١) البيان النبوي في حديث الغلام والراهب والساحر (دراسة بلاغية تحليلية): ص٩٠٥.

(٢) ١٢/٣، رقم الحديث: ٧٣٧، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٣) ينظر: أحاديث البر والإحسان في صحيح ابن حبان: ص٣٢٢.

(٤) ينظر: دراسات في علم البديع: ص١٣٠.

ومنه ما رُوي عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا عَنْهُ)[1]، فقد ورد الجناس في قوله ﷺ: (ائتلفت، اختلفتم)، فقد جاء الجناس ناقص بتغاير الحرفين الأولين، ولا شك بأنَّ مثل هذه التغيرات الصوتية التي تجري على اللفظين المتجانسين أحدثت عمقًا في التجاوب الموسيقي[2]، وتماثل الكلمات؛ لإظهار الوقع الجمالي للألفاظ في أذن السامع فيتأثر بسماعها[3]، فقد دل الحديث على تحرّي قراءة القرآن عند توفر النشاط والرغبة النفسية في تلاوته، لأن القراءة مع حضور القلب لها أثرها العميق في نفس القارئ ووجدانه، فإذا وقع الاختلاف في معنى من معاني القرآن أو قراءة من قراءَاته، واشتد حتى أوشك أن يؤدي إلى النزاع والشقاق وجب الإمساك عنه، وضبط النفس قدر الإمكان[4].

ومن الجناس الناقص جناس القلب، **ومنه ما روي عَنْ عَبْدَاللَّهِ بْنَ عُمَرَ- رضي اللهُ عنهما-، قال: (لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِﷺ يَدَعْ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي،**

(١) ٣٦/٣، رقم الحديث: ٧٥٩، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) ظاهرة الجناس في خطب الإمام علي (عليه السلام) ورسائله دراسة بلاغية: حسين عبد العال اللهيبي، جامعة الكوفة- مركز دراسات الكوفة، د. ت، ص٢٠.

(٣) سمات البلاغة النبوية في الحديث: فاطمة عيسى محمد، بحث مشارك في مؤتمر اللغة العربية وآدابها، عمان- الأردن، ٦-٨ يوليو٢٠١٩م، ص١٣.

(٤) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: ٨٩/٥.

وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي)[1]، فقد ورد جناس القلب بين (عوراتي– وروعاتي) إذ اختلف في ترتيب الحروف وهو ما سماه القزويني بجناس قلب البعض[2]، والمراد بالعورات العيوبُ والخلل والتقصير، والرَّوعات الفزعات[3]، وإيرادهما بصيغة الجمع في هذه الرواية إشارة إلى كثرتهما[4]، ومن فوائد هذا الدعاء بأن يجعل في القلبِ أمانًا إذا حصلَ الروع، أو هو دعاء برفع الروع وتخفيفه إذا وقع الظاهر: الأمران يعني: آمن من الروعات، أو ارفع عنّي الروع إذا نزل، والإنسان محتاج إلى هذا وهذا، وكذلك أيضًا يوجد سجع في بقيته لكنَّه ليس سجعاً ظاهراً، إنَّما السجع في الدعاء لا بأس به بشرط ألا يكون متكلفاً[5].

ومنه ما رُوي عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟، قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ؟، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ فُلَانًا؟، قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَكَيْفَ تَرَاهُ وَتَرَاهُ؟، قُلْتُ إِذَا سَأَلَ أُعْطِيَ وَإِذَا حَضَرَ أُدْخِلَ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ فُلَانًا؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُحَلِّيهِ وَيَنْعَتُهُ حَتَّى عَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: قَدْ عَرَفْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَكَيْفَ تَرَاهُ

---

(١) ٢٤١/٣، رقم الحديث: ٩٦١، قال المحقق: " إسناده حسن ".

(٢) ينظر: دراسات في علم البديع: مصطفى السيد جبر، ط٤، دريم للطباعة، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م، ص١٢٧–١٢٨.

(٣) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ٧٥/٥.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٦٦٤/٤.

(٥) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٤٩٤/٦–٤٩٥.

أَوْ تُرَاهُ؟، قُلْتُ رَجُلٌ مِسْكِينٌ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فقَالَ: هُوَ خَيْرٌ مِنْ طِلَاعِ الْأَرْضِ مِنَ الْآخَرِ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا يُعْطَى مِنْ بَعْضِ مَا يُعْطَى الْآخَرُ فقَالَ: إِذَا أُعْطِيَ خَيْرًا فَهُوَ أَهْلُهُ وَإِنْ صُرِفَ عَنْهُ فقد أعطي حسنة)[1]، وهذا الحديث تضمن كثيراً من الأوجه البلاغية كالاستفهام (كيف، الهمزة، هل)، والنداء (يا أبا)، والطباق (قلة المال، كثرة المال)، ثم الجناس وهو موطن الدراسة هنا فقد ورد من أنواع الجناس، المحرف (يُعطي، ويُعطى)، والجناس التام المستوفي (الغنى، غنى النفس)، و (الفقر، فقر القلب)، والجناس المُصحَّف أو المُطرَّف في (أعرفه، عرفته)، فاللفظتان مشتقة من عرف، وتعني: رَجُلٌ عَرُوفٌ وعَرُوفَة: عَارِفٌ يَعْرِفُ الأُمور وَلَا يُنكِر أَحداً رَآهُ مَرَّةً[2]، والغاية من هذا الارتباط بيان أن المعرفة هنا أفادت التنبيه لأمر الرجل المسكين ومكانته عند الله تعالى.

(١) ٤٦١/٢، رقم الحديث: ٦٨٥، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) لسان العرب، ٢٣٦/٩. مادة (عرف).

المبحث الثالث

فنون تلتحق بالبديع

المطلب الأول: مواضع التأنُّق في الكلام

ذكر البلاغيَّون أنَّه ينبغي للمتكلم أنْ يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه، لتكون أعذب لفظًا وأحسن سبكًا، وأصح معنى، وهي حسن الابتداء، وحسن التخلص وحسن الانتهاء[١].

١. **حسن الابتداء:** فأحْسَنُ الابتداءات ما ناسب المقصود، ويسمى الاستهلال، أي: أن يكون مطلع الكلام الأعلى غرض المتكلم من غير تصريح، بَل بإشارة لطيفة[٢]، ولا بد من الإشارة الى تعريفه، وهو: "أن يكون الكلام بارع المطلع، أي: لمبدئه روعة تستهوي اللب، وتستخف السمع، وذلك بأن يكون عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى؛ لأنَّ الكلام المبتدأ به أول ما يقرع السمع، أو يقع عليه النظر"[٣]، فإذا اشتمل على إشارة لطيفة إلى المقصود سُمِّي براعة الاستهلال[٤].

٢. **حسن التخلُّص:** " وهو الخروجُ إلى المقصدِ المطلوبِ، عقيب ما ذكره من قبل"[٥]، وقد عرفه الصعيدي بأنَّه: " الانتقال ممَّا شيب الكلام به من تشبيب أو غيره إلى

---

(١) الإيضاح: ٣٩٠، بغية الإيضاح: ١٣١/٤، البلاغة العربية: الميداني، ٢/ ٥٥٨؛ البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (ت: ١٤٢٩ هـ)، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر، ٢٠٠٦م، ص٢٧٨.

(٢) بغية الإيضاح: ١٣٤/٤.

(٣) المنهاج الواضح للبلاغة: ١٧٦/١.

(٤) دروس البلاغة: ص٢٨.

(٥) الطراز: ٣٦٥/٣.

المقصود، مع رعاية الملاءمة بينهما؛ لأنَّ السامع يكون مُتَرقبًا للانتقال من التشبيب إلى المقصود كيف يكون؛ فإذا كان حسنًا متلائم الطرفين؛ حرك من نشاط السامع، وأعان على إصغائه إلى ما بعده، وإن كان بخلاف ذلك، كان الأمر بالعكس(١).

ومما ورد من شواهد حسن الابتداء في الأحاديث موضوع دراستي قولهﷺ: (الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ- وَرُبَّمَا قَالَ مُتَشَابِهَةٌ-، وَسَأَضْرِبُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلًا: إِنَّ اللَّهَ حَمَى حِمًى، وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَإِنَّهُ مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكْ أَنْ يُخَالِطَ الْحِمَى -وَرُبَّمَا قَالَ مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكْ أَنْ يَرْتَعَ-، وَإِنَّ مَنْ خَالَطَ الرِّيبَةَ يُوشِكُ أن يجسر)(٢)، فقد استهل سيدنا رسول الله ﷺ الحديث الشريف بالإخبار بقولهﷺ: (الحلال بين والحرام بين)، وهذا التعبير بهذه الصِّيغة يجذب المتلقي؛ ليعرف أو ليسأل: كيف هما بَيِّنان؟، فيأتيه الجواب فيما بعده من كلام، فقد أخبرنا بأنَّ الله تعالى أحلَّ لنا أموراً واضحة لدينا، وحرَّمَ أموراً واضحة، فأحلَّ الطيبات، وحرَّم علينا الخبائث، والغرض من هذا الإخبار التنبيه على ضرورة اتخاذ سُبل الحلال واجتناب سُبل الحرام التي تؤدي إلى الغي وعدم الرشاد، وهي من خطوات الشيطان، ثم انتقل ﷺ إلى غرض بلاغي في قوله ﷺ: (وبين ذلك أمور متشابهة)، وهو حسن التخلص، فقد أحدث

(١) بغية الايضاح: ١٣٥/٤.

(٢) ٤٩٧/٢، رقم الحديث: ٧٢١، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

وقعًا جميلاً في النفس، وممَّا زاد من بلاغة الانتقال بحسن التخلص[١]، التأكيد في الإخبار عنهما باختيار لفظ "بيّن" من البيان وهو البلاغة، وتأكيده بالشدة على الياء في (بيّن) ليزداد المعنى ثراء، وهو أبلغ من التعبير بالوضوح[٢].

ومما ورد عَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا: (يَا عَائِشَةُ إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ)[٣]، استهل سيدنا رسول الله ﷺ الحديث بأسلوب النداء وذلك لا يكون إلا بحسن الابتداء، فقد صدر الحديث الشريف بحرف النداء (يا) التي تستعمل لنداء المتوسط والبعيد، لغرض التَّنبيه، وكان في غاية التلطُّف والرِّفق وكان المضمون التخفيف عنها[٤].

وممَّا ورد من الأحاديث التي تضمَّنت حسن الابتداء في الأحاديث موضوع دراستي ما رويَ من قولهﷺ: (بَشِّرْ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ: أَنَّهُمْ لَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بأربعين عاماً)[٥]، يَظهر لنا في الحديث الشريف مَظهر من مظاهر حُسن الابتداء، إذ ابتدأ الحديث بالتبشير على سبيل التشويق لَهم وبيان مكانتهم

(١) يُنظر: التناص في القرآن الكريم-دراسة بلاغية-: أحمد فتحي رمضان وآلاء أحمد حسين، (بحث منشور)، جامعة الموصل، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد(٢)، مجلد(١٥)،آذار٢٠٠٨م، ص٤٥.

(٢) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف: علي علي صبح، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص١٤١.

(٣) ٣٩١/٢، رقم الحديث: ٦٢٤، قال المحقق: " إسناده صحيح ".

(٤) يُنظر: حادثة الأفك في ضوء الحديث النبوي الشريف (دراسة تحليلية)؛ عبد السميع الأنيس، مجلة الأحمدية، العدد الثامن عشر، رمضان، ١٤٢٥هـ، ص١٦٩-١٨٧.

(٥) ٤٥٢/٢، رقم الحديث: ٦٧٧، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

عند الله، فسيّدنا رسول الله ﷺ أراد التصريح بفضل الفقراء من المهاجرين، ومن سبقهم إلى الإنفاقِ، وهذا الإخبار يراد به تحريك الهمم بالنّسبة لغيرهم، وفي هذا الإخبار جيء به بمؤكدين، هما: إنَّ، ولام الابتداء الداخلة على الفعلِ المضارع، وغاية هذا التوكيد دفع الشك والتوهم عند المخاطب، إذ أن الأغنياء من المسلمين لا ينكرون ذلك الفضل، بيدَ أنَّ النبيّ ﷺ أراد تقرير المعنى وترسيخه في ذهن الصحابة ﷺ، وغيرهم من المُتلقّين إلى يوم الدّين.

ويبدو لي أنَّ المتلقّي إذا سمع أوَّل لفظةٍ (بِشّر) شعر بامتلاء نفسه بالتهيؤ للسعادة والفرح، فيتشوَّق لاستماع ما بعدها، وهذا من أحسن الابتداءات؛ لما له من أثر نفسيٍّ من اجتذاب المُخاطَب.

وممَّا رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ فِي الْجَنَّةِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدٌ)[1]، فقد استهل سيدنا رسول الله ﷺ الحديث بأداة لو الموضوعة للشَّرط، ثم ذكر المضارع بعد (لو) في الموضعين لقصد امتناع استمرار الفعل فيما مضى وقتًا فوقتًا، وسياق الحديث في بيان صفتي القهر والرحمة فكما أن صفاته غير متناهية لا يبلغ عنه معرفتها أحد، فكذلك عقوبته ورحمته[2].

(١) ٢/ ٤٣٢، رقم الحديث: ٦٥٦، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج): محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة هاشم محمد علي مهدي، ط١، دار المنهاج- دار طوق النجاة، مكة المكرمة، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م، ٢١٢/٢٥.

ويبدو لي أنَّ الابتداء بـ (لو) وهي في الأصل شرطيَّةٌ من حُسن الابتداء؛ لأنَّها مستوجبة لجملة الشرط وجواب الشرط، فيبقى المتلقي متشوقاً إلى جوابها بمجرد أنْ تقرع سمعه.

وممَّا ورد من حسن الابتداء وحُسن الانتهاء ما روي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ﵁: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ، فقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟، قَالَ: لَا فَقَتَلَهُ وَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ، فقَالَ: أَنَّهُ قَتَلَ مِئَةً، فَهَلْ لَهُ تَوْبَةٌ؟، قَالَ: نَعَمْ، مَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ ائْتِ أَرْضَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ الطَّرِيقَ، أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَنَا تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ: أَيُّهُمَا كَانَ أَقْرَبَ، فَهِيَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ بِهَا مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ)[1]، فأمَّا حسنُ الابتداء فقد جاء هنا موافقاً للغرضِ، وقد اعتمد عنصر التشويق، وذلك بقوله ﷺ: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)؛ لأنَّ النفس البشريَّة تتوقُ وتتشوقُ إلى معرفة أخبار الأمم السابقة، ونحنُ– أمَّة الإسلام– لا علمَ لنا بأخبار الأمم السَّابقة إلَّا عن طريق سيّدنا رسول الله ﷺ،

(١) ٢/٣٧٦–٣٧٧، رقم الحديث: ٦١١، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

وإخبارهُ أصدقُ الإخبار، فإذا افتتح حديثهُ بالكلام عن الأمم السابقة تلهَّفت النفوس إلى معرفة المزيد، فكان هذا باعثاً قويّاً لاستماع بقيَّة الكلام حتى نهايته.

وأمَّا حسن الانتهاء فهو في جملةٍ عظيمةٍ ختمَ بها ﷺ حديثه الشريف، وهي قوله: (فَقَبَضَتْهُ بِهَا مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ)، فهذه جملةٌ فيها من الفرح والسعادة شُحنةٌ قويَّة جدّاً، فمعَ أنَّ هذه الجملة قد أنهتِ تلك القصة العجيبة نهاية سعيدة، وهي النهايات التي يرتجيها كلُّ مُتلقٍّ لمثل هذه القصص، فقد ساهمت في تركِ مفهومٍ ونغمةٍ في أذن السامع ونفسه، تجعله يُحاول استعادتها وتكرارها.

وقد اجتمع حُسنُ الابتداء وحُسنُ الانتهاء أيضاً في حديثِ المرأة التي استشهد ابنُها، فَجَاءَتْ إِلَى سيّدنا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنِي حَارِثَةُ إِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ، وَأَحْتَسِبْ، وَإِلَّا فَسَتَرَى مَا أَصْنَعُ، فقد أجابَها ﷺ بالقول: **(يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّ حَارِثَةَ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى)**[1]، فقد افتتح ﷺ حديثه بندائها باسم ابنها الشهيد (يَا أُمَّ حَارِثَةَ) فكأنَّه ﷺ يقول لها لقد نلتِ منزلةً بكونك أمّاً له، يُضافُ إلى ذلك أنَّ العربَ تعدُّ مناداة الانسان بكنيته من التكريم له، قال الزمخشري: " قالوا: لم تكن الكنى لشيء من الأمم إلا للعرب وهي من مفاخرها. وقال عمر رضي الله عنه: أشيعوا الكنى؛ فإنَّها منبهة. والتكنية إعظامٌ، قلَّما كان لا يؤهل له إلا ذو شرف في قومه "[2]، وقد عزَّز حسنَ الابتداء وقوَّاهُ التنكيرُ

١() ١٠/٥٢٠، رقم الحديث: ٤٦٦٤، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ(ت: ٥٣٨هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢ هـ: ٢/ ٤٨١.

الحاصلُ في لفظ (جنانٌ)، قال الطيبي: " والتنكير فيه للتَّعظيم "[1]، ومدلوله تبشيرها بأنَّ ابنها في جنانٍ عظيمة.

وأمَّا حسن الانتهاء ففي قوله ﷺ: (وَإِنَّ حَارِثَةَ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى) فهي جملةٌ فيها من إزالةِ ألمها وحزنها والإسعادِ لها ما لا يمكن أنْ يوصف.

وقد ورد حسن التخلُّص في روايةٍ أخرى لهذا الحديث، وهي قوله ﷺ: "يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا لَجِنَانٌ، وَإِنَّ حَارِثَةَ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ "[2]، ففيهِ حسن الابتداء وحُسن التخلُّص، وحُسن التخلّص فيما بعد (فإذا)، في قوله: (فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ)، فقد تخلَّصَ من تبشيرها إلى تعليمها وتعليم كلّ المسلمين كيفيَّة الدعاء، وأنَّهم يطلبون من الله معالي الأمور، وهو من ألطف التخلّصات وأحسَنُه؛ لأنَّهُ ممَّا لا يَشعُرُ المتلقّي معه بالانتقال؛ لما أحدثه التمهيدُ المتدرّج من تلاؤم[3].

(١) الكاشف عن حقائق السنن: ٨/ ٢٦٣٦.

(٢) ٢٣٨/٣، رقم الحديث: ٩٥٨، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم ".

(٣) ينظر: البلاغة العربية لحبنكة: ٢/ ٥٦١.

المطلب الثاني: الاقتبـاس

الاقتباس: هو " أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنَّه منه"[١]، أو " هو أن يُضمَّنَ الكلامُ شيئًا من القرآن، ولا يُنبَّه عليه"[٢]، يعنون بذلك مع عدم التصريح بقوله: قال الله تعالى، أو قال رسوله ﷺ؛ لأنَّه لو صرَّح به لكان ذلك استشهاداً واستدلالاً [٣]، ففي نية الأديب أنَّ " المُقْتَبَسَ ليس بقرآن حقيقة، بل كلام يماثله ... فلو أُخذ مراداً به القرآن كان ذلك من أقبح القبائح "[٤] .

وبما أنَّنا ندرس الحديث الشريف فالاقتباسُ فيهِ من القرآن الكريم فقط، ويتجلى فضل هذا الفنِّ البديعي على الجانب المعنوي أنَّه يمنح النص قدراً لا حدود له من التشريف؛ بما يستمده من شرف النص المقتبس منه، وهو كلام الله تعالى، وعلى الجانب البلاغي فإن الألفاظ المقتبسة " تزيد الكلام قوةً وبلاغةً، كما تضفي عليه حسناً وجمالاً، إذ تبدو وسطه كالضياء اللامع والنور المشرق، والمتكلم عندما يقتبس يبني كلامه على الالتئام والتلاحم، وبهذا يبدو كلامه قوياً بليغاً "[٥].

وسيِّدنا رسولُ الله ﷺ هو الذي نزل عليه الوحي العظيم، فلا ريب أنْ يجري الاقتباس على لسانه الشَّريف ﷺ جريَان الماء الرقراق، **فممَّا ورد من الاقتباس في أحاديث الرقائق: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: (جَاءَتْ فَاطِمَةُ -رضي الله عنها- إِلَى**

---

(١) عروس الأفراح: ٢/ ٣٣٢ ، ينظر: بغية الإيضاح: ٤/١١٤- ١١٥.

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ١/٢٣٧.

(٣) ينظر: علم البديع لبسيوني: ص٢٦٨ .

(٤) أنوار الربيع: ٢/٢١٩ .

(٥) علم البديع: بسيوني، ص٢٦٨ .

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَقَالَ لَهَا: قُولِي: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَاغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ)[1]، فقد ورد الاقتباس في قوله ﷺ: (فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى)، أَي: يشق الْحبَّة الْيَابِسَة فَيخرج مِنْهَا وَرقاً أَخْضَر وَقيل فالق بِمَعْنى خَالق[2]، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[3]، وهذا تمهيدٌ وتوَسُّلٌ إلى الله ﷻ بصفاته وأفعاله؛ فمن الأمور المطلوبة في الدعاء أنَّ الإنسان عندما يدعو يتوسل إلى اللهﷻ بأسمائه وصفاته، أو بتقديم حمد الله والثناء عليه والصَّلاة والسلام على سيِّدنا رسول الله ﷺ؛ فإنَّ هذا من أسباب قبول الدعاء، فهو عام، إذ شمل السماء والأرض، وأما قوله: (فالق الحب والنوى)، فالمرادُ كون الله تعالى هو من أوجد (الحب)، أي: الزرع، (والنوى): النخل[4].

---

(١) ٢٤٦/٣، رقم الحديث: ٩٦٦، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٢) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ)، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ط١، مكتبة السنة، القاهرة – مصر، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م، ص٣٥٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

(٤) شرح سنن أبي داود للعباد: ٤٨٦/٢٨.

وأما معنى الآيةِ المقتبسُ جزءٌ منها: فإنَّه تنبيه للمشركين على قدرة الله، وأنَّ ما يعبدون لا يقدر على ذلك [1]، فالنَّص تمركز حول استدلال عقائدي عميق، يتعلق بالذات الإلهية وتنزيهها، إذ يتجه النص نحو التجريد المعنوي المحض، وينتج عن هذا ذوبان المقتبس في بوتقة النص وموسيقاه، فالنص القصير انطلق من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[2] فهو جل علاه، أول لا شيء قبله، وآخر لا شيء بعده، وهذا ما جمعتهُ الآية بين طرفيها (الأول، الآخر)، فلا أثر موجودٌ لموسيقاه فالأثر بل كل الأثر لمعناه[3].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: (عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا قَدْ صَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ: مَا كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُ؟، قَالَ: كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبَنِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، لَا تَسْتَطِيعُهُ، أَوْ لَا تُطِيقُهُ، قُلِ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[4]، فقد ورد الاقتباس في قوله ﷺ: (اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ، فهو مُقتبسٌ من قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، ط١، مجموعة بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م، ٣/٢١١٠.

(٢) سورة الحديد، من الآية: ٣.

(٣) يُنظر: الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة- دراسة أسلوبية-: كاظم عبد فريح المولى الموسوي، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص١٤٣.

(٤) ٣/٢١٧، رقم الحديث: ٩٣٦، قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1]، فنلحظ أنَّ سيدنا رسول الله ﷺ قد أمر الرجل بهذا الدعاء؛ لكونه جامعًا لكلِّ معاني الدعاء؛ من أمري الدنيا والآخرة، فالحسنة هنا تعني: النعمة، فسأله نعم الدنيا والآخرة والوقاية من عذاب النار[2]، وبيانُهُ أنَّه ﷺ كرر الحسنة ونكّرها تنويعاً، وقد تقرر في علم المعاني أنَّ النكرة إذا أُعيدت كانت الثانية غير الأولى، فالمطلوب في الأولى الحسنات الدنيوية، من الاستغاثة والتوفيق والوسائل إلى اكتساب الطاعات والمبرّات، بحيث تكون مقبولة عند الله تعالى، وفي الثانية ما يترتب عليها من الثواب والرضوان في العقبى[3].

وأمَّا مضمونُ الآية المُقتبسةِ: فهو إنَّ الله يرزق العبدَ على قدرِ نيته، فمن أرادَ كرامة الدنيا وشرف الآخرة يَقُول رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حالة حَسَنَةً كالمعرفة، والعافية، والمال الحلال، والزوجة الصَّالحة، وجميع أنواع الجمال، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً كالنضرة، والحُور العين، والقصور، وجميع أنواع النعيم، وَقِنا عَذابَ النَّارِ بالعفو والمغفرة[4].

ويبدو لي أنَّ الاقتباس هنا لغرض بلاغيٍّ هو التعليم والإرشاد للمؤمن وَحثِّهِ على حُسن اختيار الدعاء واليقين بالله تعالى، وفي الإحالة على الآية الكريمة إحالة على ما بعدها؛ لأنَّ الله تعالى قال بعد تلك الآية: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٠١.

(٢) إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم: ١٩٠/٨.

(٣) الكاشف عن حقائق السنن: ١٩٢٥/٦.

(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط١، حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ، ٢٣١/١.

سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[1] فتكون الإحالةُ على تلك الآية إشارة إلى جزاء هذه الصّيغة من الدعاء المذكور في الآية بعدها.

ومن الاقتباس ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَمْرًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لِلْأَمْرِ الَّذِي يُرِيدُ خَيْرًا لِي فِي دِينِي وَمَعِيشَتِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي وَأَعِنِّي عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لِلْأَمْرِ الَّذِي يُرِيدُ شَرًّا لِي فِي دِينِي وَمَعِيشَتِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، ثُمَّ اقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ أَيْنَمَا كَانَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)[2]، فقد ورد الاقتباس في قوله ﷺ: (وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)، ففيه اقتباسٌ وإحالةٌ على قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾[3]، أي: أنتَ يا ربِّ كثيرُ العلم بما يغيب عن سواك؛ فإنَّك تعلم السِّرَّ وأخفى، وقد ذكر هذه الجملة بعد ما تقدم من باب المبالغة في الثناء، وفي الكلام اكتفاء، أي: وأنت علام الغيوب وأنت على كلِّ شيء قديرٌ، وقَدَّمَ العلم أولًا؛ للإشارة إلى عمومه لجميع الأشياء،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٢ .

(٢) ١٦٧/٣، رقم الحديث:٨٨٥، قال المحقق: " إسناده حسن ".

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

وقَدَّمَ القدرة ثانيًا: إشارة إلى أنَّها الأنسب بالمطلوب، الذي هو الإقْدارُ على خير الأمرين[1].

ويبدو لي بأنَّ الاقتباس هنا جاء؛ للتأكيد بأنَّ الله تعالى هو العالم بأمر المؤمن، وكذلك التوجيه بالرجوع الى عالم الغيب في كلِّ صغيرة وكبيرة.

ومنه ما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: كَذَّبَنِي عَبْدِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، تَكْذِيبِي أَنْ يَقُولَ: أَنَّى يُعِيدُنَا كَمَا بَدَأْنَا، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَإِنِّي الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)[2]، فقد ورد الاقتباس في قوله ﷺ: (وَإِنِّي الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)، وهو مقتبسٌ لفظاً ومعنى من سورة الإخلاص، قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[3]، إذ جعل نسبة الولد إلى الله تعالى شتماً؛ لما يلزمه من توقُّع الفناء، ومن الاحتياج عند الهرم؛ لأنَّ الله جعل الذريَّةَ ناموساً من نواميس البقاء بعد العدم، لتكون الذرية خلفاً للأصول عند انعدامها حتى لا ينعدم النوع، والنَّاس اتخذوا من الذرية عوناً لهم على المتاعب وعند العجز، فنسبة الذرية إلى الله يستلزم الأمرين، فكان شتماً؛ لأنَّه تنقيص[4].

---

(١) المنهل العذب المورود: ١٩٩/٨.

(٢) ١٢٨/٣، رقم الحديث: ٨٤٨ ، قال المحقق: " حديث صحيح ".

(٣) سورة الإخلاص، الآيات: ٢-٤.

(٤) النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح: محمد الطاهر بن عاشور، ط١، دار سحنون للنشر والتوزيع، دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص١٩٢.

الخاتمة

وأخيراً وبعد جولة بحثية بلاغية في الحديث النبوي الشريف الذي يعد ثاني الوحيين، الذي اعتلى قمة البلاغة وذروة الفصاحة بعد القرآن الكريم، ونحن نختتم بعون الله تعالى وفضله كتابنا هذا نورد أهم ما توصلنا إليه من نتائج والتي كانت كالآتي:

ورد الخبرُ في أحاديث الرَّقائق لأغراض بلاغية كثيرة، منها: الحث والترغيب، التبشير والإنذار، وبيان المنزلة، والترغيب، واستنهاض الهمم، وكلُّها غاياتٌ تتناسب مع أحاديث رسولنا الكريم ﷺ في موضوعات الرَّقائق، فمُعظمُها أخبارٌ غرضُها تقويم الإنسان وترسيخ مبادئ الاسلام فيه. أما الأمر فقد ورد لأغراض بلاغية مقاربة لأغراض الخبر، وإنْ كانت أقلّ منها، وأبرزها: النصح والارشاد، الدعاء، التأديب الإكرام، والتحذير.

وتبيَّن لي قلة النهي في أحاديث الرقاق مقارنة بالأمور البلاغية الأخرى، فكانت غاياته تنحصر في: التحذير، النصح والإرشاد، الدعاء، كراهة الشيء، التأديب. أمَّا الاستفهام فقد كان كثير الحضور في هذه الأحاديث، فجاء بطريقة تشد الأذهان لأحاديث رسولنا الكريم محمد ﷺ؛ لغرض استثارة الأذهان، والتشويق في الغالب، مع أغراضٍ أخرى منها: العرض، الاشفاق، الاستبعاد، التعجب. ويعد الاستفهام الاستنكاري من أهمِّ الأغراض وأكثرها شيوعاً في كلام سيِّدنا رسول الله ﷺ فقد أخذ مساحة واسعة في بنية الاستفهام في الحديث الشريف.

إنَّ معاني النداء خرجت لأغراض بلاغيةٍ، منها: التنبيه، والعموم والخصوص، والعناية وإبراز الفضيلة. وورد التمني بالأداة (لو) الموضوعة للتمني: لتنبيه الغافل، والنصح والإرشاد، والترغيب.

ورد التقديم لغرض تربويّ مهمٍّ، وهو تأكيد على أنَّ المؤمن إنْ ندم على ذنبه عجَّل اللهُ له المغفرة، وكون غفران الذنوب مختصاً بالله تعالى لا غير، وأمَّا التأخير فكان لغرض التشويق، أو الإشارة إلى حدث مهمٍّ، أو التركيز على إلقاء الضوء على ما حدث في الأمم السابقة، أو بيان فرحة الله بالمؤمن التائب، وكذلك صبر الله تعالى على إساءة الخلق بادعاء الشريك له، وبيان أنَّ الصبر متعلق بالله تعالى.

جاء التنكير لغايات بلاغيّة تتمثَّل في تعظيم المُنَكَّر، أو لذكر واحد غير معين من الجنس أو النوع أو الصنف، أو لقصد العموم ليشمل كلَّ شيءٍ، أو لقصدُ النَّوعيَّة، أو لبيان الكثرة، وأمَّا التعريف فقد جاء للتكنية عن معنى لا يُفهم إلّا به، وجاء التعريف بالموصوليَّة لتعظيم بيان ما للصحابة ﷺ عند اللهِ تعالى من الأجر بسبب صبرهم على الفقر والجوع، أو إرادة الإشارة إلى نفس الحقيقة المشتركة بين جميع الأفراد، من غير اعتبارٍ لما صدق عليه ذلك المُعَرَّف من الأفرادِ، أو التخصيص، أو لكونه أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع.

ورد القصر بالنفي والاستثناء لأغراض بلاغية، فقصر الموصوف على الصفة خرج للحث والترغيب على طلب العلم، وقصر الصفة على الموصوف خرج لمعانٍ كثيرة منها وصفُ الأعم الأغلب لما كان عليه أحوال الصَّحابة الكرام ﷺ.

كانت أكثر شواهد البيان من التشبيه التمثيلي؛ والسبب وراء ذلك هو كون هذا التشبيه ينطوي على صورٍ، والصُّور تترك أثراً قويّاً في النفوس عند قصد ترقيق القلوب، كما أنها جاءت واضحة، وقد تباينت شواهد التشبيه بين القلة والكثرة. كما كان التشبيه المفصل نادر الحضور؛ لأنَّ من سنن العرب الاختصار والابتعاد عن الاطالة؛ ولذلك فقد ورد التشبيه المفصل في موضع واحد فقط هو تشبيه قارئ القرآن؛ وسبب التصريح به أنَّه أراد الوصف الدقيق لتفاوت المنازل بين قارئيه وسواهم، وكان القصد ترسيخ تلك الصورة الوصفيَّة في النفوس؛ لتُقبلَ على كتاب الله تعالى.

اشتملت أحاديث موضوع الكتاب على علاقات المجاز المرسل بنسبة قليلة، فقد انحصرت في: المسببية، الجزئية، الآلية، المحلية. واستخدمت الكناية في الحديث النبوي الشريف كأحد أساليب البلاغة العربية المعتمدة للتشويق من خلال التعبير غير المباشر عن المراد.

كما تكرَّر أسلوب الطباق في أحاديث الرقاق كثيراً، وأدَّى معاني بلاغيَّة متنوعة، منها توضيح المعنى وترسخه في النفوس عن طريق عرض الصورتين المتضادتين، ومنها التوجيه والإرشاد عن طريق بيان الصَّواب وخلافه، ومنها حمل المتلقين على الإقرار بقدرة الله تعالى بإظهار قدرته سبحانه على فعل المتضادات. فيما أسهم السجع في تقديم نغماً إيقاعياً يتناسب وصيغة الحديث النبوي الشريف من حيث الوزن والقافية والجرس الصوتي، فكان نغماً تغلب عليه الوداعة والهدوء؛ ليناسب أحاديث ترقيق القلوب.

فيما إنماز الجناس بأنَّه جاء عفو الخاطر وفيض البديهة دون تكلف، ما أضفى لأحاديث موضوع الدراسة أسلوباً ساحراً تتشوق إليه النفس، وتطربُ له القلوب.

و جاءت معظم الأحاديث مشوقة للمتلقي وتجذبه جذباً لإكمال مضمونها. فضلاً عن أن الاقتباسُ قد حمل طاقة تعبيريَّة كبيرة، فَكَثَّفَ المعاني، وأحالَ إلى معانٍ قرآنيَّة جليلة، ترتبط بغايات وفوائد جزائيَّة وتربويَّة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: الكتب المطبوعة:

١. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٢. الأدب النبوي: محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (ت: ١٣٤٩هـ)، ط٤، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٣. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القيبي المصري أبو العباس شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، ط٧، المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ.

٤. أساليب بلاغية (الفصاحة- البلاغة- المعاني): أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، ط١، وكالة المطبوعات - الكويت، ١٩٨٠م.

٥. أساليب القصر في أحاديث الصحيحين ودلالتها البلاغية: عامر بن عبد الله الثبيتي، ط١، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.

٦. أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١ هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٧. الأسلوب: أحمد الشايب، ط١٢، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٣م.

٨. الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت: ٣١٦هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

٩. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، ط٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

١٠. الأعلام: خير الدين بم محمود بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، ط١٥، دار العلم للملايين، أيار مايو ٢٠٠٢م.

١١. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري): أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

١٢. الإفصاح عن معاني الصحاح: يحيى بن محمد بن هُبَيْرَة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت: ٥٦٠هـ)، المحقق: فؤاد عبد

المنعم أحمد، دار الوطن، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ.

١٣. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت: ٤٧٥هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

١٤. الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان البُستي فيلسوف الجرح والتعديل: محمد عبد الله أبو صعليك، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٥. الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت: ٥٦٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م.

١٦. أنوار الربيع في أنواع البديع: صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (ت: ١١١٩هـ).

١٧. أوجه البلاغة: يوسف طارق السامرائي، ط١، دار الرسالة للطباعة والنشر، لبنان، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧.

١٨. الإيجاز في علم المجاز: لطف الله بن محمد القباني الظفيري (ت: ١٠٣٥هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد بركات حمدي أبو علي، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع –عمان– الأردن، (د. ت).

١٩. الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم– بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٢٠. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط١، الناشر: حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

٢١. البدر التمام في شرح بلوغ المرام: الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ المعروف بالمغربي (ت: ١١١٩هـ). تحقيق: علي بن عبد الله الزين، ط١، دار هجر، مصر، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٢٢. البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، ط١، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

٢٣. البديع: أبو العباس عبد الله ابن المعتز (ت: ٣٩٩هـ)، تحقيق: عرفان مطرجي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٢٤. البديع في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، (د، ط)، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٥. البديع في نقد الشعر: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت: ٥٨٤هـ)، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الجمهورية العربية المتحدة- وزارة الثقافة والإرشاد القومي- الإقليم الجنوبي- الإدارة العامة للثقافة، (د. ت).

٢٦. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت: ٦٥١هـ)، ، تحقيق: أحمد مطلوب و خديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢٧.البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

٢٨. البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٩. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي (ت: ١٣٩١هـ)، ط١٧، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣٠. البلاغة الاصطلاحية: د. عبده عبد العزيز قليقلة، ط٣، دار الفكر، القاهرة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣١. بلاغة تطبيقية (دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص): بسيوني عبد الفتاح فيود، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٣٢. البلاغة الصوتية في القرآن الكريم: محمد إبراهيم شادي، ط١، الرسالة،١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٣٣. البلاغة العربية- أسسها وعُلُومَها، وفُنُونُهَا، تأليف وتأَمُّل: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، ط٢، دار القلم دمشق، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٣٤. البلاغة العربية (المفهوم والتطبيق): حميد آدم ثويني، ط١، دار المناهج، عمان- الأردن، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.

٣٥. البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني): فاضل حسن عباس، ط١٠، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٦. البلاغة الميسرة: جمال إبراهيم قاسم، ط١، دار ابن الجوزي، مصر، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٣٧. البلاغة والمعنى في النص القرآني ((تفسير أبي السعود أنموذجاً)): حامد عبد الهادي حسين، ط١، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، جمهورية العراق، ٢٠٠٧م.

٣٨. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ط١، محمد محمد أبوموسى، دار الفكر العربي، القاهرة–مصر،(د:ت).

٣٩. بلاغة الكلمة والجملة والجمل: منير سلطان، ط١، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٨م.

٤٠. البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ -١٩٨٨م.

٤١. تاريخ الأدب العربي: شوقي ضيف، ط١، دار المعارف- مصر، ١٩٦٠- ١٩٩٥م.

٤٢. تاريخ الثقات: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفي (ت: ٢٦١هـ)، ط١، دار الباز، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٤٣. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان، (د. ت).

٤٤. التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، تحقيق: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب، ط١، مَكتَبَةُ الرُّشد الرياض- المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٤٥. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة.

٤٦. التحف الربانية في شرح الأربعين حديثاً النووية، ومعها شرح الأحاديث التي زادها ابن رجب الحنبلي: اسماعيل بن محمد بن مالي السعدي الأنصاري (ت: ١٤١٧هـ)، ط١، دار نشر الثقافة- الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، ١٣٨٠هـ.

٤٧. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٤٨. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت، (د. ت).

٤٩. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط١، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٥٠. التصوير الفني في الحديث النبوي: محمد بن لطفي الصباغ، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٥١. التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف: علي علي صبح، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٥٢. تطريز رياض الصالحين: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، ط١. دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٥٣. التعريفات: علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت: ٨١٦ هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٥٤. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ)، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ط١، مكتبة السنة، القاهرة- مصر، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٥٥. التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، تحقيق: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، ط١، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٥٦. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٥٧. التوضيح لشرح الجامع الصحيح: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت:٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق: التراث، ط١، دار النوادر، دمشق- سوريا، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٥٨. التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ط٣، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥٩. الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي (ت: ١٤٢٢ هـ)، ط٤، دار الآثار للنشر والتوزيع، صنعاء – اليمن، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.

٦٠. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت: ٩١١ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

٦١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٦٢. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧هـ)، المحقق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، بغداد- العراق، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.

٦٣. الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٦٤. جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، جلال الدين السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ)، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج– عبد الحميد محمد ندا– حسن عيسى عبد الظاهر، ط٢، الأزهر الشريف، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ١٤٢٦ هـ– ٢٠٠٥م.

٦٥. الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، المحقق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

٦٦. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، (د. ت).

٦٧. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.

٦٨. جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة: نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي (ت: ٧٣٧هـ)، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٩م.

٦٩. الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية: محمد ضاري حمادي، ط١، الدار العلمية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م.

٧٠. الحديث النبوي، مصطلحُه- بلاغتُه- كُتُبُه: محمد الصباغ، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت،١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٧١. حروف المعاني والصفات: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ)، المحقق: علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

٧٢. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د. ت).

٧٣. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، ط٧، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٧٤. الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري: هناء محمود شهاب، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

٧٥. خلاصة المعاني: الحسن بن عثمان المفتي (ت: ١٠٥٩هـ)، تحقيق: عبد القادر حسين، د.ط، الناشرون العرب، الرياض – السعودية، (د. ت).

٧٦. دراسات في البيان النبوي: محمد رفعت زنجير، ط١، دار اقرأ، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٧٧. دراسات في علم البديع: مصطفى السيد جبر، ط٤، دريم للطباعة، الجيزة- مصر، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٧٨. دروس البلاغة: حنفي ناصيف (ت: ١٣٣٨هـ) مصطفى طموم (ت: ١٣٥٤هـ) وآخرون، عني به: أحمد السنوسي أحمد، ط١، دار ابن حزم، لبنان، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٧٩. دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد التنجي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م.

٨٠. الدليل المغني لشيوخ الأمام أبي الحسن الدار قطني: أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، تقديم د. سعد بن عبدالله الحميد و د. حسن مقبولي الأهدل، ط١، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٨١. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: أبو إسحق الحويني الأثري، ط١، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر- المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٨٢. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ (ت: ٥٣٨هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ.

٨٣. رجال الحاكم في المستدرك: مُقْبلُ بن هادي بن مقبل بن قائدة الهمداني الوادعي (ت:١٤٢٢هـ)، ط٢، مكتبة صنعاء الأثرية، اليمن، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٨٤. سبل السلام: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

٨٥. السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير والنذير: علي بن الشيخ أحمد بن أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي (ت: ١٠٧٠ هـ)، أعده للمكتبة الشاملة مركز النخب العلمية.

٨٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (لمكتبة المعارف)، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

٨٧. سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، بيروت، د.ت.

٨٨.سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٨٩. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٩٠. الشَّافِي فيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، المحقق: أحمد بن سليمان- أبي تميم يَاسر بن إبراهيم، ط١، مَكتَبَةَ الرُّشْدِ، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٩١. شرح التلخيص، للشيخ أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود بن أحمد البابرتي، (ت: ٧٨٦هـ)، دراسة وتحقيق: محمد مصطفى رمضان

صوفية، ط١، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس- الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٨٣م.

٩٢. شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٩٣. شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٩٤. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (ت: ١١٢٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٩٥. شرح سنن أبي داوود: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (ت: ٨٤٤هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، ط١، دار الفلاح- مصر، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٩٦. شرح سنن النسائي المسمى (ذخيرة العقبى في شرح المجتبى)، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، ط١، دار آل بروم للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٩٧. شرح صحيح البخاري لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ): تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض- السعودية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٩٨. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٩٩. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة- الرياض)، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٠٠. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي السنبسي الحلي (٦٧٧ - ٧٥٠ هـ)، تحقيق: نسيب نشادي، ط٢، دار صادر- بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٠١. شرح مصابيح السنة للإمام البغوي: محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بابن المَلَك (ت: ٨٥٤ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط١، إدارة الثقافة الإسلامية، الكويت، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٠٢. شرح المفصل: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

١٠٣. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، ط١، دار الفكر المعاصر (بيروت- لبنان)، دار الفكر (دمشق- سورية)، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٠٤. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، راجعه واعتنى به: د. محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٠٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، الرسالة العالمية، دمشق- الجمهورية العربية السورية، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

١٠٦. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٠٧.صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،

ط٢، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

١٠٨. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم): مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٩٥٤م.

١٠٩. الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١١٠. الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: د. أحمد ياسوف، ط٢، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١١١. طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١هـ)، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١١٢. طبقات علماء الحديث: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (ت: ٧٤٤هـ)، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١١٣. طبقات الفقهاء الشافعية: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، ط١، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ١٩٩٢م.

١١٤. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت: ٧٤٥هـ)، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١١٥. علم البيان: عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ)، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٣م.

١١٦. علم البيان (دراسة تحليلية لمسائل البيان): بسيوني عبد الفتاح فيّود، ط٢، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١١٧. علم البيان في البلاغة العربية: محمد مصطفى هدَّارة، ط١، دار العلوم العربية- بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١١٨. علم المعاني: عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ)، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١١٩. علم المعاني: وليد إبراهيم قصاب، ط١، دار الفكر، دمشق- سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

١٢٠. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: بسيوني عبد الفتاح بسيوني فيود، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

١٢١. علم المعاني دراسة وتحليل: كريمة محمود أبو زيد، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٢٢. علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم: حسن طبل، ط٢، مكتبة الإيمان، المنصورة- مصر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٢٣. علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، ط١، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، ٢٠٠٣م.

١٢٤. علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع): أحمد مصطفى المراغي، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٢٥. علوم البلاغة التطبيقية- علم المعاني و البيان والبديع: طالب محمد إسماعيل، ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢م.

١٢٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٢٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٠م.

١٢٨. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (د. ط) دار ومكتبة الهلال، (د. ت).

١٢٩. غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: عبد السلام هارون، ط١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٣٠. الفائق في غريب الحديث والأثر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، لبنان، (د. ت).

١٣١. الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ط٢، دار عمار، عمان- الأردن، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٠١هـ.

١٣٣. فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، ط١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٣٤. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (ت: ١٣٧٨ هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

١٣٥. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٣٦. فقه الإسلام (شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام): عبد القادر شيبة الحمد، ط١، مطابع الرشيد، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٣٧. فن الجناس (بلاغة- أدب- نقد): علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤م.

١٣٨. فنون بلاغية (البيان-البديع): د. أحمد مطلوب (ت:١٤٣٩هـ)، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

١٣٩. في جمالية الكلمة دراسة بلاغية جمالية نقدية، حسين جمعة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، ٢٠٠٢ م.

١٤٠. في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤م.

١٤١. فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي

القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ط١، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ١٣٥٦هـ.

١٤٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٤٣. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٤٤. القبس في شرح موطأ مالك بن أنس: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد الله ولد كريم، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م.

١٤٥. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠-٩٤٧هـ)، عُني به: بو جمعة مكري، خالد زواري، ط١، دار المنهاج، جدة- السعودية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

١٤٦. الكافي في البلاغة (البيان والبديع و المعاني) : أيمن أمين عبدالغني، تقديم: رشدي طعيمة وآخرون، ط١، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠١١م.

١٤٧. الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني- البيان- البديع)، عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، ط١، منشورات الجامعة المفتوحة، ١٩٩٣م.

١٤٨. الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٤٩. كَشْفُ المنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ في تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ المَصَابِيحِ: محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المُنَاوِي ثم القاهري، الشافعيّ، صدر الدين، أبو المعالي (ت: ٨٠٣هـ)، دِرَاسَة وتحقيق: د. مُحمَّد إِسْحَاق مُحَمَّد إِبْرَاهِيم، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٥٠. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني (ت: ٧٨٦هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٥١. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي (ت: ٨٩٣ هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٥٢. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج): محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي (١٣٤٨- ١٤٤١هـ)، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة: هاشم محمد علي مهدي، ط١، دار المنهاج- دار طوق النجاة، مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٥٣. اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح: شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت: ٨٣١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ط١، دار النوادر، سوريا، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٥٤. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ.

١٥٥. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م.

١٥٦. لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح: عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدلهوي الحنفي (٩٥٨هـ- ١٠٥٢هـ) والمتوفى بها سنة (١٠٥٢هـ)، تحقيق: تقي الدين الندوي، ط١، دار النوادر، دمشق- سوريا، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

١٥٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٥٨. المجازات النبوية: الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي الحسيني الموسوي (ت: ٤٠٦هـ)، تحقيق: كريم سيد محمد محمود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٧م.

١٥٩. المجازات النبوية: الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي الحسيني الموسوي (ت: ٤٠٦هـ)، تحقيق وشرح: طه محمد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي- قم، (د. ت).

١٦٠. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ)، ط٣، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، تركيا، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

١٦١. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدَه المُرسيّ (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٦٢. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد،

ط٥، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت– صيدا، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م

١٦٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت– لبنان، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠٢م.

١٦٤. المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، ط١، دَار الغَرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

١٦٥. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.

١٦٦. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي إبراهيم، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة– مصر، ١٤١١هـ– ١٩٩١م.

١٦٧. مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير(مختصر فيض القدير شرح الجامع الصغير للإمامِ عبد الرؤوف المناوي): محمد بن ناصر الدين الألباني، إعداد وترتيب : أبو أحمد معتز أحمد عبد الفتاح.

١٦٨. مصابيح السنة: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦ هـ)، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٦٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠هـ)، ط٦، المطبعة الأميرية- القاهرة، ١٩٢٥م.

١٧٠. مطالع الأنوار على صحاح الآثار: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي أبو إسحاق ابن قرقول (ت: ٥٦٩هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق دار التراث، ط١، وزارة الأوقاف، قطر، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٧١. معالم البيان في الحديث النبوي: عبد المحسن بن عبد العزيز بن العسكر، ط١، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ١٤٣٥هـ.

١٧٢. معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٧٣. معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة، ط٣، دار الرفاعي، السعودية، ١٩٨٨م.

١٧٤. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

١٧٥.معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٧٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد- العراق، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٧٧. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، لبنان ناشرون، ٢٠٠٠م.

١٧٨. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة و كامل المهندس، ط٢، مكتبة لبنان- بيروت، ١٩٨٤م.

١٧٩. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، ط٣، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨م.

١٨٠. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، ط٣،

مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

١٨١. المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): إنعام قوّال عكاوي، مراجعة: أحمد شمس الدين، ط٣، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٦م.

١٨٢. معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، بيروت- دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

١٨٣.معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

١٨٤. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م،.

١٨٥. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار)، ط١، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول- تركيا، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

١٨٦. المُعْلم بفوائد مسلم، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (ت: ٥٣٦هـ)، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، ط٢، الدار التونسية للنشر – المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٨ م.

١٨٧. المعين على تفهم الأربعين: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤ هـ)، دراسة وتحقيق: دغش بن شبيب العجمي، ط١، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولّي– الكويت، ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م.

١٨٨.المفاتيح في شرح المصابيح: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني الكوفي الضرير الشيرازي الحنفي المشهور بالمظهري (ت:٧٢٧هـ)، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط١، دار النوادر، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، ١٤٢٣هـ– ٢٠١٢م.

١٨٩. مفتاح العلوم: أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ٢٠١١م.

١٩٠.مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص: عبد بلبع، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

١٩١. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة، مصر، ٢٠٠٥م.

١٩٢. منار القاري شرح صحيح البخاري: حمزة محمد قاسم، راجعه عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان- دمشق- سوريا، مكتبة المؤيد، الطائف المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٩٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٩٤. المنهاج الواضح البلاغة: حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، (د. ت).

١٩٥.المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود: محمود محمد خطاب السبكي، تحقيق: أمين محمود محمد خطاب، ط١، مطبعة الاستقامة، القاهرة- مصر، ١٣٥١- ١٣٥٣هـ.

١٩٦. المهيأ في كشف أسرار الموطأ: عثمان بن سعيد الكماني (ت: ١١٧١هـ)، تحقيق: أحمد علي، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

١٩٧. المؤتلف والمختلف لابن القيسراني= الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (ت: ٥٠٧هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ.

١٩٨. النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن): محمد عبدالله دراز، اعتنى به وخرج أحاديثه: عبد الحميد الدّخاني، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٩٩. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢ هـ)، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٠٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

٢٠١. النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح: محمد الطاهر بن عاشور، ط١، دار سحنون للنشر والتوزيع- دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م.

٢٠٢. النكت على كتاب ابن الصلاح: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٠٣. النكت في إعجاز القرآن: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد خلف الله،

محمد زغلول سلام، سلسلة: ذخائر العرب (١٦)، ط٣، دار المعارف- مصر، ١٩٧٦م.

٢٠٤. نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٢٠٥. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلميّة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

٢٠٦. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، ط١، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٢٠٧. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (ت:١٤٠٣هـ)، دار الفكر العربي، بيروت، (د. ت).

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

٢٠٨. أحاديث البر والإحسان في صحيح ابن حبان (دراسة بلاغية): مأمون يوسف رجب، (رسالة ماجستير)، قسم اللغة العربية- كلية الإمام الأعظم الجامعة، بغداد- العراق، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٢٠٩. أحاديث سنن الترمذي من أبواب الفتن إلى نهاية باب الأمثال (دراسة بلاغية): أفنان أحمد محمد، (رسالة ماجستير)، قسم اللغة العربية- كلية الإمام الأعظم الجامعة، بغداد- العراق، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢١٠. الأحاديث النبوية في العقد الفريد لابن عبد رُبه الأندلسي- دراسة بلاغية: رؤى ضياء ابراهيم، (رسالة ماجستير) كلية الإمام الاعظم الجامعة- قسم اللغة العربية/ الأدب، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢١م.

٢١١. بلاغة التراكيب في كتاب الإيمان من صحيح مسلم: (رسالة ماجستير)، نوير عيد مرزوق الفريدي، جامعة القصيم- المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ.

٢١٢. البلاغة النبوية في الأربعين النووية: خالد عبد العزيز الزويع، (رسالة الماجستير)، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، قسم الدراسات النظرية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢١٣. التشبيه في صحيح مسلم- دراسة تحليلية: أحمد عيضة أحمد الثقفي، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢١٤. التشبيهات النبوية في صحيح البخاري (دراسة موضوعية فنية): يونس عبد مرزوك، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب- جامعة بغداد، العراق، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢١٥. التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف تطبيق على كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (دراسة بلاغية تطبيقية): ابن عمر محمد صالح حسين، (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية- قسم الدراسات الأدبية والنقدية- جامعة أم درمان الإسلامية، جمهورية السودان، ١٤٣١هـ- ٢٠٢١م.

٢١٦. الحذف في الحديث النبوي الشريف: سارة أحمد معروف، (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية- قسم الدراسات النحوية واللغوية- جامعة أم درمان الإسلامية، جمهورية السودان، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٢١٧.الكناية في الحديث النبوي وأثرُها في الاستنباط (دراسة تأصيلية تطبيقية): مصعب حمود، (أطروحة دكتوراه) جامعة دمشق، سوريا، ١٤٢٣هـ- ٢٠١١م.

٢١٨. لغة الحديث النبوي بين التشبيه والمجاز(دراسة في الصحيحين)، خليل محمد أيوب، (رسالة ماجستير)، كلية دار العلوم (قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن)، جامعة القاهرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

ثالثاً. البحوث والدراسات في المجلات والدوريات:

٢١٩. أساليب البديع في الأحاديث النبوية (دراسة تطبيقية في أحاديث كتاب الأدب في الكتب الستة)، حمادة خالد علوان- محمد شعبان علوان، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، الجامعة الاسلامية-غزة، (بحث منشور)، المجلد (٢٩)، العدد (٢)، ٢٠٢١م.

٢٢٠. الإطناب وأثره في تقرير المعنى (دراسة في صحيح القصص النبوي): عبد الله محمد سليمان حسيني، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، جامعة الأزهر، القاهرة، المجلد (٩)، العدد (٢)، ٢٠١٩م.

٢٢١. الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (دراسة أسلوبية)، كاظم عبد فريح المولى الموسوي، مكتبة الروضة الحيدرية، المكتبة الرقمية، الرسائل الجامعية، النجف الأشرف- العراق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٢٢. بلاغة الفصل والوصل في الحوار النبوي الشريف دراسة في صحيح البخاري، محمد سعيد حسين مرعي- أحمد جمعة شوان، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد٢٣، العدد (١٠)، تشرين الأول ٢٠١٦م.

٢٢٣. البلاغة النبوية وأثرها في أدب الخطابة في صدر الإسلام حالة دراسة (خطب ثابت بن قيس ﷺ: هالة فاروق عمر، مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، العدد (٦٧)، ٢٠١٧/٣/٨.

٢٢٤. البيان النبوي في حديث الغلام والراهب والساحر (دراسة بلاغية): طلعت عبد الله بسيوني أبو حلوة، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق- جامعة الأزهر، مصر، مجلد (١)، العدد (٣٤).

٢٢٥. التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي (من خلال صحيح البخاري): محمد السيد عبد الرزاق موسى، (بحث منشور) كلية التربية- جامعة المنصورة.

٢٢٦. التشبيه في البيان النبوي- مقاربة بلاغية لأحاديث من صحيح البخاري: شهيرة برباري، (بحث منشور) كلية الآداب واللغات- جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر، (د. ت).

٢٢٧. التناص في القرآن الكريم-دراسة بلاغية: أحمد فتحي رمضان، آلاء أحمد حسين، جامعة الموصل، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد(١٥)، العدد(٢)، آذار٢٠٠٨م.

٢٢٨. حادثة الأفك في ضوء الحديث النبوي الشريف(دراسة تحليلية)؛ عبد السميع الأنيس، مجلة الأحمدية، العدد الثامن عشر، رمضان، ١٤٢٥هـ.

٢٢٩. سمات البلاغة النبوية في الحديث: فاطمة عيسى محمد، بحث مشارك في مؤتمر اللغة العربية وآدابها، عمان- الأردن، ٦-٨ يوليو ٢٠١٩م.

٢٣٠. شواهد التشبيه في الأربعين النووية: عبد الله محمد بلال، حافظ محمد بادشاه (بحث منشور)، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد (٢٤)، ٢٠١٧م.

٢٣١. ظاهرة الجناس في خطب الإمام علي عليه السلام ورسائله دراسة بلاغية: حسين عبد العال اللهيبي، (بحث منشور) جامعة الكوفة- مركز دراسات الكوفة، النجف الأشرف- العراق، موقع في رحاب نهج البلاغة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.